الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــــة منتـــــوري قسنطينـــــة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والآثار.

الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900 - 1939).

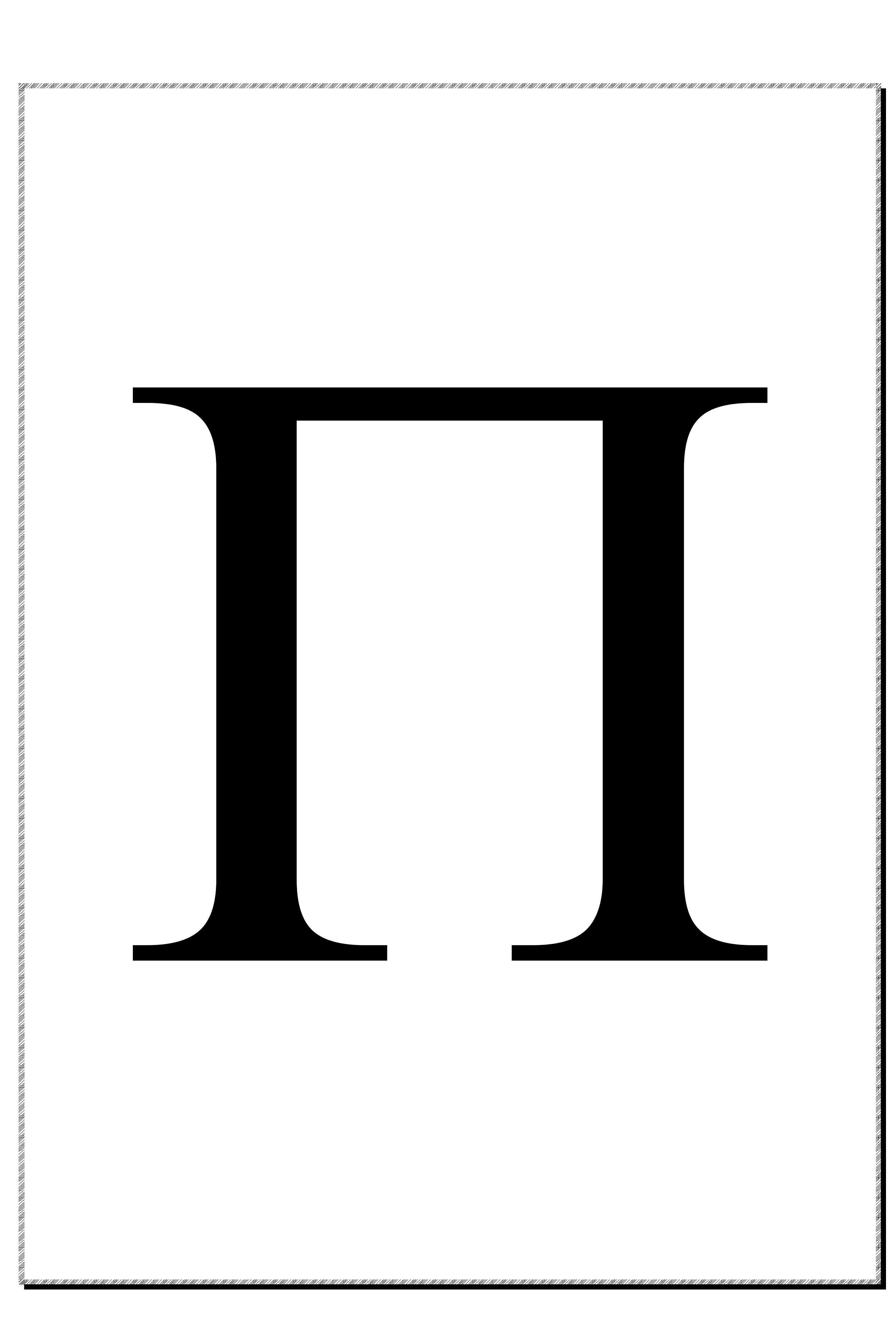
إعداد الطالب: موسى بن موسى. **تحت إشـــراف**: أ. د. أحمد صاري.

نوقشت يوم : 15 فيفري 2006.

أعضاء لجنة المناقشة :

الاســـم والـــلقـــب	الـــرتبـــة	الصفة	الجامعة الأصلية
عبد الكريم بوصفصاف	أ. التعليم العالي	رئـــيسا	جامعة منتوري – قسنطينة.
أحمـــد صــــاري	أ. التعليم العالي	مقررا ومشرفا	جامعة الأمير عبد القادر.
فاطمة الزهراء قشي	أ. التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة منتوري – قسنطينة.
احميدة عميراوي	أ. التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر.
الجمعي خمري	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة.

السنة الجامعية : 1426 – 1427هـــ / 2005 – 2006.


П

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

[النحل 125]

ا لإ هـــد ا ء .

إلى من ربياني صغيرا، وحرما نفسيهما الكثير من لذّات الحياة ليوفرا لي كل الراحة قصد إكمال مشواري التعليمي أهدي باكورة بحثي إلى أمي التي لم تبخل علي بالدعاء قبل وفاتها وأبي الـــذي مافتئ يدعو لي بالنجاح والتوفيق.

وإلى زوجتي أم طه التي ضحت بوقتها مقابل تقديم يد المساعدة لإنجاح العمل وإلى ابنتي وســـام التي تناسيت حضها في المذاكرة وولدي طه الذي انتقصت من وقت مداعبته والتحامل عليه تـــارة أخرى كلما لـــمّ بي التعب والعناء . وإلى إخوتي و أخواتي وأزواجهن.

وإلى شيخي المرحوم سيدي الصادق بالي الذي زرع فيَّ حب البحث رغم فقدانه نعمة البصـــر إلا أنه ناضل من أجل الحصول على العالمية من جامع الزيتونة وإلى كل من سلك دربه ولقي مـــا لقي من عنت.

إلى كل هؤلاء وغيرهم كثير أهدي هذا العمل المتواضع سائلا الله القبول والثواب.

شـــكـــر و امـتـنـان .

إن نعمة الله وفضله شملت أرجاء دنيته، لكن عمل الفرد يحتاج دوما لإعانته وتوفيقه، كما أن الحاجة للآخرين ضرورية لانعدام تكاملنا، وعليه فإن شكر الناس من شـــكر الله لأن العمـــل لا يكتمـــل إلا بالحصول عل يد العون من الكثير وأخص منهم كلا من الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علي بالنصيحة وتقديم العون المادي، وذلك من خلال بحوثه وتبصيري على بحوث لم أكن على إطلاع بها مع حرصـــه الدقيق لتصحيح كل شائبة بالبحث، حيث كنت محضوضا لتوافق بحثي مع اهتماماته العلميـــة . كمـــا أشكر أستاذي وزميلي علي غنابزية من خلال عمله الأكاديمي والذي تناول المنطقة بالإضافة إلى مكتبته الغنية التي كانت لي بمثابة الملاذ كلما احتجت لنقطة من نقاط بحثي. كما لا أنســـى الطـــاقم الإداري لثانوية بوشوشة الذي سهل لي مشوار الدراسة وتحملوا معي أعباء ذلك.

كما أقدم شكري لكل أساتذة الثانوية والمساعدين التربويين . والتلاميذ الذين تحملوا عبأ التعويضات خاصة السنة الأولى من دراسة ما بعد التدرج لإتمام البرامج الدراسية المقررة علـــيهم. وهـــذا دون أن أتجاهل دور كل الشيوخ الذين أجريت معهم لقاءات من أجل الحصول على معلومات تفيدني في بحثي. وليعذرني من تجاهلته، لكن ليتأكد أن البحث هو نتاج تعاونه معي بالشيء الكثير أو القليل .أمـــا عـــن الهيئات الرسمية فإنني أتقدم بالشكر الجزيل لمركز الأرشيف الوطني مديرا وموظفين وعمال لما وفـــروه لي من راحة وخدمة للإطلاع على العديد من الوثائق، حيث كان القائمون يحضرون الصناديق العديـــدة والعديدة جدا عليّ أعثر عن وثيقة تخص بحثي دون إشعاري بالملل أو الكلل، يضاف إليها الثقة العميـــاء خدمة للبحث وتقديرا للعناء الذي تكبدته أثناء السفر من الوادي إلى الجزائر العاصمة.

كما أشكر الطاقم الإداري لمركز الأرشيف الولائي لقسنطينة . بالإضافة مديرية المجاهـــدين لولايـــة الوادي خاصة الأستاذ طليبة بوراس، حيث لم يبخل عليّ بأية وثيقة من بقاي الإدارة الاستعمارية . كما أتقدم بالشكر إلى القائمين على المكتبات المتواجد بالمنطقة وهي : مكتبة المصطفى لزاوية سيدي ســـالم، كما أشكر الشيخ حسين سالمي شيخ الزاوية العزوزية (الرحمانية) والقائم على المكتبة، ومكتبة الشيخ مصباح سالمي، ومكتبة أبو القاسم سعد الله لدار الثقافة بالوادي، والمركز الثقافي لقمار.وفي الأخـــير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم من قريب وبعيد في بناء صرح هذا التـــاريخ الـــذي سجله العديد من أبناء المنطقة دون تمييز كلا حسب دوره المسؤولية المناطة به .

مقـــدمة :

مــقــدمــة :

إن مطلع القرن العشرين كان حافلا بملامح التغيير لبناء صرح جديد يعتمد المقاومة السياسية منطلقا رئيسيا على مستوى الفكر والنضال في الجزائر، فكانت الحركة الإصلاحية من بين تيارات النخبة التي سعت إلى اعتماد منهج إصلاحي يتم من خلاله إصلاح الأوضاع التي ما فتئت تتدهور، ومجابهة الاستعمار الذي لم تستطع المقاومة المسلحة إجلاءه من الجزائر منذ الاحتلال.

ووادي سوف إقليم من الجزائر، حيث لم يكن في معزل عن الإصلاح الذي انطلق وتكرّست معالمه بكل ما له وما عليه من خلال بروز أطراف عديدة نادت بالإصلاح، فكانت الفترة 1900 – 1939 فترة زخم وتعاقب أحداث تركت آثارا على مسار تطور الأحداث بوادي سوف والجزائر لكونها شهدت ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وما سبقها من محاولات إصلاح نادت بها الكتلة المحافظة، وهذا من خلال دور الصحافة الإصلاحية والوطنية التي عرفت بهذه الأحداث، وعليه كانت وادي سوف إحدى المناطق المتأثرة بالتغيرات الحاصلة بالبلاد، وعلى هذا الأساس جاء عنوان بحثنا كالآتي :

الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900 – 1939.

مبررات الخوض في هذا البحث :

إن دوافع الخوض في هذا البحث عديدة، لكني أحاول حصرها في الآتي :

- العامل الزمني الذي يفرض عليّ اختيار موضوع يتأقلم والفترة الزمنية الممنوحة والمحددة بمدة زمنية محددة لإنجاز البحث، ولهذا حاولت أن أتناول موضوعا محليا أكون فيه أقرب إلى المادة العلمية، رغم محاولات تكبد عناء السفر لبعض المراكز والمؤسسات الثقافية والأكاديمية التي تتوفر بها الوثائق الأرشيفية كالأرشيف الوطني، والمكتبة الوطنية بالجزائر وأرشيف ولاية قسنطينة.

- أما الدافع الثاني فيمكن حصره في محاولة إبداء مشاركة أكاديمية لرصد فترة تاريخية ساهمت من خلالها المنطقة بجميع شرائح المجتمع، وهذا لزيادة إثراء الرصيد التاريخي الوطني.

- إن الخوض في هذا الموضوع يجعل أهالي المنطقة يسعون للإطلاع عليه من أجل التعرف على فترة هامة عاشتها منطقتهم.

- محاولة المساهمة بهذا البحث المتواضع للتعريف بالمنطقة، لإبراز دورها رغم واقعها الطبيعي الصعب الذي حال دون تواصل أهالي المنطقة بأرجاء البلاد الأخرى، إلا بعد مشقة وعناء طويلين.

- إضافة عمل أكاديمي للمكتبة الوطنية وذلك للمساهمة في التعريف بالمنطقة ودورها الوطني.

إشكالية البحث :

وادي سوف رقعة خصبة ذات عطاء فكري نير، رغم الطابع الجغرافي القاسي المراس الذي ميز صعوبة الوضع الثقافي الذي أقرته الظروف والأحداث، لكن مع هذا استطاعت المنطقة المساهمة في الإصلاح على المستوى المحلي، نظرا لتجاورها مع تونس، التي تعد حاضرة علمية خصبة، حيث حاول الكثير من أبناء المنطقة الاستفادة منها من خلال الهجرة العلمية إليها. وعند تأجج حركة الإصلاح وجدت المنطقة نفسها ملزمة بالاشتراك فيها رغم المسالك الصعبة، التي كانت تربطها بأرجاء البلاد الأخرى، إلا أن التفاعلات الداخلية والتأثيرات الخارجية ساهمت في إنضاج البعد الإصلاحي الذي لم يقتصر على المنطقة، بل طال المناطق المجاورة لسوف كوادي ريغ ومناطق النمامشة، بالإضافة إلى النخبة التي تعلمت بالمدارس الأهلية الفرنسية استطاعت المحافظة على الهوية الحضارية. بالإضافة إلى الطرق الصوفية التي كانت تعمل جاهدة للمحافظة على اللغة العربية انطلاقا من تحفيظ القرآن الكريم، ودور الشخصيات الفاعلة مثل : الشيخ إبراهيم بن عامر، الذي حاول أن يستفيد من الطرق الصوفية وذلك من خلال عدم معاداتها والعمل على استراتيجية تسمح بزيادة الألفة بين شيوخ الطرق خاصة القادرية والرحمانية بالمنطقة.

وبروز شخصيات أخرى كانت تعرف بمواقفها المعادية للتخلف، ومناهضتها للطرق الصوفية من خلال التأثر بالحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي مثل : محمد الأمين العمودي وعمار بن الأزعر، وحمزة بوكوشة وعبد الكامل النجعي، ومحاولاتهم بناء جسور تواصل بين أهالي المنطقة ومناطق البلاد الأخرى انطلاقا من بسكرة التي كانت منفى العديد من هذه الشخصيات. أما تواجد شعب جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف قد اكتنفه شيء من الغموض، ليظهر في العمل العلني إلا بعد انضمام الشيخ عبد العزيز الشريف شيخ الطريقة القادرية للجمعية، ومنه يمكن صياغة إشكالية البحث كالآتي :

- ما طبيعة الحركة الإصلاحية بوادي سوف وعلاقتها بالطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية خلال تطورها ما بين 1900 و1939؟

وللإجابة على هذه الإشكالية يبغي علينا أن نجيب على الإشكاليات الفرعية الآتية:

- ما طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية بالمنطقة؟ وما هي العوامل المساعدة على نشأة الحركة الإصلاحية بوادي سوف؟ وما طبيعة الحركة الإصلاحية خلال كل مرحلة من مراحل تطورها؟ وما علاقتها بالطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية؟ ومتى ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمنطقة؟ وما هي مواقفها من خلال الأحداث المختلفة بالمنطقة؟ ودورها في تهيئة الأرضية الخصبة لتكريس الشعور الوطني من خلال القيم والعادات والتقاليد المتجذرة بالمنطقة؟ ثم ما هو الدور الذي لعبه أعضاء جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين محليا ووطنيا؟

أهداف البحث :

إن أهداف البحث يمكن حصرها في النقاط الآتية :

- المحافظة على الميراث التاريخي الذي لعبته المنطقة.

- الإشادة بالنضال الذي قدمه رجالات الإصلاح بالمنطقة.

- التعريف بدور المنطقة في هذه الفترة المصيرية من تاريخ الجزائر.

- الإشادة بدور المنطقة وتفاعلاتها الحاصلة على مستوى التواصل المغاربي والمشرق العربي.

- إبراز المسيرة التاريخية التي واكبت التطورات التي عرفتها الجزائر منذ تبلور الحركة الإصلاحية وتفاعلات ذلك بوادي سوف.

- محاولة استنطاق بعض رجالات الإصلاح الذين مازالوا على قيد الحياة حتى نستطيع الوقوف على الوقائع التاريخية دون مزايدة.

حدود البحث :

إن بحثنا هو الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها خلال الفترة الممتدة بين 1900 و1939، وهذا لما تمثله هذه المفترة الزمنية من أبعاد تاريخية، حيث يعد مطلع القرن 20م وبروز ملامح مرحلة جديدة في مسيرة النضال الوطني انطلاقا من الشعور بضرورة التخلي عن المقاومة المسلحة بما تركته من آثار سلبية على المجتمع الجزائري، فكان ذلك إعلان عن بدايات جديدة تشهدها الجزائر تكون أكثر نجاعة في النضال السياسي، حيث تمثلت في موجة الإصلاح المتفاعلة نتيجة تأججها بالعالم الإسلامي، خاصة بعد زيارة محمد عبده سنة 1903 للجزائر.

أما عام 1939 فهو تاريخ نهاية الفترة المدروسة باعتباره تاريخ بداية الحرب العالمية الثانية، والتي غيرت من طبيعة الأحداث التي كانت جارية بالجزائر بالإضافة إلى كون الإصلاح أخذ منحى مخالفا لفترة البحث. أما على المستوى المحلي فتعد الفترة الأكثر زخما بالأحداث والتفاعلات. لهذا كانت حدود البحث (1900– 1939).

منهج البحث :

أما المنهج الذي أود إتباعه في بحثي هذا هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بأصوله وقواعده، وهو المنهج الذي يعتمد على رصد الأحداث التاريخية ثم تحليلها تحليلا تاريخيا أتوخى من خلاله الصدق قصد الوصول إلى معرفة الأسباب والظروف التي أثّرت في نشأة الحركة الإصلاحية بوادي سوف والعوامل والدوافع التي وجهتها في الاتجاه الذي سارت فيه، وهذا كله بقصد الوصول إلى نتائج يمكن الخروج بها لتسليط الأضواء على الأحداث التي وقعت خلال تأجج الأحداث المختلفة التي ساهمت الحركة الإصلاحية في توجيهها بالمنطقة، حتى تتضح على حقيقتها وأصولها.

مصادر البحث :

إن أدبيات البحث تتمثل في المصادر والمراجع التي سأعتمد عليها في القيام بهذه الدراسة المتواضعة، والتي يمكن تصنيفها حسب أولويتها على الوجه الآتي :

– الجرائد والمجلات الوطنية ذات الأبعاد الإصلاحية والوطنية التي كانت تصدر في فترة الدراسة وتعد من أهم المصادر في ذاك الوقت، لكون جرائد هذه المرحلة (1900 – 1939) جرائد رأي ومبدأ، ونضال وليست خبر وصورة فقط، وعلى هذا الأساس فإنها كانت الوسيلة الأساسية للمنظمات الوطنية وفي مطلعهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتوصيل معلوماتها وتوجيهاتها إلى القائمين على شعبها والحارسين على مدارسها ومعاهدها عبر جهات البلاد، وعليه أصبحت هذه الجرائد والمجلات سجلا حافلا ومبرزا لكل هذه الأحداث.

– التقارير والنشريات الإدارية الرسمية التي تمكّنت من الحصول عليها والتي يغلب عليها الطابع الاجتماعي والاقتصادي خاصة من ملحقة وادي سوف العسكرية، ثم بلدية الوادي المختلطة بالمنطقة.

– الرواية الشفهية من الأشخاص الذين شاركوا في الحركة الإصلاحية، وشيوخ الطرق الصوفية بالمنطقة.

– المصادر التي تناولت أحوال المنطقة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية سواء العربية منها كتاريخ العدواني والصروف في تاريخ الصحراء وسوف، أو الكتابات الفرنسية مثل :

Exposé de la Situation Générale Des Territoires du Sud de L'Algérie، وهذا عبر سنوات مختلفة باعتبارها بحوث دورية وتقارير سنوية للأحوال الاقتصادية والاجتماعية بمناطق الجنوب.

– المصادر التي تناولت الحركة التعليمية الفرنسية مثل : Bulletin de L'enseignement des

Indigènes de L'Académie d'Alger لسنوات عديدة تدور في فترة البحث.

– كتابات بعض الشخصيات التي كان لها دور في هذه الفترة كالشيخ محمد الطاهر التليلي من خلال بعض مخطوطاته، وبعض التقاييد للعديد من شيوخ المنطقة. بالإضافة إلى الكتابات الفرنسية في تلك الأثناء و التي كان يغلب عليها طابع الاقتضاب وهي محصورة جدا في مواضيع متفرقة مع كونها ذات طبيعة وصــفية في شــكل تقارير عسكرية، وغيرها من الكتابات والوثائق الحديثة مثل الدوريات والمجلات والكتــب الــتي تعرضــت للموضوع بالإسهاب أو الاقتضاب. وصدور مواضيع مختلفة اجتماعية واقتصادية، وثقافية في مجلات ودوريات علمية متخصصة وعامة. بالإضافة إلى المجلات والجرائد المحلية مثل مجلة **الشهاب** وجريدة **البصائر.**

أما المصادر المحلية فهي محدودة وتتناول تاريخ وحالة المنطقة انطلاقا من الأبعاد الحضــارية والاقتصــادية، والاجتماعية والثقافية، ومن أبرزها **" تاريخ العدواني"**، و**" الصروف في تاريخ الصحراء وسوف "** لإبــراهيم ابن عامر من خلال أصول تعمير المنطقة، ومخطوط **" الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة "** و**" فذلكــة في تاريخ وادي سوف "**، ومخطوط **" من تاريخ وادي سوف "** للشيخ محمد الطاهر التليلي، وبعض الوثائق المحلية المتمثلة في أرشيف مديرية المجاهدين لولاية الوادي. أما المراجع فهي عديدة ومتنوعة خاصة الكتابات الوطنيــة ذات الطابع الأكاديمي أو التي رصدت في الدوريات العلمية المتخصصة كمجلة الثقافة، وبعــض الــدوريات الجامعية، وبعض الكتابات التي جاءت على لسان بعض أعضاء الحركة الإصلاحية ككتاب أعلام الإصــلاح للسيد محمد الحسن فضلاء، وبعض المقالات للشيخ حمزة بوكوشة، وغيرها من الكتابات الوطنية والأجنبيــة. بالإضافة إلى الندوات الفكرية كندوة محمد الأمين العمودي، وندوة العدواني وندوة الشــيخ عبــد القــادر الياجوري، وغيرها من الندوات الوطنية العديدة التي تناولت قضايا لها علاقة بالبحث.

خطة البحث :

اعتمدت في بحثي على خطة تتكون من مقدمة، ثم مدخل يعرف بوادي سوف جغرافيا ولمحة تاريخية عــن المنطقة قبل الاحتلال، وثلاثة فصول جاء الأول بعنوان وادي سوف منذ الاحتلال إلى ســنة 1939، وقــد قسمته إلى مبحثين الأول تناولت فيه الاحتلال والسياسة الاستعمارية بالمنطقة، وهذا من خلال ثلاث نقاط هي مراحل الاحتلال، ثم مقاومة الأهلي. أما النقطة الثالثة فتناولت من خلالها السياسة الاستعمارية تجاه المنطقة. أما المبحث الثاني فتناولت من خلاله : الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وتأثيرات المستعمر عليهما. والفصل الثاني عنوانه : الوضع الثقافي وعوامل نشأة الحركة الصلاحية بوادي سوف، وهو الآخر مقسم إلى مبحثين مع تقديم مدخل عنهما تناولت من خلاله ماهية الإصلاح ودوافعه، وقد جاء المبحث الأول تحت عنوان الوضع الثقافي، وهذا للحديث على المؤثرات المختلفة كالطرق الصوفية المهيمنة على الوضع قبل ظهور الحركة الإصلاحية، وما

كان لهذه الطرق من تأثير على مجريات الأحداث في جميع ميادينها، ثم الوقوف على التعليم بجميع أنواعـــه : التعليم التقليدي وتعليم المعاهد الإسلامية، والتعليم الفرنسي، وإظهار السياسة الاستعمارية من خلال تعاملـــها مع الأهلي.

أما المبحث الثاني فخصصته لعوامل نشأة الحركة الإصلاحية التي حددها في عاملين : الهجـــرة، والنخبـــة ودورهما في تأصيل الحركة الإصلاحية انطلاقا من التعليم والصحافة مع محاولة إظهار العلاقة القائمة بين الوضع الثقافي وعوامل نشأة الحركة الإصلاحية، ومدى تمايز المنطقة عن المناطق الأخرى من الوطن. أما الفصل الثالث فكان الحديث فيه عن الحركة الإصلاحية مع تقسيمه هو الآخر إلى مبحثين الأول تناولت من خلاله الحركـــة الإصلاحية من 1900 إلى 1919، وقد خصصته للحديث عن طبيعة ووضع الحركة في هذه الفترة الزمنية، ثم بينت ميادين ومجالات نشاطها، ثم وقفت عند مواقفها من الإدارة الاستعمارية والطرق الصوفية، في حـــين تناولت في المبحث الثاني الحركة الإصلاحية بوادي سوف خلال 1919 – 1939، وفيـــه تطرقـــت إلى الحديث عن ظهور جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف وميادين نشاطها، ثم وقفت على تفاعلاتها ومواقفهـــا السياسية لأنهي بحثي بخاتمة، ثم ملاحق وفهارس.

وأنا من خلال هذا البحث أحاول أن أساهم بقسط قليل في التعريف بمنطقة كان لها دور هام في المشاركة في حركية تاريخ الجزائر، حسبي أنني بهذا البحث المتواضع أفتح نوافذ عديدة أمام الباحثين لتقصي الحقـــائق. كما أنني شعرت برغبة ملحة تجذبني إلى الكتابة في التاريخ الجزئي لمنطقة من مناطق الجزائر، وهذا لما أستحوذ عليه التاريخ العام للبلاد من اهتمام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى موت الشخصيات التي كان لها دور فاعل في هذه الأحداث من قريب أو بعيد. كما أنني وجدت نفسي أمام فسحة، رغم الصعوبات التي واجهتها خلال جمع المادة والبحث عن المعلومة مع صعوبة تفهّم بعض الشخصيات التي كان لها دور، وهذا من باب عدم فتح جبهات قد لا يكون المتحدث قادرا على تفاديها أو مجابهتها نتيجة غياب روح تقبل الحقيقة كما هي عليـــه، وهذا لكون التاريخ لا يحابي أحدا لأنه ليس حديثا فقط بقدر ما هو وثائق وأدلة قاطعة نحاول من خلالها إبداء رأي في قضية معينة. كما يمكن أن نعتبر الزمن عائقا من العوائق التي تجعل من الصعب الإلمام بكل جوانـــب الموضوع، أو أن نقف عند كل الوثائق الأرشيفية. وعلى هذا الأساس أجد نفسي أمام تحديات جمة قد أستطيع تجاوز بعضها. لكن مع هذا كله فإن الخوض في هذه البحوث يتطلب الصبر، والمثابرة قصد إثراء المكتبة الوطنية ببحوث أكاديمية تكون أكثر موضوعية لتقريب الحقيقة التاريخية للباحث، والقارئ على السواء.

مـــدخـــــــــــل :

الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة وادي سوف.

- الإطار الجغرافي لمنطقة وادي سوف.

- الإطار التاريخي لمنطقة وادي سوف.

أولا - الإطار الجغرافي لمنطقة وادي سوف :

إن الحديث عن الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة وادي سوف يستدعينا إلى الوقوف عند التعريف بكلمة وادي سوف من خلال المعاني الدلالية للكلمة، وبعدها نحاول أن نتناول المجال الجغرافي والتاريخي للمنطقة.

1 - المعاني الدلالية لوادي سوف :

وادي سوف منطقة ذات تاريخ عريق، وهي تحمل اسما مركبا من كلمتين : وادي، وسوف، وهي ذات عدة معاني دلالية تنسجم مع طبيعة المنطقة وخصائصها الاجتماعية والتاريخية.

أ – معنى الوادي :

الوادي كلمة تدل على " وادي الماء " الذي كان يتدفق قديما في شمال شرق سوف، وسمي منبعه " وادي الجبل " الواقع ضواحي بودخان، وعقلة الطرودي، والميتة، وهو ذو الفروع العديدة مثل : رافد عيون النازية على مسافة 60 كلم شمال شرقي الوادي، ويدعى هذا الرافد باسم وادي النازية، ووادي الجردانية[1]، وعندما يصل إلى منطقة الشط الشرقي يتفرع إلى ثلاثة روافد، يتجه أحدهم نحو الجنوب الشرقي يدعى " واد وراغ "، وينعطف الثاني شرقا نحو الطريفاوي[2]، ليتجه فرع ثالث نحو الجهة الجنوبية الغربية ويسمى "واد زيتن"[3]. وذكر العدواني[4] مؤرخ المنطقة في القرن 17م، أن الوادي هو غديرة[5] النيل بقوله :« قال الراوي ثم انحدروا إلى سوف وكان فيها يومئذ غديرة النيل... »[6]. وهذا للقصة المتعارف عليها لدى العرب، الذين كانوا يعتقدون أن نهر النيل هو سيد الأنهار، وهذا بتسخير الله كل الأنهار لأجل أن تصب مياهها فيه، فكان ذلك اقتباسا من الأثر الذي روي عن عمرو بن العاص[7].

---

[1] إبراهيم العوامر : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تعليق الجيلاني العوامر، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص ص 48 – 49.

[2] تبعد عن مدينة الوادي بـ 09 كم شرقا.

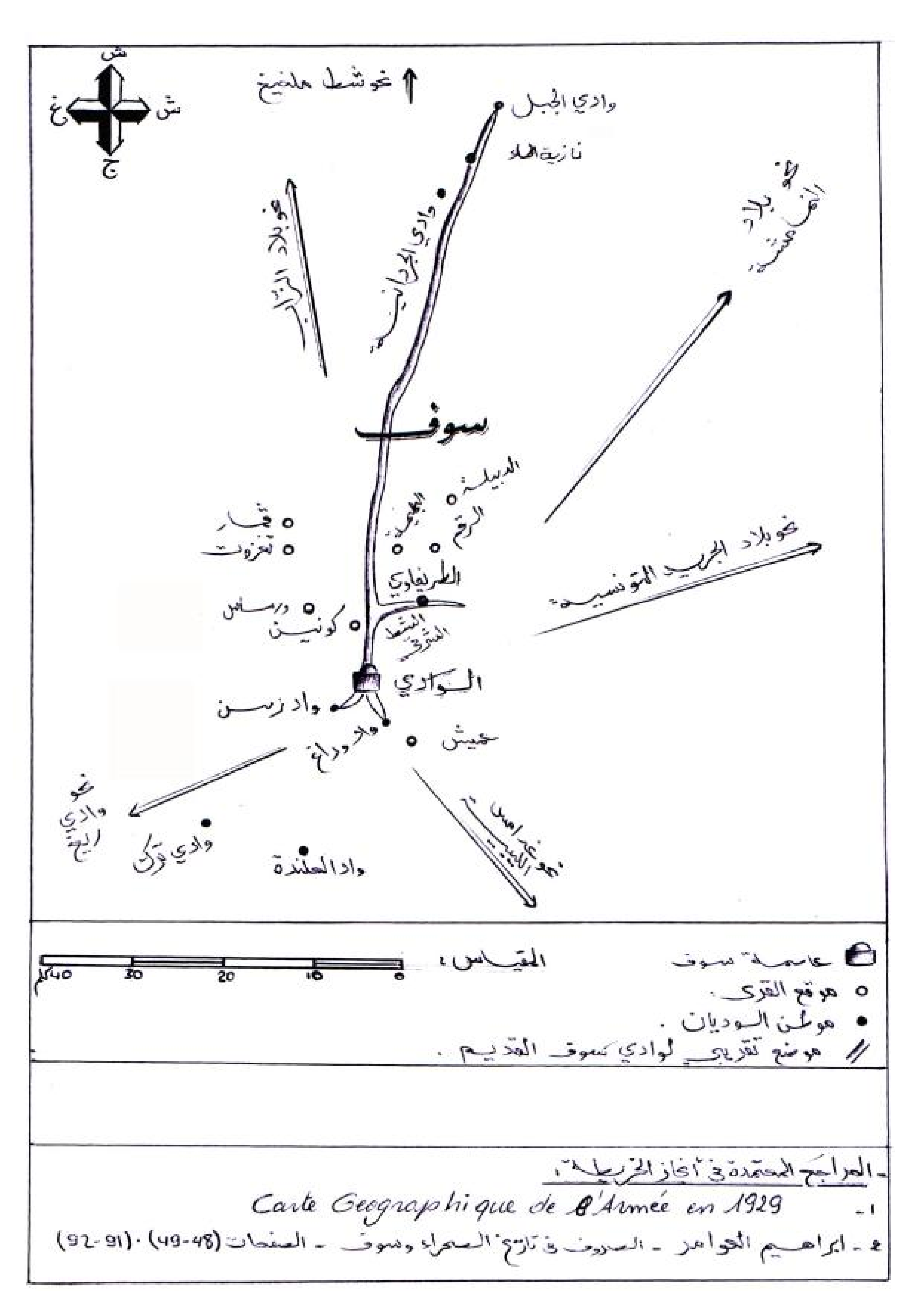
[3] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص ص 91 – 92.

[4] العدواني : هو محمد بن محمد بن عمر العدواني الرحماني دفين الزقم. – ينظر محمد العدواني : **تاريخ العدواني**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 18.

[5] الغديرة : وهي مستنقع الماء الذي يغادره ماء السيل. – ينظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : ، ج 6، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، مصر، (د ت)، ص 312.

[6] محمد العدواني : المصدر السابق، ص 82.

[7] ياقوت الحموي : **معجم البلدان**، مج 5، دار صادر، بيروت، 1977، ص ص 334 – 335.



رسم تخطيطي يوضح موضع تقريبي للمجرى المائي القديم " وادي سوف ".

أما إبراهيم بن عامر فقد ذكر أن قبيلة طرود العربية، حين قدمت إلى المنطقة في حدود عام المنطقة في حدود عام 690 هـ / 1292 م أطلقت عليه اسم " الوادي "، والذي ظل ساري التدفق حتى القرن 8 هـ / 14 م. كما أن الطرود قد شبهوا حركة الرمال التي تذروها الرياح وتحولها من منطقة إلى أخرى بقولهم : « إن تراب هذا المحل كالوادي في الجريان لا ينقطع[1]. ». وهكذا أطلقت تسمية الوادي على مناطق عديدة من إقليم سوف مثل وادي العلندة[2]، ووادي الترك[3].

ب – تعريف سوف :

إن كلمة سوف تعني النهر المائي، حسب ما ورد في الأساطير القديمة التي تطلق على نهر كان يجري بالمنطقة من الشمال إلى الجنوب، ويدعى " واد زوف Oued Zouf " أي النهر الوافر الماء، والذي كان يجري بالمنطقة فغار في أعماق الأرض، و لم يبق إلا أثره، فتغير اسمه إلى " وادي سوف "[4]. كما أن كلمة وادي سوف في لغة الزناتيين البربر تعني النهر[5]، وبعد إجراء مطابقة بين هذه الكلمة والكلمات البربرية القديمة (Souf) (Asouf) ذات المعنى في البربرية الحديثة أسيف (Asif) نجدها توافق معنى "الوادي" أو بمعنى أشمل "النهر" كما تتقاطع نفس الكلمة " وادي سوف " مع اللهجة التارقية في النهر الأبيض[6].

واسم "أسوف" يعود إلى سكان سوف القدماء، وهذا ما أكدته الكتابات التي توصلت إليها حسب ما ذكرها المؤرخون الأباضيون ومنهم أبو زكريا (ت 471 هـ)[7] وأبو الربيع الوسياني في القرن السادس الهجري[8]. كما ذكرت الكلمة دون ألف "سوف" (Souf) في كتاب طبقات المشايخ للدرجيني الأباضي (ت 670 هـ)[9]، فيكون ظهور الكلمة في حدود القرن 13 م؛ أي حوالي سنة 1271. أما في اللغة العربية، فنجد كلمة " السوف " و"السائفة"، وهذا لكون المعنى الجغرافي يفرض نفسه لارتباطه ببعض الخصائص الطبيعية للمنطقة، حيث تعني كلمة السوف والسائفة الأرض بين الرمل والجلد، وهذا حسب قول

---

(1) إبراهيم العوامر : نفس المصدر، ص ص 90 – 153.

(2) تبعد عن مدينة الوادي بـ 20 كلم غربا.

(3) تبعد عن مدينة الوادي بـ 30 كلم غربا.

(4) André Voisin : **Le souf monographie d'une région saharienne**, (manuscrit), 1985, p 03.

(5) J.Scelles millie : **Contes Sahariens du Souf**, Maisonneuve et La Rose, Paris, 1964, p 17.

(6) André Voisin : Op cit, P 03.

(7) أبو زكريا يحي بن أبي بكر : **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي، ج 2، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص 244 – 250.

(8) أبو الربيع الوسياني : **سير مشائخ المغرب**، تحقيق إسماعيل العربي، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص ص 26–83.

(9) أبو العباس أحمد الدرجيني:**كتاب طبقات المشائخ بالمغرب**،تحقيق إبراهيم طلاي،ج1،مطبعة البعث، قسنطينة،1974،ص ص152–153.

أبو زياد : « السائفة جانب من الرمل ألين ما يكون منه والجمع سوائف، وعند تحريك الرياح الرمل فتــدعى المسفسفة[1] »، وهذا ما جعل أهل سوف يطلقون على الرمل اسم "السافي"[2]. ومنهم من ينسبها إلى كلمة " السيوف " وأصلهــا كلمة سيف؛ أي "السيف القاطــع "، كما أطلقــت علــى الكثبــان الرمليــة ذات الارتفــاعات المحدبة التي تشبه السيف[3]، وذكر ابن خلدون أن قبيلة " مســوفة " "MASOUFA" التارقية البربريــة قد مرت بهذه الأرض، فلعلهــا سكنت بها مدة من الزمن، فسميت المنطقة باسمهــــا[4]، وهــذا لوجود بعض المواقــع القريبة من بلاد التوارق لها أسماء سوف أو أسوف مثل إقليم " أدرار " (سوف توت)[4] و"وادي أسوف"[5]، كما ذكرت عبارة " سوف " في رحلة العياشي " ماء الموائد " لما مرّ بالمنطقــة حــوالي 1662[6].

وتعريف وادي سوف قد ورد في كتــاب (**Nouveau Dictionnaire encyclopédique**) باسم " النيل "، وهو نهر صحراوي قديم غطي مجراه الآن بالرمال، وهو التيرتون الــذي ذكــره الجغرافيــون القدماء، وأن الفاتحين العرب الأوائل عرفوه تحت الاسم المطلق للنيل " من نال صار كريمــا "[7]. وأطلقــت تسمية الوادي على عاصمة الإقليم المركزي الإداري لسوف كلها، وهي مدينة الوادي. ومن خلال ماســبق يتضح أن كلا من "وادي" و"سوف" الأولى بالعربية والثانية بالبربرية (الأمازيغية) هي معنى لكلمة واحدة وهو واد متدفق، ثم صار جافا لغور مياهه في جوف الأرض، وهذا ما تدل عليه الكميات المعتبرة من المياه في الطبقة المعروفة باسم (Albien)[8]،وهي الطبقة المائية الجوفية الارتوازية الساخنة.

كما أن أشجار النخيل تتصل جذورها مباشرة بالماء الموجود في الطبقة الدوتروية بالمنطقة، مما يبقي علــى استمرارية حياة ونمو هذه النخيل، لوجود نهر جوفي متحرك؛ لأن المياه الراكدة تقتل الأشــجار الــتي تعــيش

---

(1) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : ، ج 11، ص 66.

(2) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، (مخ)، مكتبة النادي السياحي، قمار، ص 128.

(3) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 39.

(4) ابن خلدون :**كتاب العبر وديــوان المبتــدأ والخبــر في أيــام العــرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج 6، دار البيان، (د – ب)، (د – ت)، ص198.

(4) تقع جنوب الصحراء الغربية بوادي الذهب.

(5) تقع جنوب عين صالح. - ينظر **الأطلس العالمي**، المعهد التربوي الوطني الجزائري، الجزائر، 1983، ص 31.

(6) مولاي بلحميسي : **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص 39.

(7) Julles Trousset : **Nouveau Dictionnaire encyclopédique**, V 4, Librairie illustrée, Paris, 1980, p 321.

(8) J. Scelles Millie : Op cit, p 17.

عليها[1]، وعند نضوب المياه على السطح صارت الرمال تغطي الوادي مشكلة العرق السوفي على شكل وادي الرمال، فصار يطلق على مصطلح " وادي سوف " " وادي الرمال "[2]. أما أول من ذكره بهذا الجمع "وادي سوف" هو الرحالة الأغواطي في حدود 1829م[3]، لينتشر فيما بعد على يد المحتلين الفرنسيين منذ دخولهم المنطقة، وقد جاء ذكر هذا المصطلح أول مرة في تقرير الطبيب إيسكارد سنة 1886[4].

2 - الإطار الجغرافي :

ومن خلاله سنتناول الحديث عن الموقع والحدود، ومظاهر السطح والمناخ. فمن حيث الموقع فـإقليم وادي سوف يقع جنوب شرق الجزائر، وهو جزء من العرق الشرقي الكبير، يحده من الشرق نفطة ونفزاوة، وهـي حدود تونسية، ثم بئر رومان وغدامس[5]، ومن الجنوب واحات غدامس على الحدود الليبية، ومـن الغـرب وادي ريغ (توقرت – وتماسين) وورقلة[6]، ومن الشمال بلاد الزاب بسكرة، ليمتـد إلى جبـال الأوراس والنمامشة وإلى منطقة نقرين[7]. أما موقعه الفلكي، فهو يقع بين خطي طول 6º و8º شرقا وبـين دائـرتي عرض 32º و34° شمالا[8]، في حين يبلغ الامتداد من سطيل[9] في الشمال إلى غدامس جنوبا حوالي 620 كلم، وتبلغ مساحة وادي سوف 82.800 كلم²،. والإقليم محاط طبيعيا بشطوط عديدة وهـي : شـط مروان وشط ملغيغ، وشط الغرسة من الشمال، وشط الجريد من الجهة الشرقية، وشط وادي ريغ بالغرب[10]. أما السطح فإقليم وادي سوف تسوده مظاهر العرق حيث نجده في غالبه ينتمي إلى العرق الشرقي الكـبير إذ تغطي الرمال معظم أراضيه (ثلاثة أرباع المساحة الإجمالية)[11]، وهي رمال ناعمة تشبه الدقيق ذات ألوان

---

(1) جورج غيرستر : **الصحراء الكبرى**، تعريب خيري حمادي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961، ص 101.

(2) علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ / 19 م**، رسالة ماجستير، (مخ)، تحت إشراف عمـر ابـن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001 - 2002، ص 08.

(3) أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 260.

(4) D. Escard : **Etude médicale et climatologique sur le pays d'El-oued souf**, publiée dans les archives de médecine militaire en 1886, T 7, p 33.

(5) Marc Robert Thomas : **Sahara et Communauté**, presses universitaire de France, Paris, p 37.

(6) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 37.

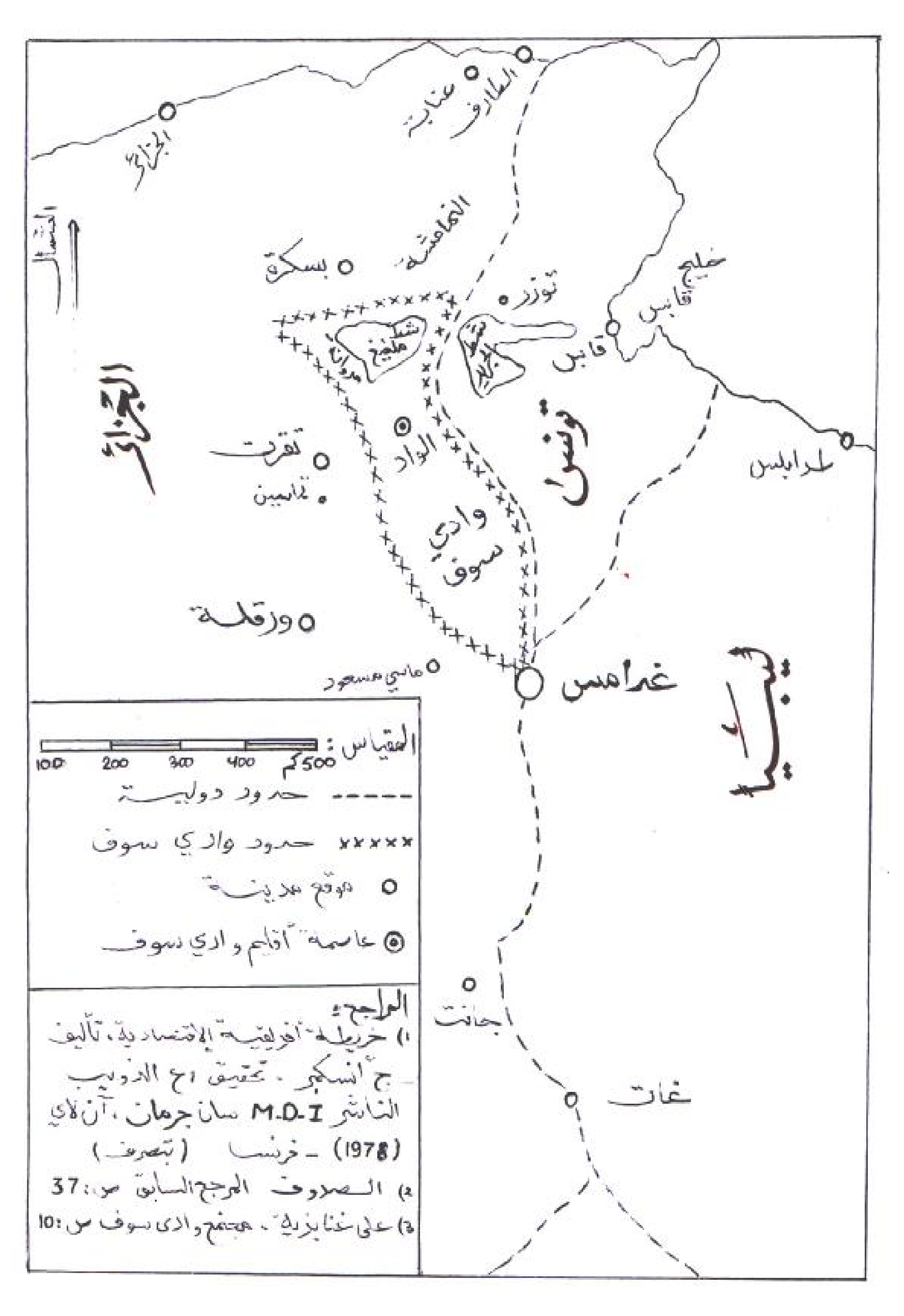
(7) Ahmed Nadjah : **Le souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971, p 10.

(8) **Carte de Touzeur**, publiée par le service géographique de l'armée Française en 1929.

(9) تبعد عن الوادي بـــ 160 كلم شمالا.

(10) André voisin : Op cit, 03.

(11) André voisin : Op cit, p 12.



خــريطة مــوقع وحدود وادي سوف.

صفراء وبيضاء[1] تتحكم الرياح في حركتها، مما نتج عن ذلك شكلين اثنين من الرمال هي :

– الكثبان الرملية وتتواجد بصورة كبيرة في سوف، وتختلف من حيث ارتفاعها، حيث يصل أحـــدها إلى 200 م، وهي تدعى بالغرود[2].

– المنخفضات والأودية وتعد سوف أخفض نقطة في العرق الشرقي الكـــبير[3]، وتوجـــد المنخفضـــات والأودية بين الكثبان الرملية.

أما الحمادات الرملية فتتواجد شمال إقليم سوف، وتبدو في شكل طبقات حجرية متنوعة تحت الرمال، مع اختلاف سمك الرمال المتراكمة فوقها من جهة إلى أخرى، وهي "الترشة"، عبارة عن حجـــارة صـــغيرة ذات أشكال متعددة تستغل لصناعة الجبس، وهي موجودة بمنطقة البهيمة[4] وسيدي عون[5]. و" اللوس " الـــتي في شكل حجارة متشابكة ذات رؤوس متعددة لماعة، وهي صلبة تستغل في البناء، وتوجد بغمرة[6] والمقـــرن[7] وشرق الزقم[8]، و" الصلصالة " أو "السميدة" فتوجد في غمرة والدبيلة[9]، والمقرن، وتســـتعمل للبنـــاء[10]، ومتوسط ارتفاع السطح في عمومه 80م، وينخفض دون مستوى سطح البحـــر بـــــ 25م عنـــد شـــط ملغيغ[11]. أما المناخ السائد بالإقليم هو المناخ الصحراوي القاري الشديد الحرارة صيفا، والشديد البرودة شتاء بسبب جفافه، وهو حار طول أيام السنة، حيث يصل المتوسط الحراري في الفصل الحار (الصيف) إلى 34°م، لتفوق في بعض أيام الصيف 50°م، مما يزيد في التهاب حرارة السطح ذي الرمـــــال، وفي الشـــتاء يكـــون المتوسط الحراري 10°م[12]، وعند اشتداد البرودة خاصة ليلا تنخفض إلى ما دون الصفر[13].

---

(1) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 41.

(2) André voisin : Op cit, p 12.

(3) Gouvernement générale de l'Algérie : **Les territoires du sud de l'Algérie**, Imprimerie Algérienne, Alger; 1929; p 82.

(4) تبعد عن مدينة الوادي بـــ 10 كلم بالشمال الشرقي.

(5) تبعد عن مدينة الوادي بـــ 20 كلم بالشمال الشرقي.

(6) تبعد عن مدينة الوادي بـــ 20 كلم بالشمال الغربي.

(7) تبعد عن مدينة الوادي بـــ 25 كلم بالشمال الشرقي.

(8) تبعد عن مدينة الوادي بـــ 13 كلم بالشمال الشرقي.

(9) تبعد عن مدينة الوادي بـــ 20 كلم بالشمال الشرقي.

(10) Ahmed Nadjah ; Op cit, p 14.

(11) Ibid; p 14.

(12) André voisin : Op cit; p 25.

(13) M. CH. Lutaud : **Exposé de la situation générale des Territoires du sud**, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1908, p 158.

أما الأمطار فهي نادرة شحيحة بسبب بعد المنطقة عن البحر، حيث يبعد عن سوف بحوالي 560 كلـــم، ومن خليج قابس يقدر البعد بحوالي 350 كلم[(1)]، وسقوطها ينحصر بين شهـــري نوفمبر وفيفري، وعنـــد غزارتها تتسبب في أضرار مادية على المساكن، وواحات النخيل، أما المتوسط السنوي للتساقط بالمنطقة يقـــدر بـــ 80,3 مم[(2)]. والرياح تحدث نتيجة جفاف المنطقة وندرة التساقط، وانعدام خصوبة التربة، فهذه كلـــها عوامل مساعدة على هبوبها بصفة دائمة معظم شهور السنة بنسب وسرعة متفاوتة، وهي أنواع[(3)] منها الحارة والباردة.

ثانيا – الإطار التاريخي لمنطقة وادي سوف :

إن الحديث عن المنطقة يفرض على الباحث معرفة جذورها التاريخية ولو بإيجـــاز، ووادي ســـوف رقعـــة جغرافية من الجزائر ذات جذور تاريخية ضاربة في القدم باعتبارها امتداد جغرافي لها، ظل يشـــهد تطـــورات متعاقبة وهذا حتى القرن 19م. فخلال هذا القرن ظلت أصول السكان عبارة عن مزيج يتكون مـــن بطـــني عدوان وطرود[(4)] ينتشرون في مواقع متعددة من وادي سوف، منها قمار والدبيلة، والبهيمة مضافا إليها عميش والرقيبة، ووادي العلندة، وغيرها من التجمعات السكانية التي ظهرت خلال القرن 19م[(5)]، ومع هذا عرفت سوف قدوم بعض القبائل الأخرى، وهذا في النصف الثاني من القرن 19م، منها الشعانبة، وهـــي عـــائلات هاجرت من ورقلة من أولاد عمران، وهذا في حدود 1886[(6)]، ليظل عرشا عدوان وطرود العنصر الغالب في المجتمع بوادي سوف. ومنطقة سوف كغيرها من مناطق الجزائر عرفت الاحتلال الفرنسي، والكلام علـــى مراحل هذا الاحتلال لمنطقة وادي سوف يستوقفنا عند وضع سوف قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائـــر ســـنة 1830، حيث استطاعت فرنسا أن تحقق انتصارا على حساب الداي حسين الذي لم يفوق تعـــداد جيشـــه الإنكشاري النظامي سوى 6000 رجلا، وهو قوة صغيـــرة لا تستطيع تحقيق الأمن والنظـــام بـــالبلاد[(7)]، فكيف يمكن لهذه السلطة الضعيفة أن تكـــون ذا تأثير على أطراف مترامية من الجزائر خاصة الصحراء، ومن

---

(1) André voisin : Op cit, 25.

(2) Ahmed Nadjah : Op cit, p 23.

(3) Ibid, p 23.

(4) بوجمعة هيشور : " انثربولوجيا وادي سوف (ملامح تاريخية لعرشي عدوان وطرود) "، **جريدة النصر**، العدد 6349، الخميس 28 أفريـــل 1994.- C . Cauvet : **Note sur le souf et les souafas**, bulletin de la société de géographie d'Algérie , Alger, 1934, p 64.

(5) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 106.

(6) C . Cauvet : Op cit, p 63.

(7) أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**،ط3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1982،ص 36.

بينها وادي سوف؟

إن الإجابة على هذا السؤال يقودنا إلى التعرف على طبيعة النفوذ الذي كان العثمانيون يسيرون به البلاد وأرجائها الواسعة، حيث كان يعين بالمناطق الجنوبية " شيخ العرب " الذي يقوم بعملية جمع الضرائب، والتي تعاظمت خصوصا في أواسط القرن 18م عندما تراجعت غنائم الجهاد البحري[1]. وفي حالة عصيان المناطق الجنوبية على تقديم الضرائب يرسل البايلك حملات عسكرية تأديبية إلى تلك الجهات فتأخذ منها عنوة، ويتكرر ذلك كلما تجدد عصيانها[2]، ووادي سوف إقليم بالجنوب الشرقي، فهي من حيث التقسيم الإداري في العهد العثماني تتبع بايلك الشرق، لتظل حتى الاستقلال 1962 تابعة لعمالة قسنطينة، وعلى هذا الأساس فإن هناك ثلاثة أطراف أثرت على المناطق الجنوبية الشرقية سياسيا في هذا العهد وهي :

1 – شيخ العرب : والذي تنافس على قيادته عائلتان هما :

أ - عائلة بو عكاز[3] :

التي تعود إلى الحاج علي بن عكاز السخري الذواودي رأس أحد العائلات الصحراوية الكبيرة، وهي عائلة الذواودة التي تشرف على المناطق الواقعة جنوب إقليم قسنطينة، والتابعة لـه[4]. وقد آلت المشيخة بعد الحاج علي بن عكاز السخري الذواودي إلى الأحفاد، حتى وصلت إلى الشيخ أحمد بن محمد السخري الذي توفي سنة 1790، فبقي هذا المنصب بعده شاغرا لعجز كبار شيوخ العائلة عن ترشيح أحدهم لشغله، حتى بداية القرن 19م، والذي تولاه أحد أحفاد الشيخ أحمد بن حد السخري، وهو فرحات بن سعيد[5] الذي لعب دورا هاما، وكانت له علاقات ميزها التوتر حينا والألفة أحيانا أخرى بأهالي وادي سوف[6]، ومن بعده ابنه علي باي[7].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي : **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**،ج4،وزارة الثقافة والسياحة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص 31.

[2] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 13.

[3] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 139.

[4] محمد خير الدين : **مذكرات**، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ت)، ص ص 41 – 43.

[5] محمد خير الدين : نفس المصدر، ص 52.

[6] محمد الطاهر التليلي : " فذلكة تاريخية عن منطقة " سوف " بالجزائر "، تحقيق أبو القاسم سعد الله، **مجلة العرب**، ج 11 – 12، المملكة العربية السعودية، السنة 37، جويلية وأوت، 2002، ص ص 546 – 547.

[7] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 14.

ب - عائلة بن قانة :

وهي نسبة إلى امرأة تدعى (قانة) هي جدة هذه العائلة، حيث تعود أصول هذه الأسرة إلى جبل جرجرة، فكانت لسليمان بن محمود علاقة " بأحمد القلي "، فتوطدت هذه العلاقة إلى أن وصلت إلى رابطة مصاهرة بين الرجلين، حيث زوج سليمان ابنته مباركة إلى أحمد القلي، والتي أنجبت له محمد الشريف بن أحمد القلي[1]، وهذا الأخير تزوج من رقية ابنة الحاج بن قانة شيخ العرب[2]، وولدت له الحاج أحمد باي آخر بأيات بايلك الشرق الجزائري، ومن ناحية أخرى زوج أحمد القلي أخت زوجته لابن شيخ العرب من أسرة بو عكاز بن عاشور[3]، فصار الحاج بن قانة صهرا لبو عكاز[4]. وعند تعيين أحمد القلي بأيا على قسنطينة (1756 – 1771) التفت هذا الأخير إلى صهره محمد الحاج بن علي بن سليمان ابن قانة فعينه شيخا للعرب عام 1762 [5]، فكان ذلك كافيا لإحداث صراع بين الصهرين بو عكاز وابن قانة[6]، ودام ذلك الصراع إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري، و لم يكن أهل سوف في منأى عن هذا الصراع، وإنما توزع ولاؤهم إلى طرفين :

- الطرف الأول : وهم الطرود متمثلين في أهل قمار والوادي والبهيمة والدبيلة يوالون بو عكاز، ويرتبطون مع تماسين[7].

- الطرف الثاني : والمؤلف من أولاد سعود [8] ويضم الزقم وتاغزوت، وكوينين يوالون عائلة ابن قانة ويرتبطون مع بني جلاب في توقرت[9].

---

[1] محمد خير الدين : المصدر السابق، ص 64.

[2] أبو القاسم سعد الله : **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 139.

[3] احميدة عميراوي : " مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب من خلال وثائق نادرة "، **مدونة ملتقى مقاومة الشريف بن عبد الله بورقلة،** جمعية الانتفاضة الشعبية التاريخية، ورقلة، فبراير 1998، ص 36.

[4] يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19 – 20 م**، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص 182.

[5] احميدة عميراوي : المرجع السابق، ص 36.

[6] يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 182.

[7] محمد الطاهر التليلي : " فذلكة تاريخية عن منطقة سوف "، ص 546.

[8] محمد الطاهر التليلي : نفس المصدر، ص 546.

[9] André Voisin : Op. cit, p 44.

2 – إمارة بني جلاب[1] :

حكمت أسرة بني جلاب توقرت ونواحيها وكونت إمارة أو مشيخة في وادي ريغ، وعاصمتهـا توقرت، وهي أصل من بني مرين جاء جدهم من المغرب الأقصى، وسمي جلاب لامتلاكه الجلب (الغنم)، وهناك رواية أخرى تقول أنه كان يجلب الناس بفضل خيره عليهم[2]، ليمتد نفوذها إلى بلاد الجريد بما فيه منطقـة وادي سوف[3].

أما تأسيس هذه الإمارة فيعود إلى الحاج "سليمان بن رجب بن جلاب المريني الزناتي" سنة 854 هـ / 1450 م ليتوارث أبناؤه من بعده هذه الإمارة[4]. غير أن منطقة سوف كانت حينذاك تابعة صوريا لسلطان توقرت، حيث كانت بعض قراها تدفع ضرائب سنوية رمزية، بينما امتنعت بعض القرى الأخرى عن دفع هذه الضرائب رافضة نفوذ بني جلاب[5]، فكان ذلك كافيا لجعل بعض سلاطين بني جلاب يعدّون حملات تأديبية على هذه القرى الرافضة لسلطتهم، والعمل على إخضاعها وإجبارها على تأدية ودفع الضرائب المنتظمـة[6]، ومن تلك الحملات نجد :

- حملة الشيخ أحمد بن عمر الجلابي[7].
- حملة الشيخ فرحات بن عمر بن محمد الجلابي[8].

وهكذا ظلت منطقة سوف في تجاذب بين هذه القوى المتصارعة، غير أن المؤكد هو أن سوف كانت تابعة لبايلك الشرق إداريا، رغم أن العثمانيين كانوا يظنون بعد كل حملة أنهم تمكنوا من بسط نفوذهم النهائي على مناطق وادي ريغ وسوف، لكن بمجرد رجوعهم يظهر لهم اهتزاز ذلك الولاء وتراجعه بسبب :

---

[1] ينظر معاذ عمراني : **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 – 20م**، رسالة ماجستير، (مخ)، تحت إشـراف فاطمـة الزهراء قشي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،1423هـ/2003م،ص ص 17–19.

[2] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 15.

[3] عبد الرحمان الجيلالي : **تاريخ الجزائر العام**، ج 3، ط 7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 264.

[4] أحمد توفيق المدني : **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766 - 1791)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 139. - معاذ عمراني : المرجع السابق، ص ص 20 – 28.

[5] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 15.

[6] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 212.

[7] محمد الطاهر عبد الجواد : " عاصمة وادي ريغ (تفرت) أيام بني جلاب "، **مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جـلال في منطقـة وادي ريغ**، 1998، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتوقورت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999، ص 50.

[8] محمد الطاهر عبد الجواد : نفس المرجع، ص 50 – محمد الطاهر التليلي : " فذلكة تاريخية عـن منطقـة " سـوف " "، ص ص 546 - 547.

– بعد إقليم سوف عن عاصمة البايلك، وعدم اهتمام السلطة العثمانية بتطوير هذه المناطق.

– إرهاق السكان بالضرائب، ومحاربتهم إذا ما رفضوا دفعها.

- سيادة الطابع القبلي وتنامي الخلافات بين القوى المتصارعة حول فرض سيادة النفوذ على المنطقة ورغبة أهالي الإقليم التحرر والاستقلالية.

الفصــــل الأول :

وادي سوف منذ الاحتلال إلى 1939

(سياسيا - اقتصاديا واجتماعيا).

أولا : الاحتلال والسياسة الاستعمارية بالمنطقة.

1 - مراحل الاحتلال.

2 - مقاومة الأهالي.

3 - السياسة الاستعمارية تجاه المنطقة.

ثانيا : الوضع الاقتصادي والاجتماعي.

1 - الوضع لاقتصادي.

2 – الوضع الاجتماعي.

3 - السياسة الاستعمارية وآثارها على الوضع الاقتصادي والاجتماعي.

إن الأوضاع السياسية، والاقتصادية والاجتماعية لإقليم وادي سوف لا تختلف عن المناطق الأخرى من الجزائر، حيث شهدت المنطقة مراحل احتلال أثرت على حركة وتفاعلات السكان بالمنطقة، مما جعل السياسة الاستعمارية تنعكس سلبا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، رغم محاولة المستعمر التظاهر بروح التحضر، وذلك من خلال القيام بتغييرات القصد منها إشباع الرغبة الاستعمارية، وذلك عن طريق توظيف خيرات المنطقة ماديا وبشريا. لكن مع ذلك برزت مقاومة اختلفت أشكالها من حين لآخر حسب الظروف، وهذا وفق السياسة الاستعمارية التي ينتهجها المستعمر علما أن المنطقة لم تشهد سوى الحكم العسكري الذي كان سائدا بالمناطق الجنوبية، لكن رغم ذلك استطاعت أن تساهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وعلى هذا الأساس نحاول رصد الأوضاع السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، حتى نستطيع الحديث عن موقف وتفاعل أهالي وادي سوف مع الحركة الإصلاحية، ولكي نصل لذلك لابد من الوقوف على تحديد المظاهر السياسية، والاقتصادية والاجتماعية خلال الفترة الاستعمارية للمنطقة منذ الاحتلال إلى 1939، والمنعكسة على السكان والحركة الإصلاحية سلبا وإيجابا رغم ما للمنطقة من طبيعة صحراوية متميزة، وهذا انطلاقا من الإجابة على التساؤلات الآتية : - كيف تم احتلال المنطقة؟ - وما هي ردود أفعال الأهالي ؟ - ما طبيعة الوضع الاقتصادي والاجتماعي؟ وكيف ساعد ذلك الوضع على بروز العوامل المساعدة في نشأة الحركة الإصلاحية بالإقليم؟ - وفي ماذا تمثلت تأثيرات السياسة الاستعمارية على كل وضع؟

أولا - الاحتلال والسياسة الاستعمارية بالمنطقة :

1 – مراحل الاحتلال :

إن الجنوب الشرقي كان يعيش حدث الاحتلال المروّع أثناء التوغل الفرنسي فيما بين 1830 إلى 1853، خاصة بعد سقوط مدينة الجزائر، واستسلامها للفرنسيين في 05 جويلية 1830 فأثر على أهالي وادي ريغ وسوف، حيث ترك في نفوسهم الهلع والفزع، ودخلت المنطقة بأكملها في حروب واضطرابات، ودبّ التنافس في نفوس القبائل وأبناء الأسرة الجلابية بتوقرت[1]. وبعد محاولات التردد التي انتابت فرنسا والأحوال السيئة التي عصفت بالعاصمة الفرنسية خلال ثورة جويلية 1830، وبعد أربع سنوات من الاحتلال استطاعت فرنسا تثبيت وجودها الاستعماري بموجب مرسوم 24 جويلية 1834 الذي أصدره الملك لويس فليب[2]، وراح الفرنسيون يواصلون محاولات توسعاتهم، وهذا عن طريق الاستيطان من خلال

---

[1] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 229.

[2] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ص ص 30 – 31.

توظيف أساليب عدة من الدعاية الاستعمارية[1].

بالإضافة إلى قوة المستثمرين المعمرين الأثرياء في ابتياع الأراضي الفلاحية، حيث هاجر الفلاحون من اسبانيا إلى الغرب الجزائري، ومن مالطا وإيطاليا وكورسيكا إلى الشرق الجزائري، وهذا لأن الجزائر أصبحت مقاطعة من مقاطعات فرنسا بموجب إعلان الملك لويس فليب سنة 1834. كما تقرر في عام 1840 احتلال البلاد كلها، وهذا بتعيين الجنرال بيجو حاكما سنة 1841 فاستهل حكمه بتطبيق سياسة الاستيطان الرسمي في مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجنوب ليتسع هذا الاستيطان ويتضح خاصة خلال الفترة الممتدة بين 1848 و1852[2]. وأمام هذه الوضعية زادت رغبة القوات الفرنسية في الزحف شرقا وغربا وجنوبا، فاصطدمت بمقاومتين أخرتها عن الوصول إلى الجنوب حوالي عشرين سنة وهي:

- مقاومة الحاج أحمد باي (1836 – 1848).
- مقاومة الأمير عبد القادر (1832 – 1847).

لكن رغم هذه المحاولات الجادة المفعمة بروح الجهاد، فقد كانت النتائج سلبية ولصالح الفرنسيين، مما شجّعهم على إحكام قبضتهم على منطقة الزيبان مع نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتستمر القوات الفرنسية في توغلها نحو مناطق الجنوب المتاخم للزيبان، ومنها منطقة وادي ريغ ووادي سوف.

وظهر دور وادي سوف في تقديم يد المساعدة لكل من المقاومتين وهذا انطلاقا من اختلاف الولاءات تبعا لكل عرش من عرشي طرود وسعود. ففي مقاومة أحمد باي كان دور وادي سوف قد برز منذ أن اهتدى الحاج أحمد بأي إلى فكرة إنشاء " زمالة "، وهذا بعد أن اقترح الفكرة على رفاقه لمحو الهزيمة إثر سقوط قسنطينة في الهجوم الثاني يوم 13 أكتوبر 1837، وتتكون الزمالة من عائلاتهم وأطفالهم وأموالهم قصد التوجه إلى الصحراء لتكون في مأمن عن الأخطار تحت حماية المشاة ، ثم يعودون إلى قسنطينة ويتمركزون في طريق عنابة للكيد بالمستعمر، كما أن خاله بو عزيز بن قانة أيده في ذلك بدعوى أن فرحات بن سعيد يهددهم ويشكل خطرا عن مقاومتهم لولائه للأمير عبد القادر، فقبل الباي الاقتراح على مضض، وهذا حسب ما جاء في مذكرات الحاج أحمد باي نفسه[3]، وخلال شهر ديسمبر 1837 اصطدمت قوات الحاج أحمد باي وفرحات بن سعيد في معركة ضارية بواحة الصحيرا، مما اضطر الحاج أحمد باي إلى الانسحاب من

---

[1] احميدة عميراوي : **من الملتقيات التاريخية الجزائر**، مطبعة البعث، قسنطينة، 2000، ص ص 133 – 150.

[2] جوان غليسبي : **الجزائر الثائرة**، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص 15.

[3] محمد العربي الزبيري:**مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 77.

بســكرة، والاحتمــاء بــوادي ســوف، ومن هناك راســل الحاج أحمــد بــاي[1] " المشــير أحمــــد بــاشا بــاي "[2] باي تونس طالبا منه الرأفة برفاقه الذين اضطرتهم الظروف إلى اللجوء إليه، مع تقديم اعتذار عن عدم قدرته في المجيء إليه[3].

وبعد استيلاء المستعمر على الزيبان صارت المنطقة الجنوبية غير آمنة، فانتقلت مقاومة الحاج أحمد باي نحو الأوراس، وفي الأخير استسلم معلنا إنهاء مقاومته ضد الفرنسيين في شهر جوان عام 1848[4]. أما بالنســبة لمقاومة الأمير عبد القادر فقد تمثل دور المنطقة في مؤازرته، وهذا من خلال ما أكده صاحب كتاب **الصروف** بأن العمــالة الأميريــة منتشرة بمنطقــة سوف[5] لكن الأمير يؤكد في مذكراته أن سلطته لم تبسط علــى المنطقة :«...وليس ســوى أربعة مراكز لم تصلها بعد سلطتي وهي ميــــزاب وورقلــة وتــوقرت ووادي ســوف...»[6]. لكن المقاطعــة الثانيــة، وهي مقاطعــة " الزيبــان " والصحــراء الشرقيــة وعاصمتهــا بســكرة كــانت تــابعة لسلطــة الأمــير، وهي أكثــر تفــاعلا مــع وادي ســوف، كمــا كــانت تمثــل الخــط الــرابط بيــن بايلــك الشــرق ووادي ســوف، وتشهــد تحركــات المقاومــــة الــتي يقــودها الحاج أحمــد بــاي كمــا سبق الذكر. وأن الذين ولاهم الأمير خلفاء له كان أكثرهم على صلة وثيقة بسوف، ومنهم فرحات بن سعيد الذي كان حليف "الطرود" السوافى، والذي استنجد بالأمير فأنجــده بأمر خليفته على المدية (البركاني) أن يجمع قواته وأن يزحف على بسكرة، وقد استقبله فرحات بن ســعيد بصدر رحب، وهاجما معا أحمد باي الذي فرّ من أمامهما نحو الصحراء[7]. ومن خلال ما سبق نلاحــظ أن الجنــوب لم يكــن بعيــدا عن هاتــين المقــاومتين بمــا فيــه وادي سوف التي كانت حاضرة بــدورها حين رفــع كل منهمــا لواء المقاومة، وهذا انطلاقا من وازع الولاءات نتيجــة الصراع القــــديم بيــــن عــرشي طــرود وسعــود.

---

(1) يحي بو عزيز: " معارك للحاج أحمد باي في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية "، **مجلة الثقافة**، العدد 90، الجزائر، نوفمبر – ديسمبر، 1985، ص ص 127 – 129.

(2) وقد كانت فترة حكمه ما بين (1253 – 1271هـ). ينظر أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي : **مســامرات الظريــف بحســن التعريف**، تحقيق وتعليق محمد الشاذلي النيفر، ج 1، ط 1، المقدمة، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيــع، تــونس،1983، ص ص 51 – 54. (1837 – 1855م). ينظر علي غنابزية : المرجع السابق،ص 26. (هامش رقم 01.)

(3) يحي بو عزيز: " معارك للحاج أحمد باي في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية "،ص 129.

(4) يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر**، ص 50.

(5) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 230.

(6) شارل هنري تشرشل : **حياة الأمير عبد القادر الجزائري**، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تــونس، الشــركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 136.

(7) شارل هنري تشرشل : نفس المصدر، ص ص 163 – 164.

2 - ظروف الاحتلال الفرنسي لوادي سوف ومراحله :

إن التوسع الفرنسي كان حتميا، وهذا بعد سقوط بايلك الشرق عند سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837، وعلى إثرها بدأت فرنسا تفكر في مواصلة الزحف نحو الجنوب الشرقي والتوسع في أطراف الصحراء، ومنها منطقة وادي سوف بالخصوص، وهذا لتوفر دوافع وعوامل عديدة منها اعتبارات استراتيجية وأخرى سياسية وثالثة أمنية وعسكرية يمكن حصرها في :

- إعداد الفرنسيين لعملية التوسع والاكتساح الكلي قصد بسط نفوذهم في بقية أجزاء الجزائر، علما أن هذه العملية تعودوا على تسميتها بالاستكشاف لمعرفة هذا المحيط من الرمال الصفراء بواحاته الخضراء المتناثرة هنا وهناك، فارتبط ذلك العامل باستغلال ثروات الصحراء الاقتصادية والبشرية مع القيام بدراسة المجموعات السكانية، وتقاليدها وعاداتها وتاريخها السياسي والحضاري، والأحوال الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية.

– اعتبار إقليم " وادي سوف " منطقة عبور إلى تونس وطرابلس، وهو مجال مواصلات مفتوح يسهّل التنقلات بمختلف أشكالها، ويوفر الأمن للحدود الجنوبية الشرقية في نظر المستعمر الفرنسي.

– بروز فكرة إنجاز مشروع السكك الحديدية التي تربط أجزاء واسعة من صحراء الجزائر الشرقية منها والغربية بمناطق ودول إفريقية يصاحبها مدّ الطرق البُّرية، وأسلاك الهاتف لتسهيل سبل التحرك في ظروف آمنة، تخدم التوسعات العسكرية[1].

– اهتمامات فرنسا بإيجاد مشروع بحر داخلي صحراوي [2]، لإحداث تغيرات طبيعية مناخية للصحراء، فكانت أحواض الجريد التونسي، وأحواض بسكرة ووادي سوف محل اهتمامهم، لربطها بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق شط فجاج إلى خليج قابس[3]، ثم إلى البحر المتوسط.

– اعتبار مناطق الجنوب خاصة " وادي سوف " مركزا هاما، لتقديم الدعم المادي والمعنوي للمقاومين ضدّ فرنسا وذلك بتزويدهم بالمؤونة والرجال. وإثارة المقاومين الشعبيين والحكام المحليين في الصحراء مخاوف بايات تونس تجاه فرنسا مع طلب يد العون لهم مثلما فعل الحاج أحمد باي سنة 1838، وسلطان توقرت سلمان

---

(1) يحي بو عزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 64 – 65.

(2) G. Desire Vuillemin : " Les premiers projets du transaharien et l'Afrique du nord 1878 –1881 ", **Revue d'Histoire Maghrébine**, N° 7 – 8, Tunis, Janvier 1977, p p 107 121.

(3) Jacques Valette : " Les projet de " Mer Intérieur " du colonel ROUDERE et la politique coloniale de la III^{e} république ", **Revue d'Histoire Maghrébine**, N° 7 – 8, Tunis, Janvier 1977, p p 251 – 258.

الجلابي سنة 1853[1].

– المساعي الحثيثة للفرنسيين في إطار الصراع مع القوى الأوروبية المتنافسة في السيطرة على تونس وليبيا، فكان هذا حافزا قويا من أجل احتلال الجنوب الجزائري حتى تكون القوات الفرنسية على مقربة من أي تحرك من حدود تلك البلدان، واستغلالها في وقت الحاجة. وانطلاقا من هذه العوامل والدوافع شرعت فرنسا في إنجاز مخططاتها الاستعمارية الاستيطانية في الجنوب الصحراوي تباعا لسياسة المراحل التي دامت أكثر من أربعين سنة والتي يمكن حصرها في ما يخص إقليم سوف في المراحل التاريخية الهامة التالية :

أ - الرحلات الاستكشافية (1832- 1858) :

الحملات الاستكشافية هي المراحل الاستطلاعية التي كانت تقوم بها البلدان الغربية الاستعمارية وعلى رأسها كل من بريطانيا وفرنسا من أجل بسط نفوذها على المناطق المستعمرة بإفريقيا. ومن هذه الحملات الاستكشافية الغربية رحلة (هنري بارث) " HENRI BARTH "، الذي كتب مقالا في نشرية الجمعية الجغرافية بباريس في شهر جانفي 1865 يحث فرنسا على العمل بسعي جبار، وواسع في الصحراء الإفريقية، حتى تستطيع أن تستحوذ على هذه المناطق وتربطها بالجزائر[2].

هذا ما شجع الفرنسيين على روح الاستكشاف، ودفع بفرنسا إلى السعي وراء تحقيق توسعاتها، وجعلها تكثّف رحلاتها الاستكشافية في الصحراء من أجل التصدي للتنافس الاستعماري الأوروبي وعلى رأسه بريطانيا خلال النصف الثاني من القرن 19م، خاصة في رحلة الشاب الهاوي " هنري دوفيرييه " التي عرفت محطات عديدة، وفي فترات متقطعة منها رحلته إلى بسكرة في أول فيفري 1860، ثم التوجه إلى وادي سوف، ومنه إلى الجريد التونسي، وبعد هذه الرحلة كلف الوالي العام للجزائر الرحالة " دوفيرييه " القيام برحلة إلى التوارق كانت وادي سوف أحد ممراته في جوان 1860، ومنها إلى غدامس[3]. كما أن اهتمامات فرنسا كانت حاضرة من خلال مراسلات الجنرال ديفو، وقد جاءت هذه الاهتمامات بعد فشل مقاومة الزعاطشة سنة 1849 ومراسلة أهلي وادي سوف من خلال الرسالة المحررة يوم الثلاثاء 25 رحب 1274 هـ الموافق لـ 10 مارس 1858م، ومما جاء فيها : « من المعظم ديفو لكافة ناس وادي سوف. ويليه إعلامكم به أنه

---

[1] سلمان بن علي الكبير الذي فرّ من أرملة عمه الشيخ عمر، والتي قتلت أبوه بالسم لوضع ابنها عبد الرحمان بن عمر سلطانا على توقرت عوضا عنه.- ينظر محمد الصغير دبابي : " حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ "، **مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ**، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتفرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999، ص ص 42 - 44.

[2] إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 - 1911)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص ص 48 – 49.

[3] إبراهيم مياسي: نفس المرجع، ص 54 – 55.

منذ قدم سوف وأذعن لطاعة الدولة المنصورة الفرانسوية نزلت عليكم النعمة الجميلة والعافية فانقطعت من بين دشركـــم الأفتان... وانحلت لكم الأســـواق لبيع تجارتكم... [1] »، وهـــو هنا يذكّر الأهـــالي بموجـــب الإذعـــان لفرنســـا وعدم الســـعي وراء مساعدة المتمـــردين في قتل أعـــوان فرنسا من الأهالي. مع العلم أن هناك رحلات استكشافية كثيرة قامت بها السلطات المستعمرة انطلاقا من اللجنة العلمية الفرنسية منذ 1939 والتي شملت علماء وضباط جيش انحصرت مهامها في دراسة الطرق التجاريـــة الـــتي ســـلكها العـــرب في الصحراء[2].

وقد أتضـــح الأمر جليا حينما استطاعت القوات الفرنسية احتلال بسكرة سنة 1844 ليتأكد لفرنســـا رغبة الإطلاع أكثر على المسالك والطرق السهلة لعمليات التوغل، وعليها جاءت الرحلة الاستكشافية التي قام بها " دي شوفارييه " De Chourie و" ماريوس قاري " Marius GAREW عام 1847[3]، وبعـــــد عام؛ أي سنة 1848 أمرت وزارة الحربية والتجارة "براكس" PRAX [4] بالقيام برحلة سرية نحو الجنـــوب الجزائري، فزار وادي ريغ [5] وأصدر دراسة عام 1848 بعنوان "**توقرت وسوف**" نشرت في **مجلة الشرق الجزائري** " **La Revue Est Algérienne** "في الجزء الرابع من نفس السنة ليقوم بنشر رحلة ثانية سنة 1849 بعنوان "**تجارة الجزائر مع مكة والسودان**"، بالإضـــافة إلى كتابه المتضمن معلومات هامة ساعدت الجيوش الفرنسية على تحركاتها نحو وادي سوف وغيرها. بالإضافة إلى ذلك نجد رحلة الباحـــث الفرنســـي "بيربروجر" BERBRUGGER سنة 1850 لاكتشاف الواحات التونسية والجزائرية، فقد مر عبر المنطقة من سوق أهراس إلى تونس وتجول في بلاد الجريد، ثم انتقل منها إلى وادي سوف[6]، وقد ذكر فيرو أن أدريان بيربروجر هو أحد الجواسيس الفرنسيين الذين زاروا ســـوف قبل احتلالها، وأنه حصل بتاريخ 28 نـــوفمبر 1850 من أحد شيوخ طرود بكوينين على نسخة من تاريخ العدواني معلقا على ذلك بأنه مخطوط يتنـــاول تاريخ المنطقـــة[7]. وهكذا استمرت الرحلات ذات الطابع العسكري الاستطلاعي قبيـــل احتلال سوف؛ إذ قدم إليهـــا الملازم " روز " " ROSE " من الفيض[8] واتجـــه نحـــو قمـــــار رفقـــــة مجمـــــوعة مـــن

---

[1] احميدة عميراوي : **بحوث تاريخية**، دار البعث، قسنطينة، 2001، ص ص 150 – 151.

[2] أبو القاسم سعد الله : "المترجمون الجزائريون وإفريقية"، **مجلة الثقافة**، عدد 113، الجزائر، مارس–أفريل،1996، ص 35.

[3] عبد المجيد بن نعيمة: " مواقف شيوخ بني جلاب في توقورت من الاحتلال الفرنسي 1830 – 1854 "، **مدونة الملتقى التاريخي الثالـــث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ**، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتفرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999، ص ص 122–123.

[4] André Voisin : Op cit, p 52.

[5] عبد المجيد بن نعيمة: المرجع السابق، ص 123.

[6] André Voisin : Op cit, p 52.

[7] L. Feraud : **Le Sahara de Constantine et de Tunisie**, Paris, 1868, p 659.

[8] تقع جنوب شرق بسكرة تابعة إداريا إلى زريبة الوادي.

"القُــومِيَّة"[1] في سنة 1852، وكانت هذه المعلومـــات وغيرها كثيرة في متناول يد الجيش الفرنسي حينما توغــل في منطقـــة وادي ريغ وســـوف مـــا بين ســـنتي 1854 و1855 بقيــــادة الجنـــرال ديفـــو "Devaux"[2].

ب - الغزو الفرنسي لسوف :

إن مناطق الجنوب الجزائري لم تكن في منأى عن الأطماع الاستعمارية بل كانت ميدانا ملائما للثـــائرين المقاومين، وخاصة الشريف محمد بن عبد الله الذي وجد مناخا ملائما وعددا من الثوار المسلحين، هـــذا مـــا ساعده على توسيع إقليم نفوذه على مستوى عدة مدن وقرى ابتداء من الأغواط إلى ورقلة ليصل في الأخير إلى توقرت وسوف، وهذا ما أعاق سير جيوش المستعمر الفرنسي إلا بعد تطويق المناطق المتاخمة لها والسيطرة على الأغواط وورقلة وتحييد وادي ميزاب، ثم احتلال توقرت.

فالأغواط شهدت هجومات الشريف محمد بن عبد الله في أوائل عام 1852، مما دفـــع بالفرنســـيين إلى إرسال جيش بقيـــادة " بيليسي " بدايـــة من شهر أكتوبر، غير أن الشريف بن عبد الله تمكن من الدخول إلى الأغواط في نوفمبر 1852 بمساعدة المقاوم بن ناصر بن شهـــرة، ليستمر القتال على أشده منتهيا بمعركـــة عنيفة بين الطرفين في 04 ديسمبر 1852[3] أرغمت محمد بن عبد الله وأعوانه على الانسحاب، فاســـتولى الفرنسيون على الأغواط[4] ووضعوا حامية عسكرية دائمة، واتخذوها قاعدة حربية لتوسعاتهم نحو الجنوب[5]. أما ميزاب فقد استطاع الفرنسيون تحييدها، وهـــذا بموجب الاتفاق المـــبرم مـــع الميـــزابيين في 19 أفريـــل 1853[6]، في حين نجد ورقلة التي كانت موقعا هاما للشريف محمد بن عبد الله وصديقه ابن شهرة قد جند لها الفرنسيون قوات كبيرة قدمت من البيض في 03 نوفمبر 1853، فاشتبكت مع المقـــاومين في نقوســـة والرويسات، انتهت بهزيمة الشريف ورفاقه، تاركين ورقلة للفرنسيين في أواخر عام 1853[7]، ولم يبق أمام الفرنسيين حينئذ إلا إمارة بني جلاب القلعة الحصينة والدرع الواقي الذي تحتمـــي خلفـــه "وادي ســـوف"

---

[1] القُوميَّة: يراد بها من يحملون السلاح ويركبون الخيل في العامية الجزائرية، فيقال لهم " القُوم ". – ينظر عبد الملك مرتاض: **المعجم الموســـوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954 – 1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص 91 – 92.

[2] احميدة عميراوي : " مقاومة الشريف بن عبد الله في الجنوب من خلال وثائق نادرة "، ص ص 43 – 44.

[3] علي غنابزية : المرجع السابق، ص ص 37 – 38.

[4] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج 1، ص ص 358 – 359.

[5] ج. إيفر : **دائرة المعارف الإسلامية**، مج 3، دار الشرق القاهرة، 1933، ص 576.

[6] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، المرجع السابق، ج 1، ص ص 359 – 360.

[7] يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر**، ص 127.

فحاصرها الفرنسيون بجحافل من الجيوش[1]. ويعود هذا إلى كون حاكم توقرت سلمان الجلابي رفض التعاون مع الفرنسيين عام 1854م وفتح الباب أمام المقاومين خاصة الشريف محمد بن عبد الله وابن شهرة، مما دفع المستعمر إلى احتلال توقرت. فقد تجمعت قوات عديدة منها جيش قدم من بوسعادة بقيادة الجنـــرال ديفـــو، والقائد بيري "Piry" الذي قدم بقوته من الأغواط[2]، كما لحقت بهذه القوات قوة بقيادة "بان" " PEIN " والثانية بقيادة "باراي" BARAI، والثالثة بقيادة "مرمي" MARMIES "[3]، فالتقى هذا الجيش مع جـــيش سلمان والشريف محمد بن عبد الله وصديقه، وجيش النجدة القادم من "وادي سوف" تلبية لنداء سلمان لهم، لتحدث المعركة في نواحي المقارين في المكان المعروف[4] ببورخيص[5] يوم 29 نـــوفمبر 1854، ويرجـــع السبب في الخسارة وإلحاق الهزيمة بالمقاومين إلى تسرع أحد السوافى يدعى " كرباع صال"[6]، والـــذي قـــام باستنفار أصحابه قبل أن يستعد المقاومون كما يذكر ذلك صاحب الصروف، فكان ذلك فرصة للفرنســـيين للفتك بقوات سلمان. وأمام هذه الهزيمة لجأ سلمان الجلابي والشريف محمد بن عبد الله مضطرّين إلى توقرت والاعتصام بها، لتقع المدينة في حصار شديد، في حين انسحب المقاومون السوافى إلى وادي سوف، وفي يـــوم 02 ديسمبر 1854 غادر كلا من الشيخ سلمان والشريف محمد بن عبد الله توقرت التي دخلـــها الجـــيش الفرنسي يوم 05 ديسمبر 1854 بقيادة الجنرال ديفو قائد ناحية باتنة[7] معلنا نهاية "مشيخة بني جـــلاب " التي دام حكمها بتوقرت أكثر من أربعة قرون، فكانت "وادي سوف" المرحلة القادمة للاحتلال.

ج - احتلال وادي سوف :

بعد احتلال الجيش الفرنسي لإمارة بني جلاب بتوقرت قام الجنرال ديفو بترك بعض قواته بالمدينة من اجل الحفاظ على الأمن، مواصلا بالقوات القادمة من باتنة والأغواط، وبو سعادة الاتاه نحو وادي سوف[8]، لكن انعدام الطرق المعبدة حال دون سهولة سير الجيش، مما جعل القوات تتخذ طريق الطيات القبلية، وهي موطن

---

[1] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 38.

[2] يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر**، ص 128.

[3] Mohamed Elkebir Miadi : **Tableau Chronologique Des Histoires Des Rois De Touggourt Et Oued Righ**, Correspondant du C.N.E.H, Alger, Octobre 1986, p 3.

[4] عبد الحميد إبراهيم قادي : **التعريف بوادي ريغ**،منشورات جميعة الوفاء للشهيد بتوقورت، الآمال للطباعة، الـــوادي، 1999، ص 19. - Souad Salami : **Tougourt Espuise Historique**, Les imprimeries du sud,Ouaregla,1998,p 66.

[5] بورخيص : تقع شمال توقورت وتبعد عنها بحوالي 15 كلم.

[6] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص ص 247 – 248.

[7] André voisin : Op. cit, p 47.

[8] Ibid, p 47.

أولاد السايح[1]، وبعد تمهل قليل واصلت الطوابير الفرنسية طريقها حتى شارفت حدود أول بلـــدة من قرى سوف تدعى تاغزوت[2]، فتوقف الجيش الفرنسي، ودخل ديفو في مفاوضات مع وجهاء المنطقة أمام الطابور العسكري، لتنتهي المفاوضات بالاتفاق عندها دخلت القوات الفرنسية إلى وادي ســـوف في 13 ديســـمبر 1854، والجدير بالذكر عدم تكافؤ القوة بين الطرفين كباقي المناطق الأخرى من الجزائر، وطبيعة ســـكان الذين يعيشون حياة قبلية بدوية مع انعدام وحدة الصف نتيجة الصراعات القبلية، بالإضـــافة إلى المشـــاركة الفاشلة التي عرفها المقاوم السوفي، لتتقدم القوات نحو "كوينين"، ومنها انتقلت إلى عاصمة سوف الوادي، يوم 14 ديسمبر 1854[3]، ثم رجعت إلى توقرت يوم 22 ديسمبر 1854، لتقوم بتنظيم الإقلـــيم وضـــبط شؤونه الإدارية بالاشتراك مع منطقة وادي سوف، فبادر الجنرال ديفو بتعيين "علي باي" ابن فرحات بن سعيد "قايد" على توقرت وسوف باسم فرنسا منذ 26 ديسمبر 1854م[4]. لكن عودة القوات الفرنسية لتوقرت دون ترك حامية عسكرية بوادي سوف كان كافيا لجعل المنطقة محل صراع مرير ومقاومة متواصـــلة دامـــت قرابة 30 سنة[5]، لم تتمكن السلطات الفرنسية من تثبيت وجودها على أهـــل وادي ســـوف إلا في بدايـــة الثمانينات عندما تفرغت لتلك المقاومات وإزاحة زعمائها.

د - مقاومة الأهالي :

بعد سقوط توقرت سنة 1854، وهيمنة الجنرال ديفو علىتوقرت وسوف أقام هذا الأخير حفلا في قصبة توقرت يوم 26 ديسمبر 1854، حيث قدم لعلي باي بن فرحات بن سعيد برنوس تولى قيادة وادي ريـــغ وسوف[6]، بينما كثف الجنرال ديفو جهوده لإحكام السيطرة على وادي سوف قصد القضـــاء علـــى كـــل محاولات المقاومة من طرف المقاومين الذين لجؤوا إلى التراب التونسي. كما أرسل الجنرال ديفو رسائل عديدة إلى سكان وادي سوف لتأثير على الأهالي سياسيا كالرسالة المؤرخة 12 ديســـمبر 1855، بالإضـــافة إلى رسالة 25 ديسمبر 1855 على شكل أمر عين بموجبه " علي بن عمر بن سعيد " خليفة على كافـــة وادي سوف تحت إشراف القايد علي باي، لتظل رقابة الجنرال ديفو قائمة إلى أن راسل كافة سكان وادي ســـوف برســـالة يوم 10 مـــارس 1858[7] حـــول مقتل الشيخ عون بن صنان، فارضا على عرش أولاد أحمـــد

---

(1) C. Couvet : Notes, p 49.

(2) تبعد عن مدينة الوادي بـــ 13 كلم بالشمال الغربي.

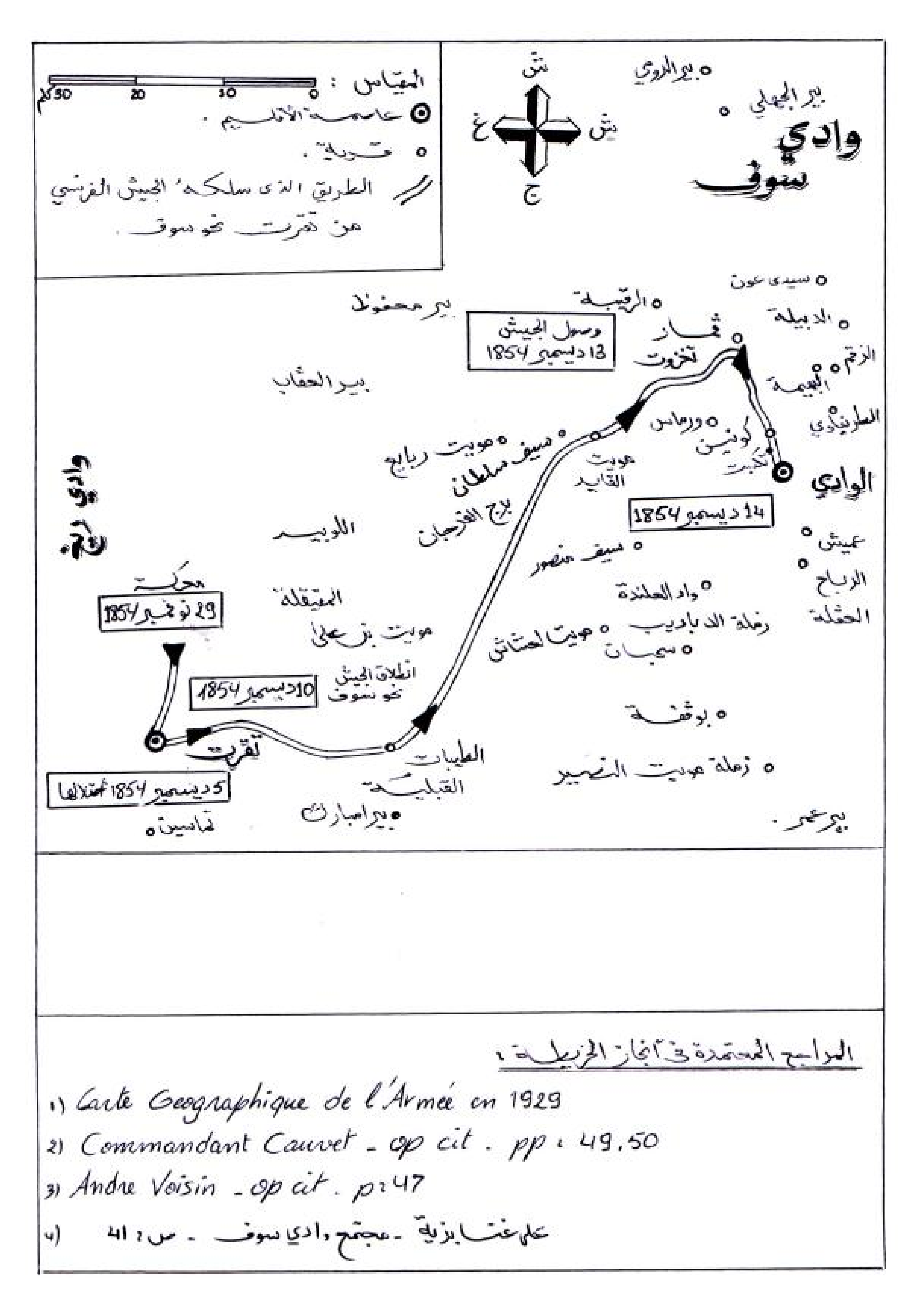
(3) André voisin : Op cit, 47.

(4) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 40.

(5) André voisin :Op cit, 47.

(6) إبراهيم مياسي: " الاحتلال الفرنسي لوادي سوف "، **جريدة الشعب**، الجزائر، الخميس 15 جانفي 1998.

(7) حررت يوم الثلاثاء 25 رجب 1274 – ينظر احميدة عميراوي : **بحوث تاريخية**، ص ص 150 – 151.



خريطة مسالك ومواقع تحركات الجيش الفرنسي بالجنوب ومعارك احتلال توقرت ووادي سوف.

ضريبـــة قدرهـــا 20 ألف فرنك، وأمـــر بـــأخذ 20 رجلا رهيـــنة ناصحا السكان بالعمل تحت إمـــرة علي بـــاي[1].

غـــير أن الوضـــع الذي كانـــت تحياه المنطقـــة كان ينبـــئ بحركية فاعلة ونجـــاح كـــبير لحركـــات المقاومـــين[2] من أهمهـــا حركة سي النعيـــمي[3] ومحمـــد بن علاق اليعقـــوبي[4]، وابن شهـــرة ومحمـــد ابن عبـــد الله. وقد تجددت المقـــاومة عند عودة الأخيرين من تـــونس، وإعلان مباركتـــهما لثـــورة أولاد سيدي الشيـــخ في 1864، وعند ما وقع سوء تفاهم بين أولاد سيدي الشيخ ومحمد بن عبد الله، توقـــف الأخير عن المقاومـــة، ثم التجـــأ إلى تونس، ليمكث بها سنوات عدة[5]، بينما بقي ابن شهـــرة يقـــاوم [6] بالتعاون مع الطيب بن عمـــران الشعبي[7]، الذي جمع 264 من المحاربين من طـــرود ســـوف والشـــعانبة السوافى وعسكر بهـــم في جنـــوب ورقلة في فيفري 1864 لمناوشة القـــوات الفرنسية، لكنه فشل في ذلك ليلجأ إلى تونس كغيره من المقاومين[8].

وهكذا ظلت القوات الفرنسية تبحث عن سبل لتفرض من خلالها استتباب الوضع الأمني بوادي ســـوف، فلجـــؤوا إلى تشييـــد عدة أبـــراج للمراقبـــة في الجهـــات الأربع لسوف لتأمين وحماية القوافل والحفـــاظ على الأمـــن بالطرق الرئيسيـــة بين توقـــرت وســـوف، وهذه الأبـــراج هـــي : برج الحـــاج قـــدور في الجهـــة الشرقيـــة، وبرج بوشحمـــة في الشمـــال، وبـــرج الفرجـــان وبـــرج مـــولي القـــايد شـــيدا في الجهـــة الغربيـــة[9]. لكـــن هذه الإجـــراءات والتحصينـــات العسكـــرية لم تمنـــع تجـــدد المقاومـــة مـــن حيـــن لآخـــر في مجـــال جغـــرافي يبـــدأ من عـــين صـــالح إلى ورقلـــة وتوقـــرت، وســـوف وتبســـة، ونقـــرين بالشـــرق وبـــلاد الجريـــد ونفطـــة بتـــونس، وقد قـــاد هذه المقـــاومة بوشـــــوشة ومحـــــي الدين بن الأميـــر عبـــد القـــادر.

---

[1] احميدة عميراوي :" مقاومة الشريف محمد بن عبد الله "، ص 49.

[2] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 250.

[3] سي النعيمي هو من أولاد سيدي الشيخ، اختلف مع أخيه سي حمزة الموالي للفرنسيين فانضم النعيمي إلى الشريف محمد ابن عبـــد الله وبـــن ناصر بن شهرة – ينظر يحي بو عزيز : **ثورات الجزائر**، ص 127.

[4] محمد بوعلاق : ثائر تونسي وهو زعيم عرش أولاد يعقوب المتمردين على السلطة التونسية – ينظر إبراهيم العوامر : **الصروف**، ص 250.

[5] يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر**، ص 128.

[6] يحي بو عزيز: نفس المرجع، ص 179.

[7] الطيب بن عمران : ثائرا كان يقطن وادي سوف لكنه هاجر إلى تونس عام 1868، وارتبط بالثوار في زاوية نفطة الرحمانية – ينظر يحي بو عزيز : **ثورات الجزائر**، ص 179.

[8] André voisin : Op.cit, p 48.

[9] Ibid, pp 48 – 49.

هـ - مقاومة محمد التومي بوشوشة :

استطاع محمد التومي بوشوشة تنسيق الجهود مع ابن ناصر بن شهرة خلال سنتي 1870–1871 الهيمنة على مناطق عديدة في الصحراء، ليستولي بوشوشة في مارس 1870 على المنيعة، ثم على عين صالح في ماي من نفس السنة، لتصل مقاومته ضواحي متليلي الميزابية وورقلة[1]، وتوقرت وسوف، خاصة بعد انطلاق ثورة المقراني، ومن أهم العمليات بسوف : - اتصال جماعة من الشعانبة السوافى ببوشوشة لتقديمهم مساعدة ضد ظلم علي باي طالبين منه الإجهاز على عائلته وزمالته التي أودعها ببلدة قمار بوادي سوف[2].

– هجوم بوشوشة على قمار يوم 8 مارس 1871 [3] بقوة قدرت بـ 900 مقاتل[4]، إلا أن مساندة الزاوية التجانية بقمار قدمت الحماية لعائلة علي باي وعياله فسلمت الزمالة.

– استيلاء بوشوشة على توقرت في 13 ماي 1871 حينما كان علي باي في حاسي الناقة[5]، وتعين بو شمال بن قوبي اغا[6]، وبعد سقوط توقرت كان ذلك نهاية حتمية لحكم علي باي ووقوع منطقة سوف التابعة لتوقرت تحت حكم بوشوشة.

لكن علي باي حاول الاحتجاج لدى المحاكم الفرنسية ببسكرة شاكيا أولاد ابن قانة باعتبارهم حسب ظنه مؤازرين لبوشوشة على غزو ورقلة وتوقرت، غير أن الحاكم الفرنسي اتهمه بالإهمال والتقصير وتوعدوه بتقديمه للعدالة، فتوجه إلى توقرت، لكنه فشل في مقاومة بوشوشة، ليعود إلى بسكرة يوم 13 جويلية 1871[7] مسلما في مقاطعته وادي ريغ والمنطقة الجنوبية لها؛ أي وادي سوف، و لم يكتف بوشوشة بهذا بل حاول تأديب قبيلة أولاد زكري التي كانت أكبر مساند لعلي باي مرسلا إليهم ناصر بن شهرة يقود جيشا من الشعانبة، و لم يكد يوم 13 جويلية 1871 ينقضي حتى صار بوشوشة المتحكم في الصحراء الجنوبية من نفطة إلى توقرت بمؤازرة القوى الشعبية المختلفة[8].

---

[1] يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر**، ص 85.

[2] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 253.

[3] Louis Rinn : **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie**, Alger, 1891, p 486.

[4] André Voisin : Op cit, p 43.

[5] يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر**، ص 187.

[6] Louis Rinn : Op cit, p 488.

[7] يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر**، ص 185.

[8] Louis Rinn : Op cit, p 612.

و - مقاومة محي الدين بن الأمير عبد القادر :

ظهر محي الدين بن الأمير عبد القادر [1] بالجهة الشرقية من تونس في شهر أكتـــوبر 1870، ليســـتقبل استقبالا حافلا مع تكريمه يوم 18 نوفمبر 1870 من قبل الباي التونسي، فاغتنم الفرصة ووجه مائتي رسالة إلى زعماء الجزائر يدعوهم فيها إلى تنظيم الصفوف والاستعداد لمحاربة العدو عند قدومه إليهم من تـــونس[2]، فغادر تونس إلى مالطا، ومنها توجه إلى طرابلس التي انطلق منها نحو الجنوب الجزائري فاتصـــل بالمقـــاومين، ومنهم : ابن ناصر بن شهرة وإبراهيم بن هبة الله فاتجهوا جميعا إلى وادي سوف[3]، ومنها شرع محي الدين في تنظيم كفاحه ليلتف حوله كل من سلطان توقرت سلمان الجلابي وإبراهيم بن عبد الله مقدم القادرية بورقلة، ومحمد العشابي البسكري الذي التجأ إلى نفزاوة، ومحمد بن أحمد الصغير ابن الخليفة السابق للأمير عبد القادر بالزيبان، ومحمد بو علاق زعيم أولاد يعقوب والشيخ المبزوني مقدم زاوية الكاف الذي قدم لمحي الدين كاتبـــا لمساعدته في تحرير رسائله ونداءاته[4]، وأولاد البطل الشعنبي السوفي الطيب بن عمران[5].

وأمام هذه التحركات شعرت السلطة التونسية بشيء من الحـــرج، وزاد ذلك في توتر العلاقة بينها وبـــين السلطة الفرنسية، هـــذا ما جعل الباي " محمد الصادق " يطلب من ولاته توقيف ومتابعـــــة محـــي الـــدين وجماعته، وسجنهم وإرسالهم إلى تونس، غير أن محي الدين تفطن للأمر ولجأ إلى الجنوب الجزائري[6]، فدخل في صراع مع أعوان فرنسا خاصة حاكم توقرت وسوف علي باي في بداية 1871[7]. وعند اندلاع ثـــورة المقراني حاول محي الدين التعاون والتنسيق مع المقراني، لكن الصعوبات التي اعترضته في التوجه نحو الـــداخل، جعله يتجه إلى الجهة الشرقية فنزل بنقرين في 19 ماي 1871، غير أنه أخفق في الاستيلاء على تبسة، وعند نهاية الحرب بين بروسيا (ألمانيا) وفرنسا رجعت القوات الفرنسية إلى الجزائر لقمع المقاومات الشـــعبية الـــتي ظهرت بالبلاد، فأدرك محي الدين أن المقاومة غير مجدية، فغادر البلاد فـــارا إلى ســـوريا في شـــهر جويليـــة

---

[1] محي الدين ابن الأمير عبد القادر ولد سنة 1837، وعاش مع والده في الجزائر والشام وفي عام 1870 – ينظر يحي بو عزيـــز : **ثـــورات الجزائر**، ص 185. قدم إلى تونس ومنها إلى الجنوب الجزائري لمقاومة المستعمر الفرنسي وتجديد الجهاد. – ينظر عبد الجليل التميمـــي **بحـــوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر – تونس – المغرب - ليبيا) 1816 – 1871**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعيـــة، الجزائـــر، 1985، ص 27.

[2] يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر**، ص 250.

[3] عبد الجليل التميمي : المرجع لسابق، ص 29. – علي غنابزية : المرجع السابق، ص 46.

[4] يحي بو عزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 252.

[5] يحي بو عزيز: " ثورات بن ناصر بن شهرة (1850 – 1875) من أبطال المقاومة الشعبية بالجنوب "، **مدونة الملتقى الـــوطني الثالـــث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب**، الأغواط 23 – 25 ماي 1998، ص 33.

[6] عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص ص 30 – 31.

[7] يحي بو عزيز: **كفاح الجزائر**، ص 275.

1871[1]. وهكذا ظلت وادي سوف تشارك في كل المقاومات السابقة بأشكال مختلفة، بالإضافة إلى أنها كانت الملجأ الآمن للمقاومين ليس الجزائريين فحسب، بل حتى المغاربة كمحمد بن علاق زعيم أولاد يعقوب المعارض للسلطة التونسية، والثائر الليبي غومة المحمودي[2]، الذي انتهى صراعه مع الوالي علي باشا عام 1841 بالانهزام والتراجع إلى الجنوب[3] فاحتضنته وادي سوف. وهذا لكون وادي سوف تقدم الدعم للمقاومين، وهذا من خلال تمرير السلاح من ليبيا وتونس نحو المقاومات الشعبية بالجزائر، حتى أن السلطات التونسية شجعت اليهود على بيع السلاح للسوافة[4]، وهذا حسب ما أشارت إليه بعض التقارير للأيالة التونسية في تنقل قوافل السلاح بقيادة السوافة[5]، حيث كانت قبيلة الشعانبة ذات نشاط واسع في عملية شراء الأسلحة، وتوفير الذخائر وجلبها من الجريد التونسي عبر سوف لتكون وقودا للمعارك[6].

ورغم الظروف الحالكة التي عرفها وادي سوف قبل الاحتلال النهائي ظل متحررا نسبيا على السلطة المستعمرة، لكن عندما بدأت فرنسا تفكر في ضم تونس تمكنت من إيجاد ذريعة للانقضاض عليها، وتمثلت هذه الذريعة في الصراع الذي حدث بين قبائل "الخمير" في الشمال الغربي لتونس مع بعض الجزائريين لينتقموا لأحد أفرادهم، فكان ذلك كافيا للتدخل الفرنسي بتونس، وهذا في نهاية مارس 1881[7] بجيش قوامه 31816 جنديا لاختراق التراب التونسي في اتجاهين لمحاصرة منطقة بني خمير[8]، ثم ما لبثت أن أنزلت 8000 جندي في بنزرت[9] اتجهوا نحو العاصمة تونس، وتم فرض الحماية على تونس يوم 12 ماي 1881[10]، وعلى إثر هذه الاعتداءات كلف طابور عسكري لمراقبة تحركات القبائل البدوية في الصحراء

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 560.

[2] غومة المحمودي : ولد عام 1795، وينتمي إلى قبيلة المحاميد الذي موطنهم الزاوية وصرمان بليبيا، وهو ابن عون شيخ المحاميد، وبعد موت الشيخ عون خلفه ابنه غومة المحمودي عام 1831، وقد لجأ إلى سوف لأنه كان معارضا ومحاربا لحكام الأسرة القرمانلية ببلاده،كما حارب بايات تونس من الأسرة الحسينية – ينظر عز الدين إسماعيل وآخرون : **غومة المحمودي فارس الصحراء**، دار العودة، بيروت، 1975، ص ص 65 – 66.

[3] عز الدين إسماعيل وآخرون : نفس المرجع، ص 66.

[4] Louis Rinn : Op cit, 612.

[5] عبد الجليل التميمي : مرجع سابق، ص 29.

[6] يحي بو عزيز: " تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحابر جيش الاحتلال "، حاضرة، (مخ)، **الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة أول نوفمبر 1954**، الوادي 19 – 20 مارس 1999، ص ص 2 – 4.

[7] عبد الرحمان تشايجي : **المسألة التونسية والسياسة العثمانية (1981 - 1913)**، نقله عن الفرنسية وعلق عليه عبد الجليل التميمي، ط 1، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973، ص 66.

[8] عبد الرحمان تشايجي : نفس المرجع، ص 125 – حسن حسني عبد الوهاب : **خلاصة تاريخ تونس**، ط 4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 213.

[9] عبد الرحمان تشايجي : المرجع السابق، ص 125 – حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 213.

[10] عبد الرحمان تشايجي : المرجع السابق، ص ص 125 – 130 - حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق، ص 214.

المشكلة للخطر في الحدود، وهذا لمراقبة المناطق المحصورة بين توقرت والجنوب التونسي[1]، وكانت قيادة هذا الطابور قد سلمت للعقيد " لنوبل " Lenoble الذي استقر بوادي سوف مدة قصيرة، ثم اتجه إلى تونس نحو نفطة وتوزر وقفصة بالجريد، لكنه بعد إتمام الحماية قفل راجعا إلى الجزائر عن طريق قفصة باتجاه نقرين وخنشلة[2]. وعلى إثر هذه الأحداث وجدت فرنسا أنه من الضروري إيجاد محميات بوادي سوف وعدم التهاون في إحكام القبضة عليها، فشكّل مركز بالدبيلة، وعيّن الضابط " ديبورتر " Deporter[3]مشرفا عليه، فأقام علاقات اتصال مع مركز نقرين[4]. ثم تم تأسيس برج صغير للحراسة بقي ثابتا بالدبيلة، واستمر إلى سنة 1887، رغم تراجع عدد أفراده حين ذاك[5]، لكن المعلوم هو أن الإدارة الفرنسية بدأت عملية استقرارها تثبت بقوة في الوادي عاصمة الإقليم منذ سنة 1882[6]. ويعد النقيب " فورجس " Forges (1886 – 1887) ثاني حاكم عسكري لملحقة الوادي خلفا للضابط "جانين" Janin المثبّت للحامية الفرنسيبة بمركز الدبيلة في المحلات التي أعدت لها بالوادي قرب البناء الخاص بمكتب الشؤون الأهلية، في شكل ثكنة عسكرية بوسط مدينة الوادي مركز الإقليم[7].

3 - السياسة الاستعمارية تجاه المنطقة :

إن طبيعة التواجد الاستعماري الفرنسي لم تختلف في سوف عن غيرها من المناطق الأخرى من التراب الوطني، خاصة الصحراء التي كانت دوما عبارة عن قواعد عسكرية في شكل محميات تؤمن طرق المواصلات للقوافل التجارية من الشمال إلى الجنوب، ثم إلى إفريقيا. ولذا فإن السياسة المتبعة هي محاولة إبادة كل حركة تمردية قد يسعى إليها الأهالي، وهذا عبر الفترات التاريخية من 1882 إلى 1939، ويعود هذا إلى قوة المستعمر وقدراته العسكرية الضخمة من جهة، وضعف قيادة المقاومات الشعبية لانعدام استراتيجية الوحدة، واقتناع غالبية الأهالي بعدم جدوى الكفاح المسلح من جهة أخرى، هذا ما جعل فرنسا تنتهج سياسة استعمارية تتماشى والأوضاع السائدة بالجزائر المستعمرة. وعليه فإن فرنسا لم تكن صاحبة الفضل الكبير في

---

[1] D. Escard : Op cit, p 33.

[2] André Voisin : Op. cit, p 49.

[3] ضابط ينتمي إلى المكتب العربي ببسكرة وتقدم نحو تونس وكان على اتصال بمصلحة الاستخبارات بالجريد – ينظر علي غنابزية : المرجع السابق، ص 53.

[4] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 53.

[5] C. Couvet : Op cit, p 50.

[6] Gaid Zobidi Si Hocine : **Histoire succinct de l'administration du souf dans les deux dernières siècle avant l'arrivée des français**, 1952, Archives de direction des Modjahidines, El - Oued.

[7] C. Couvet : Op cit, p 51.

تنظيم الشؤون العامة بوادي سوف بل كانت شؤون سوف أكثر تنظيما من طرف الجماعة التي يتم اختيار أفرادها من الشيوخ الوجهاء لدى قبائلهم[1] قبل الاحتلال، كما كانت كل قرية تدار من طرف كبير الوجهاء[2]، وعند حدوث أمر عظيم أو بروز قضايا هامة يسارع الوجهاء إلى الحضور للاجتماع الذي يعقد في مدينة الوادي مركز الإقليم[3]، وبهذا يشكلون "مجلس الوجهاء" الذي ينظر في مختلف القضايا السياسية أو القضائية كالخصومات بين القبائل، ليظل هذا النظام قائما إلى زمن الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ليستبدل بنظام " القياد " و"الخلفاء " وهو شبيه بما كان معمول به في العهد العثماني[4] في بعض الجوانب، ويختلف عليه في جوانب أخرى.

أ التنظيم الإداري الاستعماري بوادي سوف :

وقد عرف النظام الإداري أثناء الاحتلال الفرنسي عدة تقسيمات هي كالآتي :

- نظام القياد (1854 – 1873) :

اعتمد هذا النظام منذ الإطاحة بالإمارة الجلابية بتوقرت سنة 1854، فجاء هذا بديلا عن السلطان، حيث يعد فيه القايد حاكما على توقرت ووادي سوف، ومقره في الغالب توقرت يعاونه نواب يدعون بالخلفاء [5] ومنهم : القايد علي بن فرحات بن سعيد (1854 – 1871)، وهو من صف بوعكاز، تولى المنصب على توقرت وسوف منذ ديسمبر 1854، وكان مقر حكمه متنقلا بين توقرت وسوف، وله خلفاء في وادي سوف ينصبون باتفاق مع السلطة الفرنسية [6].

وقد خلفه القايد العربي المملوك وهو إيطالي الجنسية اعتنق الإسلام وسمي بالعربي المملوك، حيث كان ضابطا بالجيش الفرنسي بفرقة الصبايحية يحسن اللغة العربية، فعين قايد على سوف سنة 1872[7]، لكنه لم يدم طويلا لظلمه فتصدى له أحد أعداءه الألداء، وهو حميد الجامعي فقتله[8] سنة

---

(1) Gaid Zobidi Si Hocine : Op. cit.

(2) Le colonel Nollat : **L'Algérie en 1882**, Librairie Militaire, Paris, 1882, p 70.

(3) André Voisin : Op. cit, p 44.

(4) شارل أندري جوليان : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص ص 377 – 378.

(5) علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 54.

(6) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 248.

(7) أبو القاسم سعد الله : " المترجمون الجزائريون "، ص 62.

(8) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 259.

1873 [1]، وتولى من بعده محمد موسى بن موسى في 24 فيفري 1874 لمدة تسعة أشـــهر[2]، ليتـــولى المنصب العابد بن محمد بن إدريس، حيث كان آغا على ورقلة منذ 1872، ولما نجـــح في القـــبض علـــى بوشوشة كافأته فرنسا بتوليته أمر توقرت وسوف[3] سنة 1874، وكان خليفته هـــو محمد بـــن تـــواتي، ودامت ولايتـــه سنتين وأربعة أشهر[4]. وعند تعاظم الاحتجاجـــات ضده عـــزل وابطـــل نظـــام القيـــاد، ليتحول الخلفاء إلى قياد فيما بعد منذ 1884[5] ليظلوا إلى عهد الاستقلال. أما الخلفاء الذين تولـــوا قبـــل 1884 هم : سي مسعود بن محمد من عرش المصاعبة وبلقاسم بعرة[6].

- نظام الخلفاء والشيوخ (1854 – 1885) :

إن الخليفة هو الذي يخلف القايد في تسيير شـــؤون وادي سوف عند غيابه في توقرت أو بعد وفاة كخلافة القايد محمد موسى بن موسى للقايد العربي المملوك عند وفاتـــه، ومنذ 1871 بدأ العمل بنظام الشـــيوخ، وهم ممثلو القبائل ويتبعون مباشرة للخلفاء الذين بدورهم يتبعون القياد، واستمر الحال على ذلـــك إلى عـــام 1877 عندما تحول الشيوخ الثلاثة إلى خلفاء مستقلين مرتبطين مباشرة ببسكرة [7]. وعند إنشـــاء ملحقـــة الوادي في جانفي 1885 أصبح هؤلاء الخلفاء يتعاملون مباشرة مع السلطات الفرنسية بالملحقة وتحولـــوا إلى قياد هم : – قايد الأعشاش. – قايد قايد المصاعبة. – قايد الدبيلة والبهيمة. – قايد قمار وغمرة. – قايـــد أولاد سعود في كوينين وتحت حكمه سكان ورماس وتاغزوت وسيدي عون والزقم[8]. ودام هذا النظام حتى الاستقلال.

- تأسيس ملحقة الوادي :

إن أول نواة لها وضعت في الدبيلة، وهذا منذ احتلال فرنسا لتونس لتنتقل في ما بعد إلى الوادي[9]، ويعـــد الضابط "بلاشير" " BLACHÉRE " أول حاكم لملحقة الوادي[10]، وكانت الملحقة تابعة لبسكرة بموجب

---

(1) Gaid Si Hocine Zobidi : 0p cit.

(2) مصطفى سالمي : **الدر المصفى في تقاييد سيدي مصطفى**، جمع وتحقيق علي غنابزية، (مخ)، ص 12.

(3) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 260.

(4) مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 12.

(5) Gaid Zobidi Si Hocine : Op cit.

(6) مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 12.

(7) علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 55.

(8) André Voisin : Op cit, p 05.

(9) D . Escards : Op cit, p 33.

(10) C . Cauvet : Op cit, p 50.

القـــرار الحكومي الصادر في 17 جانفي 1885، لكن عند إنشـــاء دائرة توقرت بموجب قـــرار إداري في 01 جانفي 1893 حولت لها ملحقة الوادي وصارت تابعة نهائيا لدائرة توقرت[1].

ب - القضاء في وادي سوف منذ الاحتلال :

إن طبيعة القضاء بسوف قبل الاحتلال هو نفسه النظام الذي كان سائدا في الجزائر أواخر العهد العثماني، حيث كان الفقهاء وأهل العلم يفصلون في القضايا الهامة والنزاعات المختلفة[2]، كما نجد أن نفـــوذ شـــيوخ القبائل والمرابطين، وأهل الرأي[3]، كان له دور في القضاء وعند استحالة فضِّ النزاع يستفتى في الأمر علمـــاء من خارج المنطقة. أما المسائل العظمى الخاصة بالجنايات والقتل، فيحكم فيها " الميعاد "، وهو على شكـــــل مجلس قضائي يختار أفراده من بين أعيان ووجهاء القرى والقبائل فيصدرون الأحكام المختلفة من دفع دية الميت أو المقتول إلى تنفيذ حكم الإعدام[4]. أما العمل بالمحاكم الرسمية النظامية فقد بدأ العمـــل بـــه منـــذ أوائـــل الخمسينيات حسب تاريخ سجلات المحاكم الشرعية بسوف، وأولها محكمة الوادي منذ 1851[5]، أما محكمة قمار، فقد ظهرت في فترة الشيخ القاضي أحمد دغمان 1281هـــ / 1864م، بعد الاحـــتلال الفرنســـي للمنطقة[6]، لتنشأ سنة 1873 محكمة في كوينين خاصة بأولاد سعود وهم سكان كوينين وورماس، وسيدي عون والزقم، وهذا حسب السجلات المطلع عليها[7]، غير أن المحكمة أوقف العمل بها وضـــمت إلى محكمـــة الوادي سنة 1921[8].

وتتكون المحكمة الشرعية من عناصر هم : القاضي ونائبه (باش عدل) ويشترط فيهما المســـتوى الثقـــافي، ويؤهلون لهذه الوظائف بعد امتحان خاص[9]. أما العدول وعددهم اثنان وهم بمثابة الشهود على إجـــراءات وأعمال القاضي سواء في الأحكام أو توثيق العقود بين الناس[10]. أما شروط توظيفهما زيادة عن المســـتوى

---

(1) Ibid, p 51.

(2) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 127.

(3) ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق، ص 23.

(4) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 57.

(5) **سجل المحكمة الشرعية بالوادي (1851)**، مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة، موثق بالوادي.

(6) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 27.

(7) **سجل المحكمة الشرعية بكوينين (1873)**، مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعرة، موثق بالوادي.

(8) **لقاء** مع السيد العربي مصباحي كاتب ضبط بمحكمة الوادي متقاعد يوم 21 شوال 1424 هـــ / 15 ديسمبر 2003م.

(9) أحمـــد توفـــق الـــمـــدني : **كتـــــاب الجـــــزائر**، ط 2، نشـــــر دار الكتـــاب، البـــــليدة، الجـــــزائر، 1963، ص 323. – Gouvernement Général de L'ALGÉRIE : **LES TERRITOIRES DU SUD DE L'ALGÉRIE (L'ORGANISATION JUDICIAIRE)**, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930, p 06.

(10) مولاي ملياني بغدادي : **المحامات في الجزائر**، ج 1، المطبعة الجزائرية دحلب، الجزائر، 1993، ص 42.

العلمي، فينبغي أن يكونا حسنا السيرة[1]، بالإضافة إلى شاوش يساعد القاضي في أثناء عمله ويقوم بتسجيل كل ما يدور في الجلسة كما يحضر مع القاضي في كل جلسة يعقدها للسهر على الانضباط في قاعة الحكم ويستدعي المتحاكيمن للجلسات. ويعد رئيس الملحقة بمثابة القاضي الذي يرتبط أساسا بمحكمة باتنة بموجب قرار 30 جويلية 1887[2]، وكذلك الشأن بالنسبة لضباط الشؤون الأهلية بالملحقة الذين يساعدون وكيل الجمهورية بباتنة[3].

وعلى هذا الأساس فإن القضايا الهامة والخطيرة تحوّل إلى محكمة باتنة، غير أن الدراسات الفرنسية تشيد بانحصار القضايا في التراعات حول الأراضي بين الأهالي، وهي أيضا قليلة، وفي هذه القضايا بالذات كان الحكام العسكريون يستعينون بالفلاحين الكبار الذين يعدون بمثابة خبراء بهذه القضايا من أبناء الجهة [4] يضاف لها قضايا السرقة التي يكون لفراسة الخبراء معرفة " الجرّة "[5]، فكان الاعتماد عليهم كبيرا من طرف السلطات الفرنسية[6]، لتوظيفهم في مهام تتبّع الخارجين عن القانون بالإضافة إلى المهام السابقة. أما على مستوى الوضع الإداري فقد حاولت السلطات الفرنسية سنّ نظام القياد والخلفاء والشيوخ منذ 1854سنة إلى غاية 1885 حينما أنشأت ملحقة الوادي، واستقرت بها الإدارة العسكرية الفرنسية، لتبدأ في تنظيم شؤون السكان الإدارية. أما القضايا الهامة، فترفع إلى محكمة باتنة المدنية لخطورتها، لكن ما شوهد هو قلة القضايا وبساطتها، فكان لهذا الوضع السياسي الجديد آثار سلبية وأخرى إيجابية أثرت على النشاط الاقتصادي والاجتماعي، ودفعت السكان للحركة الحثيثة والانشغال بالزراعة والصناعة والتجارة الخارجية، في ظل تنمية المجتمع وترقيته إلى مستوى أكثر تطورا وازدهارا.

وخلاصة القول أن السياسة الاستعمارية منذ الاحتلال عمدت إلى اخضاع الأهالي عن طريق القوة إما بالتشريد أو القتل، أو العقوبات المادية المتنوعة، لكن هذا لم يمنع الأهالي من أن يواكبوا مسيرة الكفاح الوطني، وذلك من خلال مساندة المقاومين عبر مراحل المقاومة الوطنية المسلحة.

---

[1] أحمد توفيق المدني : المصدر السابق، ص 223.

[2] Commissariat Général du Centenaire : Op cit, p 05.

[3] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 58.

[4] C. Cauvet : Op cit, p 53.

[5] الجرة : هي معرفة أثر الأقدام على الرمال، أو أثر أسنان الشخص على قشرة البطيخ الأخضر، حيث يستطيع الخبير تحديد الشخص من خلال أقدامه وبعض أوصافه مثل : طول قامته، وحالته من حيث الاعوجاج والبدانة، وزمن حدوث السرقة أهو بالليل أم بالنهار أو قبل الزوال ويسمى صاحب التقفي بالقصاص. – ينظر علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 58 (هامش 6)، وقيل أن أول من عرف الأثر – أي الجرة – هو أحمد العياط جد العيايطة بالبهيمة وقيل قبل ذلك – ينظر مصطفى سالمي : المصدر لسابق، ص 17.

[6] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 143.

ثانيا – الوضع الاقتصادي والاجتماعي :

1 – الوضع الاقتصادي :

إن إقليم سوف إقليم صحراوي يتميز بمناخ وظروف طبيعية جد صعبة يجعله يختلف عن غيره من الأقـــاليم الأخرى بالجزائر، لكن واقعه المعاشي يعد بسيطا لارتباطه بالطبيعة، ومتطلبات الفرد هي الأخرى بسيطة تتمثل في الضروريات من الغذاء والكساء هدفه في الأخير تحقيق الاكتفاء الذاتي وفق الإمكانيات المتوفرة، وفي إطـــار الجهود المبذولة والطاقة المستنفذة لتنمية المجتمع اقتصاديا. وهذا النشاط الاقتصادي في أساسه يتمحور حـــول أنشطة معهودة يمارسها الفرد السوفي كباقي الأفراد من المجتمع الجزائري الريفي وهـــي :الرعـــي والزراعـــة، والصناعة الحرفية والتجارة.

أ - الرعي :

الرعي وظيفة متوارثة، وهي نتاج تعاقب زمني تعوّد عليه غالبية المجتمع الجزائري، والسوفي بطبعه الصحراوي كان ميالا إلى الرعي لما تدره هذه المهنة من فوائد جمّة، حيث قدر في إحصائية لسنة 1931 أن تعداد السكان بوادي سوف قد بلغ 67891 ساكنا[1]، يتوزعون إلى نصف مستقر والنصف الآخر رحّل[2]. هذا ما ساهم في تنشيط حركة الرعي، ومن أهم الحيوانات نجد الإبل، والتي قدرت أعدادها بوادي سوف وفـــق ســـنوات متعددة كالآتي.

جدول تطور عدد الإبل 1915 – 1939 :

السنة	1915	1921	1925	1930	1933	1936	1939
عدد الرؤوس	8610[3]	9587	8826	8188[4]	8446	8440	7145[5]

(1) Le Souf : **Rapport Sommaire sur L'évolution du la situation économique commerciale et touristique d'El-Oued Souf**, Archive de la direction des Moudjahidines d'El-Oued, p 01.

(2) Ibid , p 01.

(3) M. CH Lutaud : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant les années 1914 et 1915** , Imprimerie – libraire -Éditeur, Alger, 1916, p 55.

(4) Le capitaine Kariaud : **Tableau des élevages en 1921 à 1930 de l'annexe d'El-Oued, le 19 Mars 1931**, Archive de la direction des Moudjahidines d'El-Oued .

(5) Le capitaine Ferry:**Rapport sommaire sur L'évolution de La Situation Economique ou point de vue agriculture et élevage dans l'annexe d'El-Oued pour le période de 1930 à 1947**, Mars 1946, Archive de la direction des Moudjahidines d'El-Oued, p 04.

هذا الجدول يوضح مدى تطور تربية الإبل وفق نمو يتراوح بين الزيادة والنقصان حسب الظروف الطبيعية المتحكّمة في هذه الثورة، مع العلم أن هذه الحيوانات ترعى في مساحات واسعة، ولا تربى في اسطبلات محددة المجال، هذا ما فرض على قبائل الأهالي اعتماد التوشيم على أفخاذها فنجد في الجمل الواحد أكثر من وشـــم، حيث يخصص وشم للعرش وآخر للقبيلة، وثالث للعائلة المالكة، وهذا مثل ما يوضحه أحمد نجاح[1].

والوظيفة الأساسية التي تقوم بها هذه الثروة هي استعمالها الواسع في عملية المبادلات التجارية بالإضافة إلى استغلالها في الغذاء والاستفادة من ألبانها وأوبارها. أما الثروة الثانية فتتمثل في الغنم والماعز وهما يعرفان اهتماما متزايدا من طرف الرعاة، لكن هذه الحيوانات يسهل التحكم فيها من خلال إسطبلات واسعة، أو عن طريـــق الرعي المتحكم فيه في إطار حركة العشابة، والجدول التالي يوضح عدد رؤوس الغنم والماعز بـــوادي ســـوف (1915– 1930):

جدول تطور عدد رؤوس الغنم والماعز بوادي سوف 1915 – 1930 :

السنة	1915[2]	1921	1924	1926	1928	1929	1930[3]
الغنم	33808	43492	43914	45127	34264	34888	36233
الماعز	40147	49239	48853	51495	45337	45389	46263

نلاحظ من خلال الجدول السابق الزيادة والارتفاع، في هذين النوعين من الحيوانات، فهي تتطور باستمرار وفق الظروف الطبيعية وإمكانيات الرعاة، وهي ثروة يتم استغلالها كمورد حيواني للغذاء أو للاســـتفادة مـــن صوفها وأشعارها وألبانها. لكن ما يلاحظ على الرعي هو الطابع التقليدي الذي يتّبعه الرعاة، حيث يعتمد على الوسائل البسيطة التقليدية نتيجة طغيان الطابع البدوي.

ب - الزراعة :

إن للزراعة دور في المجتمع السوفي لما تمثله من أهمية في حياة الفرد، وهي في أساسها تعتمد الوسائل البسيطة التقليدية، ومدى قدرة تكيف الفلاح السوفي مع بيئته، ومحاولة توظيفها وفق آليات متعددة، والزراعة الهامة في وادي سوف هي :

---

[1] Ahmed Nadjah : Op cit, p p 151 – 155.

[2] M . CH. Lutaud : Op cit, 55.

[3] C . Kariaud : Op cit.

زراعة النخيل وهذا للقيمة الغذائية وما توفره النخيل من غلال عديدة تحقق للكثير من السواقي الحياة الكريمة. وقد عرفت غراسة النخيل بوادي سوف منذ الاحتلال تزايدا مستمرا، وهذا من خلال:

جدول تطور عدد النخيل بوادي سوف (1883 – 1930) :

السنة	[1]1860	[2]1883	[3]1909	[4]1915	[5]1930
عدد النخيل	60000	154000	365198	298675	336120

ومن خلال هذا الجدول يلاحظ التزايد المستمر في النخيل نتيجة الاهتمام بغراستها وتشجيع المعمر لذلك قصد تصدير التمور باعتبارها موردا زراعيا هاما خاصة " دقلة نور " التي تصدّر إلى فرنسا، والتي كانت لها الأهمية البالغة، كما يحتل هذا النوع من التمر المرتبة الأولى من حيث النوعية بين نخيل الجزائر بأسرها [6]. أما المحصول الثاني ذو الأهمية البالغة هو التبغ، حيث يعد الزراعة الفعلية الثانية لدى المجتمع السوفي بعد النخيل[7]، وأول منطقة بدأت زراعته في سوف هي قمار، وهذا في نهاية القرن الثامن عشر[8]، حيث جلب أهل قمار بذوره من نواحي باجة التونسية[9]، ليتعدى حدود سوف منذ 1885، وينتج مرتين في السنة حتى كانت قمار لزمن طويل مهد زراعته والمنتج الوحيد له[10]، وقد قدّر الإنتاج من التبغ بوادي سوف سنة 1910 بـ 150 ألف كغ[11]، ليصل سنة 1939 إلى 1333 قنطار[12].

---

(1) C . Cauvet :Notes, p 97.

(2) ريمون فيرون : الصحراء الكبرى، ترجمة جمال الدناصوري، مراجعة شكري نصر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967، ص 105.

(3) M . CH. Lutaud : **Situation générale des territoires de sud de l'Algérie pendant l'année 1910**, Imprimerie libraire – Éditeur, Alger, 1911, p 82.

(4) M . CH. Lutaud : **Situation générale des territoires de sue de l'Algérie pendant l'année 1916** , Op. Cit, p 55.

(5) C. Kariaud : Op cit, .

(6) Pierre Munier : **Le palmier Dattier**, Maison neuvre, Paris, 1973, p 51.

(7) Ahmed Nadjah : Op. cit, p 74.

(8) André Voisin : Op. cit, p 156.

(9) **صوت وادي سوف**، جريدة تصدر باللغتين (الفرنسية – العربية) عن المكتب الفرنسي الخامس، بالوادي، عدد 02، 1958، مرقونة، ص 10.

(10) André Voisin : Op cit, p 156.

(11) M . CH. Lutaud : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1910**, Op. Cit, p 84.

(12) C. Ferry : Op. cit, p 03.

أما المحاصيل الغذائية فهي قليلة لا تزيد عن حاجة السكان المحليين، ويقوم الفلاحون باستصلاح أماكن قرب النخيل تدعى الحرث[1]، أو الفلاحة أو الجنان، وهي مساحات تتراوح ما بين 50 إلى 80م^2، فيكون في ناحية من الغوط ويسيج بزرب (سياج) من الجريد[2]، وهذه المساحة ينبغي أن تتوفر على عدة متطلبات ضرورية لخدمة وتسهيل الزراعة وهي : البئر، والخطارة[3]، والماجن[4]، والسواقي[5]، والميزاب[6].

وهكذا يستطيع الفلاح السوفي ممارسة الزراعة ولو بعد مشقة وعناء دائمين تتطلبهم رعاية الغواطين والحرث من سقي وتوضيب ورعاية، إلا أن توفير احتياجاته الضرورية من الغذاء متوفرة يوميا، حيث يتم جني الخضر الطازجة الجيدة، لتستعمل في حينها، ولا تنقطع هذه الخضر من الحرث، وكل موسم له محاصيله الخاصة، وبهذا يكون للعائلة السوفية اكتفاء ذاتيا من الخضر الموسمية. أما القمح والشعير فإن المنطقة عاجزة على زراعتهما، هذا ما يجعل عملية استيرادهما أساسية.

ج - الصناعة :

تعد الصناعة بوادي سوف صناعة تقليدية، فهي أشبه بالحرف من الصناعة، لكنها مع هذا حاولت بمرور الزمن أن تلبي احتياجات الأهالي، فإن هذه الصناعات أخذت تتطور وتستفيد من الخبرات المكتسبة لتتعدى حدود وادي سوف، غير أن ما كانت تقدمه من دور في الحياة الاقتصادية والاجتماعية كان دورا هاما، مع أن المواد الأولية هي في الأساس من النخلة، باعتبارها النبات الأساسي، وحيواناتها وصخورها.

فمن خوص النخيل تصنع مختلف الأواني المترلية والآلات، ومواد البناء، ومن أصواف الأغنام وأشعار الماعز، ووبر الإبل يتم نسيج الملابس والأفرشة، وإعداد الخيام والأكياس. كما يتم دبغ الجلود حتى تجهز للاستغلال في مختلف الصناعات الجلدية الجميلة، أما الحجارة الباطنية (التافزة)، فهي أساس الجبس الذي يعتبر المادة الأساسية

---

[1] علي بوصبيع العايش : " النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة أهل سوف "، **مدونة الندوة الفكرية الثامنة الأمين العمودي**، دار الثقافة الوادي أيام 28 – 30 ماي، 1995، ص 16.

[2] André Voisin : Op. cit, p 148.

[3] الخطارة آلة ثلاثية الأطراف تقام حول البئر وتتكون من ركيزتين من جذع النخلة، ولها عمود متحرك ممدود بين الركيزتين تربط في مؤخرته حجرة ثقيلة تساعد على رفع الطرف الثاني الذي يعلق به الدلو المصنوع من سعف النخيل يدعى "العمورة"، ويشد بحبل متوسط الطول مصنوع من ليف النخيل.

[4] الماجن : حوض من جبس يكون ملاصقا للبئر وبه فتحات تتصل بالسواقي.

[5] السواقي : هي مجاري مائية تتصل بالماجن والميزاب، وتعد من الجبس فتكوّن فوق الرمال طبقة جبسية رقيقة تمنع تسرب الماء وتحافظ عليه، وتساعده على الوصول لسقي النباتات.

[6] الميزاب : حوض من الرمل تكون جوانبه مرتفعة بعض السنتمترات وبداخله تزرع مختلف أنواع الخضر ويكون غالبا مستطيل الشكل، ويتصل بالسواقي عن طريق فتحة.

لتشييد المباني والمنشآت العمرانية.

د - التجارة وطرق المواصلات :

* – التجارة :

تعد التجارة نشاطا هاما بالنسبة للفرد السوفي، حيث نجده يمارسها في أبسط أشكالها؛ لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بحياته الاقتصادية والاجتماعية. وهذا بدءا من الفلاح الذي يحمل إلى السوق من الغيطان كل من التمور والمزروعات المعاشية الزائدة عن احتياجاته، كما يحمل الفرد السوفي من بيته المنسوجات المنتجة من طرف نسوته، فكانت هذه الأشياء تلقى رواجا كبيرا في الأسواق المحلية والخارجية. والتجارة بسوف نوعان:

– التجارة المحلية :

إن الحركة التجارية نشيطة ودائمة وهذا حسب ما جاء في الكثير من التقارير الفرنسية، حيث نجد سوق المواشي يعقد طوال أيام الأسبوع[1]، وهذا يدل على الحيوية الهامة التي كانت تمثلها وادي سوف، فهي تعد أكبر سوق تجاري يؤمه التجار من مختلف الواحات والبلدان[2].

أما السلع الأكثر رواجا في الأسواق خاصة في سوق الوادي المركزي نجد: التمور وهي عادة ما تكثر في فصل الخريف، غير أن أسعارها تتحكم فيها الظروف في كل عام[3]، ومن أهم منتوجاتها نجد " دقلة نور " التي تصدّر إلى الشمال والخارج خاصة فرنسا. كما يباع التبغ حيث يرتب بعد التمر من حيث الأهمية الاقتصادية[4].

ونجد اللحوم متنوعة حيث يباع لحم العنم والماعز والإبل، ويباع الصوف المستخلص من الخرفان التي تربى بالمنطقة، غير أنه لا يحقق الاكتفاء الذاتي [5] والدّهان " السمن "، فهو كثير الاستهلاك، حيث ينتج محليا من خلال ثروة الحيوانات المتمثلة في الماشية. أما الحايك " الحولي " فيباع في سوق كوينين غير أنه أخذ في التراجع

---

(1) M . CH. Lutaud : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1913**, Imprimerie – libraire - Éditeur, Alger, 1914, p 61.

(2) محمد العربي الزبيري:**التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792-1830)**،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص 154.

(3) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 79.

(4) Ahmed Nadjah : Op. cit, p p 60 - 74.

(5) C.Cauvet : Notes, p 83.

نتيجة تفضيل الأهالي للألبسة الأخرى بالإضافة إلى المنافسة بسبب رواج صناعته في كل من تونس وفرنسا[1].

كمــا نجد الجلــة[2] والحطب. والجلــة يلتقطهــا البدو بالقــرب من الآبــار أو من طــرق القوافــل، فتبــاع في الغــرارات أو الشــواري[3]، أما الحطب فيبــاع على شكل حمــول[4]، ويقــدر حمل الجلــة مابين ثلاثة إلى أربعة فرنكات[5]. ويباع الحشان وهو صغــار النخل " الفسائل " المجلوبة خاصة من الواحات المالحة بوادي ريغ وورقلة لنموها الجيد في رمال سوف، كما تجلب أعداد قليلة من الجريد التونسي[6].

وإلى جانب هذا كله تباع الحيوانات بمختلف أنــواعها، أمــا الخضــر والفــواكه فهــي محليــــة ذات استهــلاك يومي[7]، غير أنهــا قليلة لا تــزيد على الاكتفــاء الذاتي[8]. هكــذا كانت الســوق مركــزا حيــويا تجــلب إليه البضائع المختلفة من أجل الاستهلاك المحلي أو قصد التصدير إلى الخارج.

– التجارة الخارجية :

وتتمثل هذه التجارة في عمليات مقايضة الحبوب بتمر الغرس أو لمنسوجات[9] كالزرابي، فهي مشهورة في سوف، وقد أعدت للتصدير، حيث إن زبائنها في المنطقة هم السيّاح وضباط الشؤون الأهلية[10]، كما أنهــا تباع من طف احتكاريين معمرين[11]. ويعــد القمح والشعير العنصرين الأساسيين من مشتريات السوق لأنه من الأغذية الأساسية بالمنطقة[12]، والجدول الآتي يوضح استيرادها للمنطقة خــلال ســنوات (1930 – 1939):

---

(1) M . CH. Lutaud : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant les années 1907 et 1908**, Imprimerie – libraire - Éditeur, Alger, 1909, p 58.

(2) الجلة : وهي فضلات الإبل تستغل في تغذية النخيل بعد عملية عزقها، هي من أهم المواد العضوية الصالحة لتلك العملية.

(3) André Voisin : Op. cit, p p 149. – 159. – C . Cauvet : Notes, p 85.

(4) C . I . Bataillon : Op. cit, p 98.

(5) أبو القاسم سعد الله : " مهمة موتيلانسكي في سوف لدراسة اللهجة الغدامسية سنة 1903 "، **مجلــة الثقافــة**، العــدد 107 – 108، الجزائر، مارس – أفريل 1995، ص 104.

(6) C. Cauvet : La culture, p p 36 – 37.

(7) M . CH. Lutaud : Année 1909, Op. cit, p 92.

(8) Ahmed Nadjah : Op. cit, p 79.

(9) André Voisin : Op. cit, p 171.

(10) Territoir Militaire de Tougourt annexe d'El-Oued : **Industrie des tapies au souf**, p 01.

(11) C . Ferry : Op cit, 03.

(12) C . I . Bataillon : **Le souf étude de géographie humaine**, Institut des recherches sahariennes, Université d'Alger, 1955, Alger, p 98.

جدول استيراد القمح والشعير (1930 – 1939)[1].

السنة	1930	1932	1935	1937	1939
القمح بالقنطار	17000	12000	8500	6000	19000
الشعير بالقنطار	15000	13500	12000	10000	10000

وهذه الإحصائيات تدل على مدى احتياج الأهالي لكل من القمح والشعير. كما يحتاجون الزيت، حيث كان النوع المفضل هو زيت الزيتون، ومن بين المواد الأخرى المستوردة نجد السكر حيث يستهلك منه النوع الشفاف البلوري العادي[2] ويباع بالقوالب. بالإضافة إلى مواد أخرى مختلفة.

** – طرق المواصلات :

إن وسائل الاتصال كانت عبارة عن وسائل بسيطة إلا أنه بعد العشرينات أدخلت وسائل حديثة كالسيارات والشاحنات. أما قبل ذلك فقد كانت الوسيلة المستعملة هي الإبل والسير بها يتم وفق قوافل تجمع ثلاثة جمال أو تزيد، ويدعى أصحاب هذه المهنة بالمنطقة بـ "الحمارة"، ووظيفتهم نقل البضائع المحلية وجلب أخرى مستوردة للاستهلاك. ووادي سوف ذو الموقع الحدودي جعله يتميز بتعدد طرق المواصلات، وتشابك خطوطها وكثرة تفرعاتها، حيث تقع في الفضاء الجنوبي الرابط بينها وبين بلاد الجريد التونسي وغدامس الليبية، والهقار بل أبعد منذ ذلك إلى بلاد السودان. والطرق في سوف نوعان :

- طرق تكون فيها سوف منطقة عبور للقوافل الآتية من الشمال أو الشرق، أو الجنوب.

-طرق تكون سوف من خلالها منطلق القوافل إلى تلك الجهات.

من خلال تتبعنا ضمن مسالك الطرق يتبين لنا مشاق السير لوعورة الدروب، لكن هذا لم يثن من عزائم الرجال بل زادهم رغبة في معرفة واكتشاف غيرها من الطرق ما أمكن، حتى تظل التجارة قائمة، وبالفعل فإن هذا يدل على حيوية المنطقة، وموقعها المتوسط لأرجاء عديدة مع متاخمتها للحدود التونسية والليبية وحتى السودان القديم[3]، فكان هذا كافيا لاحتلالها هذه المكانة.

---

(1) C . Ferry : Op. cit; p 01.

(2) Ibid, p 172.

(3) أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 172.

2 – الوضع الاجتماعي :

إن حيوية النشاط الاقتصادي بوادي سوف انعكست على الوضع الاجتماعي، زيادة على تميز الحياة الاجتماعية بأسس متشابكة العناصر ذات الروابط السكانية المتعددة والفئات الاجتماعية المتوازية وأشكال الحياة المعيشية المزدوجة جعلت جزءا هاما من السكان يتوجه نحو حياة البداوة في الصحراء الفسيحة، بينما فضل الجزء الآخر من السكان العيش المستقر في الحضر من مدن وقرى متعددة ظلت تتزايد بصفة مستمرة، حيث تحول جزء هام من البدو إلى الحياة الحضرية، وهذا لصعوبة العيش في الصحراء وتزايد مستويات القحط والجفاف بها، حيث نجد الصحراء الشمالية الشرقية كانت معشوشبة قبل العشرينات، لكن الجفاف بعد ذلك بدأ ينخر أواصرها[1].

وعلى هذا الأساس ساد مختلف هذه الأوساط الاجتماعية مستوى معيشي متقارب وحالة صحية طبيعية حسنة عموما، أما الأواصر التي تربط بين فئات المجتمع السوفي، فقوامها الأول العائلة، ثم القبيلة وبعدها العرش، حيث يربط بينها الود ويطغى عليها الانسجام لوجود "العرف" المطاع والمسموع لدى غالبية السكان، لكن هذا لا يبرر انعدام السلوكات السلبية لدى عامة المجتمع، مما يؤثر في ترابطه من حين إلى آخر، فيكون ذلك سببا في انتشار روح الفرقة والشقاق، والسبب يكمن حصره في الممارسات البسيطة والعصبيات القبلية التي تؤجج نارها بعض السلوكات الناتجة عن العادات والتقاليد البالية التي يحيكها بسطاء الفكر أو المشعوذين والسحرة أو أصحاب التعصب القبلي. أما الوضع المعاش فتطغى عليه ملامح الصحة خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث ينتشر المرح والسرور والاستمتاع بالتسلية واللعب في الأوساط الصبيانية، والتقاء الرجال بالمنتديات المسائية القروية خارج حدود البيوت للسمر ومناقشة الشؤون العامة التي تحتاج إلى معالجة، وانغماس النسوة بالعمل الدؤوب غير المنقطع صباحا ومساء، وبهذا التفاعل المتأصل في المجتمع السوفي تنمو المودة بين أفراده.

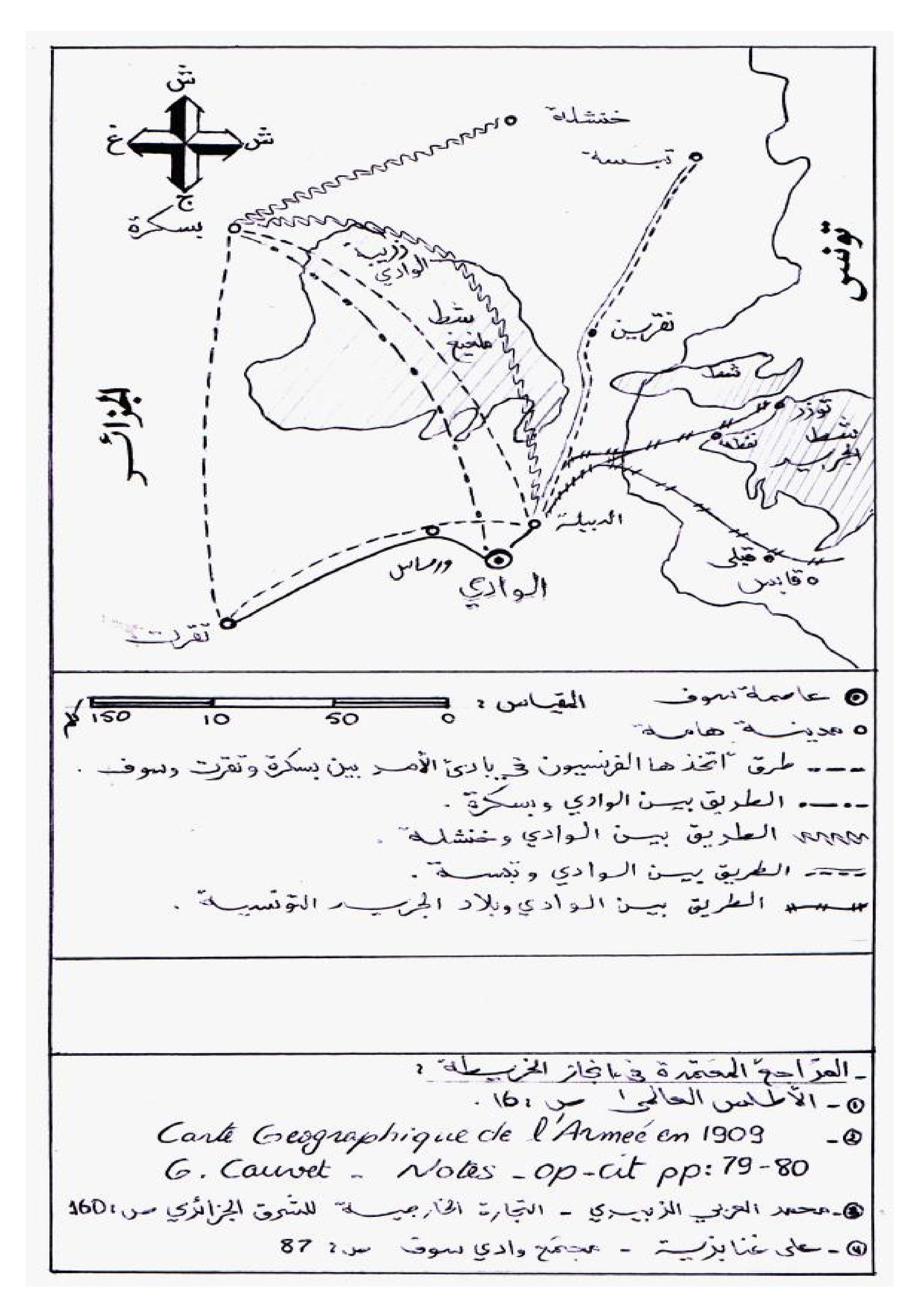
أ- بنية المجتمع السوفي :

إن غالبية السكان في وادي سوف ينتسبون إلى العنصر العربي مع تواجد العناصر الأمازيغية[2]، وهذا نتيجة الهجرات العربية من قبائل هلال وسليم التي أصبحت تشكل العنصر المهيمن بالإقليم، حيث أصبح غالبية السكان ينتمون إلى عرشين كبيرين هما : طرود وعدوان، لتتطور منهما التركيبة السكانية الآتية :

---

[1] **لقاء** مع الشيخ باي محمد يوم 14 رجب 1424هـ / 10 سبتمبر 2003 بمنزله صباحا، والسيد من مواليد 1902، كما أنه يؤكد أن مولده قبل هذه السنة.

[2] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص ص 289 – 323.



خريطة الطـــرق الـــرابطـــة بين ســـوف والمنـــاطق المجـــاورة لهـــا.

– عرش طرود : وهم في الأصل ينتمون إلى طرود بن فهم بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن سعد ابن عدنان، وقد وصلوا سوف في القرن 14م[1]، وهم يتوزعون على قبيلتين أساسيتين عمرتا مدينـــة الـــوادي، وضواحيها، وهما :

* الأعشاش : وينحدرون من فرع بني سليم[2]، منهم أولاد أحمد وأولاد جامع والفرجان والربايع، أما قبيلة القطاطية فهي الوحيدة التي قدمت إلى سوف في القرن التاسع عشر[3].

** المصاعبة : وهم أيضا من بني سليم[4]، غير أن بعض المؤرخين يعتبرون "المصاعبة" ذات أصل أمازيغي في التسمية، وهي من قبيلة "ماسوفة" البربرية، لكن عوامل التأثير الاجتماعي جعلتهم عربا متمسكين بعروبتهم[5]، وهم العزازلة والشبابطة والقرافين، في حين نجد الشعانبة الذين قدموا مؤخرا في حدود 1886، وهم عائلات مهاجرة من ورقلة من أولاد عمران[6].

– عـــرش عدوان : وهم ينتمون في الأصـــل إلى عـــدوان بن عمـــرو بن قيس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان [7] توطنوا بادئ الأمر ثم امتزجوا مع قبائل أخرى فتشكل منهم:

أولاد سعود : وهم سكان تاغزوت في بادئ الأمر الذين وقعوا في خلاف مع أحمد الشابي التونسي رئـــيس البادية التونسية [8]، ووصل إلى حد العداوة والقتال، فهزم هذا الأخير أمـــامهم في حـــدود القـــرن التاســـع الهجري[9]. والتسمية تعود لأحد شيوخهم يدعى سعود فعند استشارتـــه في تسمية أنفسهم أشار عليهم باسم أولاد اسعود فأطاعوه وسمعوا كلمته، فصاروا يسمون بهذه التسمية[10]، وهم سكان : تـــاغزوت وكـــوينين والزقم، وورماس وسيدي عون، وكل سكان هذه القرى مزيج بين عرشي طرود وعدوان.

أما سكان القرى والمدن الباقية، وهي قمار والدبيلة والبهيمة، إضافة إلى عميش والرقيبة ووادي العلنـــدة،

---

[1] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 270 – André Voisin : Op. cit, p 54.
[2] إبراهيم العوامر : نفس المصدر، ص 307.
[3] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 106.
[4] André Voisin : Op. cit, p 57.
[5] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 107.
[6] C . Cauvet : Notes, p 63.
[7] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 270.
[8] العدواني : المصدر السابق، ص ص 315 – 318.
[9] علي الشابي : " مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية "، **المجلة التاريخية المغربية**، العددان 13 - 14، تونس، يناير 1979، ص 57.
[10] العدواني : المصدر السابق، ص 317.

وغيرها من التجمعات السكانية كانت مزيجا من عرشي عدوان وطرود[1]، ومع هذا نجد أن كثيرا من العائلات تتباهى بانتسابها إلى الأشراف من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام، حيث توجد لهذه العائلات شجرات النسب المنتهية بنسبته صلى الله عليه وسلم، وهم عائلات عديدة[2]، وهي عائلات في غالبها ترتبط بالتصوف، كما تلعب أدوارا هامة في توجيه السكان وكسب ودهم[3]. لكن مع هذا نمت بين هذه القرى عداوات وحروب مثلما وقع بين والبهيمة، وبين تاغزوت وقمار[4]، و لم تتوقف هذه العداوات حتى القرن العشرين. أما التطور السكاني للمجتمع السوفي، فقد كان في أواخر القرن التاسع عشر يشهد تزايدا حسب إحصائيات تقريبية قام بها المستعمر منذ اتصاله بالجهة من أجل خدمة أغراضه الاستعمارية منها :

- معرفة المقومات البشرية ودراسة طبيعة السكان، وتقدير إمكانياتهم، وهذا لطبيعة الصراع الذي يتطلب ذلك حتى يتمكن المستعمر من وضع الخطط الاستعمارية لمواجهتها.

– معرفة المقومات البشرية من أجل الاستعانة بها واستثمار بعضها لخدمة الاستعمار عسكريا واقتصاديا.

– التحكم في التحركات التي يقوم بها السكان في هذه الصحراء الواسعة.

– التظاهر أمام الأهالي بوجه الحريص على مصالحهم خاصة من خلال ضبط أمورهم الإدارية، لكونهم غير آبهين بهذا الدور الحضاري. والجدول الآتي يبين تطور سكان وادي سوف وكثافتهم مابين1854–1936:

السنة	1854	1887	1900	1936
السكان	18000(2)	21018(3)	32700(4)	78476(5)
الكثافة ن/كلم2	0,21	0,21	0,39	0,94

---

(1) C . Cauvet : Notes, p 64.

(2) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص ص 287 – 326.

(3) علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 107.

(4) إبراهيم العوامر : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، (مخ)، ج 2، نسخة أحمد مفتاح، ص 44.

(2) André Voisin : Op. cit; p 62.

(3) ريمون فيرون : المرجع السابق، ص 104 – C . Cauvet : Notes, p 64.

(4) C . Cauvet : Notes, p 64.

(5) C . Ferry : **Notes sur la situation Economique de la population musulmane de la commune Mixte d'El-Oued**, Archive de la direction des Moudjahidines d'El-Oued, El-Oued, Année 1948, p 02.

ومن خلال الجدول نلاحظ أن تطور السكان عرف مرحلتين هما :

المرحلة الأولى (1854 – 1900) : وهي مرحلة النمو البطيء، حيث يقدر النمو بـــ 14700 نسمة؛ أي بمعدل 319 نسمة في السنة، وهي زيادة بطيئة، وهذا يعود إلى الظروف السياسية المضطربة وتوسع المقاومات الشعبية المسلحة، إضافة إلى الأوضاع الاجتماعية الصعبة كانتشار الأمراض والأوبئة وفتكها الشديد بالسكان.

المرحلة الثانية (1900 – 1936) : وهي جدّ متطورة لحدوث تحول اجتمـــاعي وتطـــور سياســـي انعكس على المجتمع إيجابيا، فخلال سنة واحدة ازداد السكان بحوالي 1200 ساكنا، وهذا الارتفاع يـــرتبط بعدة عوامل هي :

– الهدوء والاستقرار السياسي للمجتمع بعد أحكام الإدارة الاستعمارية قبضتها على السكان.

– تحسين المستوى المعيشي من خلال الغذاء واللباس والمسكن.

– تزايد مستويات العناية الصحية لمقاومة الأوبئة ومعالجة الأمراض الفتاكة، لكن مع هذا يبقى العدد محدودا قياسيا بالمساحة الواسعة التي تقدر بـــ 82800 كلم^2 لإقليم وادي سوف، حيث نجد الكثافة السكانية بقيت بسيطة فهي لا تصل في عمومها إلى 1 ن/كلم، أما تقسيم السكان في المجتمع السوفي حسب نمط حياتهم فإننا نجد الملامح الآتية :

– البدو الرحل :

البداوة هي الحياة الأصلية للقبائل العربية التي استوطنت المنطقة في أزمنة متفاوتة، وهذا لحاجتـــهم الماســـة للحياة الطبيعية، حيث تتميز البداوة في المجتمع السوفي بعدة خصائص منها:

- البدو يعيشون في جزء من السنة على الصحراء خارج الواحات مع قطعان الماشية والإبل مـــع امـــتلاك هؤلاء البدو للنخيل التي تلبي احتياجاتهم الغذائية فيستقرون بواحاتهم لمدة ثلاثة أشهر من أكتوبر إلى ديســـمبر، لكن في السنة الوفيرة تمتد حتى جانفي أو فيفري[1].

- وجود نوع من البداوة تقوم على التنقل المحدود وهم " شبه الرحل "، حيث ينتقل بعض أفراد القبيلة بمعية

---

[1] Bataillon : Op. cit, p p 62 – 63.

قطعانهم، ولكنهم يعودون إلى مناطقهم الأصلية[1]، وهذا خاصة في السنوات الجافة.

- اشتغال بعض البدو بالرعي، وهذا بوضع سكان الحضر قطعان من الإبل أو من الماعز والضـأن يسـهر الرعاة على رعايتها مدة ستة أشهر أو عام مقابل أجرة من الطعام (التمر والقمح) والملابس كل سنة (قندورة وبرنوس وسروال وشاش وعفان) إضافة إلى حيوان يسلم حسب عدد القطيع[2].

- أما التركيبة الاجتماعية للبدو وتقوم على " القبيلة " التي ينتمي إليها البدو مهما كان تواجدهم، وتمثل " الأسرة " قاعدتها الأساسية[3]، وإن مناطقهم تخضع للعرف السائـد والعادات التي انتشرت بينهم.

- عناصر البدو في سوف تتمثل في طرود والشعانبة ومايتعبهم كالربايع[4].

– سكان المدن والقرى السوفية :

بعد استقرار القبائل الهلالية تكون بوادي سوف في أواخر القرن التاسع عشر مدينتين هامتين هما عاصـمة الإقليم، حيث قدر تعداد سكانها سنة 1883 (5000 ساكن)، ومدينة قمار وبها 3000 سـاكن[5]، وتتواجد حول هاتين المدينتين مجموعة من القرى هي : كوينين وتاغزوت، وعمـيش والبهيمـة، ووالدبيلـة وسيدي عون[6].

والعـامل الأسـاسي في التـوسع العمـراني هو البحث المستـمر عن المكـان الجيد الصـالح لإنجـاز بستـان النخيـل (الغـوط)، حيث الميـاه القريبـة من السطـح وقلة الرمـال، وقـد كانـت هـذه الخصـائص تتـوفر خـاصة في المنطقـة الشمـالية والشمـالية الغربيـة مـن وادي سـوف، وبعـد زمـن مـن إنجـاز هـذا الغـوط تغـادر العـائلات مركـزها الأصـلي في المدينـة أو القريـة وتستوطن بالغوط الجديد أو قربه فتبني مساكنها ومسجدها، وهكذا يأخذ المركز الجديد يتطور إلى أن يتحول إلى قرية صغيرة[7].

---

(1) محمد السويدي : **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 166.

(2) André voisin : Op. cit, p 62.

(3) Ahmed Nadjah : Op. cit, p 36.

(4) **Rapport sur la population du souf d'après l'annexe d'El-Oued**, DOC, dans les archives de la direction des moudjahidines d'El-Oued.

(5) C . Cauvet : Notes, p 64.

(6) D . Escard : Op. cit, p 38.

(7) **Rapport sur les républiques habitant d'après l'annexe d'El-Oued**, DOC, dans les archives de la direction des Moudjahidines, d'El-Oued.

ب- المستوى المعيشي والصحي للمجتمع السوفي :

إن الطبيعة الصحراوية رغم قساوتها ساعدت على صفاء البيئة، كما أن الطبيعة الاقتصادية البسيطة مكنت المجتمع السوفي من حصوله على مستوى معيشي حسن، مما انعكس إيجابا على المستوى الصحي باستثناء بعض الكوارث الطبيعية والصحية.

– المستوى المعيشي للمجتمع :

إن ثروة السوفي وغناه الحقيقي يتمثل في امتلاكه للتمور خاصة الغرس الذي يستطيع أن يحفظه لعدة سنوات[1]، وأفضل التمور هي التي تكون " بعلا "؛ أي التي لا تسقى نخيلها بل تشرب مباشرة لطول جذورها واتصالها بالماء مثل نخل وادي سوف، هذا يزيد من قيمة وجودة التمور ومدى صلحية تصبيرها، وهذا كان دافعا لحماية المجتمع من الكوارث التي تتسبب في المجاعات أو الحروب المدمرة؛ لأن التمر هو الغذاء الرئيسي وقد قال رسول الله (ε): (لا يجوع أهل بيت عندهم التمر)[2].

ورغم هذا إلا أن سوف أصيبت في بعض الأحيان بآفات طبيعية أثر على منتوج التمر مثل مجيء الغلة " صيش [3]"، كما أصاب الغلة سنة 1885 حمار فأصبح يدعى عام الخموري الأول والثاني سنة 1887[4]، فحدثت المجاعة في أهل سوف. كما قد نزلت بوادي سوف كارثة الجراد مرات عديد، فكان بعض الأهالي يتباشرون بقدومه ويخرجون جماعات إلى الصحراء من أجل صيده وطهيه ليخزن ويؤكل في أوقات أخرى عادة ما تكون فترات مجاعة وقحط، فكان تاريخ مجيئه سنة 1892[5]، وسمي بعام الجراد الأول، وكذلك عام 1897، حيث يتسبب الجراد في إتلاف بعض المزروعات لكن غلة التمر تكون قد جنيت؛ لأن قدومه يأتي في الربيع عادة، غير أن مقاومة الجراد لم تكن منظمة، لكن بعد الاحتلال بدأت الإدارة الفرنسية تتولى هذا الأمر وتشرف عليه وتنظم شؤونه[6]. أما مستوى حياة السكان في الغذاء واللباس، فتختلف بين البدو والحضر،

---

(1) C . Cauvet : Notes, P 66.

(2) مروي عن عائشة أم المؤمنين. - ينظر المناوي : **التيسير بشرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، ج 2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، المطبعة المصرية بولاق، مصر، (د – ت)، ص 504.

(3) الصيش : هو المحصول الذي تنتجه النخلة في بعض السنوات العجاف، وهو أقل قيمة من التمر، ولا يعتمد عليه في الادخار لعدم صلاحيته، حيث يكون المحصول قليل جدا.

(4) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 51. – مصطفى سالمي : المرجع السابق، ص 20.

(5) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 51. – محمد بن عزوز بن محمد الصالح : **التعريف بزاوية سيدي سالم**، (مخ)، بمكتبة المصطفى لزاوية سيدي سالم.

(6) M . CH Lutaut : **Situation générale des territoires de sue de l'Algérie pendant l'année 1909**, Op. cit , p 93.

وهذا لارتباط كل منهما بحياته حسب ما تميله الظروف.

- المسكن في المجتمع السوفي :

المجتمع السوفي كغيره من المجتمعات البشرية التي تركن إلى مساكنها حتى يستطيع الفرد أخذ قسط من الراحة، لكن المسكن يختلف باختلاف الظروف والأوضاع التي يعيشها في حل وترحال، هذا وفقا لحياة البداوة أو الريف أو الأوساط المدنية، وهي في أغلب الأحيان تكون مؤقتة، مما جعلها بسيطة في شكلها ومتواضعة في بنائها، لكن رغم بساطتها إلا أنها ساهمت في تطوير العمران الحضاري باستمرار وتواصل. فالبدو والرحل يسكنون في بيوت خفيفة الحمل عند تنقلهم، وهي الخيمة أو " بيت الشعر "، لكن عند فصل الحرارة يقام بالقرب منها كوخا للاحتماء به من شدة الحرارة، كما يستقبلون فيه الضيوف، وهو من حطب الأشجار الصحراوية[1]. وكل قبيلة تتميز عن غيرها من حيث وضع أشكال وألوان على الخيام.

أما مساكن الحضر الريفية فهي منازل من خوص النخيل في شكل زرايب ثم أصبحت تبنى من الجبس أقامها سكان القرى والمدن من الحضر في بساتينهم ليسكنوها أثناء تنقلاتهم الموسمية، وهذا منذ جوان إلى سبتمبر، تاركين بيوتهم الساخنة في الحضر أو القرى الكبيرة لشدة حرارتها، ملتجئين إلى هذه البيوت الثانوية لبرودتها نهارا[2]، وهذا لأداء أعمالهم خاصة في سقي الغلال مع تمكنهم من جني التمر ومراقبة نموه. أما التجمعات السكانية (الحوش) فإن القرى والمدن في منطقة سوف تمثل تجمعات تكون بها مساكن ذات أبواب صغيرة تبنى أسقفها بالجبس وأجزاء من أغصان النخيل، وتقام هذه المساكن حول المسجد، وعلى أطرافه تنتشر وتتوسع البلدة " النزلة " مع إقامة بئر في سوط الرحبة[3]، التي تتفرع منها شوارع حلزونية تغطيها الرمال كلية[4]، بالإضافة إلى وجود زرايب أو خيام تسكن بها العائلات الفقيرة في ضواحي عاصمة سوف مدينة الوادي[5]، ويراعى في هذه المنازل الجوانب الأخلاقية من حشمة وحياء، والظروف المناخية إضافة إلى الجوانب الصحية المناسبة[6]، وقد أخذت أحجام الحجرات بالمنزل تعرف تغيرات مستمرة حسب المتطلبات والاحتياجات الأساسية للسكان. وقد عرف المنزل السوفي منذ زمن "بالحوش" نسبة للفضاء الواسع في وسطه وهو محاطا بحجرات وجدران في الأطراف، كما يوجد وسط هذا الفضاء بئر في الجهة الشرقية. كما يراعى في طبيعة هذا

---

(1) C . Cauvet : Notes, p 71.

(2) André Voisin : Op. cit, p p 74 – 76.

(3) Ibid, p 76.

(4) Isabelle Eberhardt et victor Barrucand : **Dans l'ombre chaude de l'islam**, Imprimerie Diary, Paris, 1926, p 258.

(5) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 84.

(6) Ahmed Nadjah : Op. cit, p 92.

التصميم التفطن للظروف المحيطة بالفرد مع إدراك كيفيات الاستغلال والاستفادة، وهـــذا بتـــوفير الشـــروط الضرورية من جوانب اقتصادية، وأخلاقية وصحية تساهم في استمرارية حياته دون تكلف.

- المستوى الصحي بالمجتمع السوفي :

إن البيئة الصحراوية ومستويات التغذية القائمة على التمر ساهمت في إبراز مستوى صحي حسن باســتثناء بعض الطوارئ التي تجلب معها كوارث. وقد ساهم هذا في بروز ممارسات علاجية متنوعة يمكن حصرها في :

***- الطب الشعبي :**

وهو طب عام مستعمل في جميع الأمراض العادية والحوادث الطارئة، والإصابات الخطيرة، ويتم مـــن طرف الأفراد داخل الأسرة حسب ما تعارف عليه من أدوية مجربة عند الخاص والعام، وهي في شكل أعشاب طبية.

أما الحالات المستعصية فيراجع فيها المختصون داخل القرية أو خارجها[1]، والطرق العلاجية المستعملة من أهمها الكي بالنار والفصد والحجامة، والكحل لأمراض العين، وهذا بناء على حديث رسول الله (ρ) الـــذي يقول فيه : « الشفاء في ثلاث شربة عسل، وشلطة محجم، وكية نار. » رواه البخاري[2]. وهذا وفق الطـــب النبوي، والحجامة هامة حثّ عليها الرسول (ρ)حسب قوله : « خير ما تـــداويتم بـــه الحجامـــة » رواه النسائي[3]. أما الاكتحال فقد ورد في الحديث : « عليكم بالأثمد[4] فإنه يجلو البصر وينبـــت الشـــعر » رواه الترمذي[5].

- حمام الرمال : والمعروف بالتعريق، وهو لمعالجة الروماتيزم ويقام ما بين 15 جويلية إلى 15 أوت مـــن كل سنة، وهذا بدفن المريض في الرمال الساخنة الرمضاء مع إبقاء رأسه عاريا.

- الرقي والتمائم : وهي إما من القرآن الكريم والأدعية المأثورة أو بعض العزائم السحـــــرية، والـــــرقى تكون من لدغ العقرب والحية، والعين[6]، وتعلق التمائم لمنع المرض، وعلاجه وهذا حســـب كتـــب الفقـــه

---

[1] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 128.

[2] ابن القيم الجوزي : **الطب النبوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1957، ص 38.

[3] ابن القيم الجوزي : نفس المصدر، ص 41.

[4] الأثمد : هو حجر الكحل الأسود.

[5] ابن القيم الجوزي : المصدر السابق، ص 217.

[6] ابن أبي زيد القيرواني : **الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، تحقيق الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، مطبعة المنار، تونس، (د - ت)، ص 710.

المالكي المتواجدة بالمنطقة مثل **الرسالة**، فقد ورد بها : « ولا بأس بالمعاذة تعلق وبها القرآن[1]. ».

- الأعشاب الطبية : وهي عديدة يتناولها السكان لتسكين آلام الأمراض، وعلاجها وهي تستعمل عن طريق الفم أو السحق للبلع والسف، أو تقام كجبائر وكمادات. ويعتمدون في هذا على كتب القدامى من أطباء العرب كابن سينا[2]، أو **تذكرة**[3] داود الأنطاكي[4]، أوكتاب جلال الدين السيوطي[5]، أو غيرها.

والحالات التي تنجم عنها هذه الأمراض عديدة منها :

- الإصابة بالشوك وهو شوك خوص النخيل فتعالج بعدة أعشاب[6].

- اللسع العقربي وهو راجع للانتشار الواسع لحشرة العقرب، وهي تعالج بتمرير اليد على العضو المصاب[7].

- الكسور وهي تحدث جراء أحداث عديدة وعلاجها يتم عن طريق التجبير، وهذا باستعمال شيء من خوص النخيل يربط بخيوط على الطرف المكسور، مع تثبيت المريض حتى لا يتحرك كما يستعمل " زهم النعام " وهو سريع في جبر الكسور[8].

****- الطب الحديث :**

أعتمد الطب الحديث منذ تأسيس أول مركز للقوات الفرنسية المستقرة في منطقة الدبيلة، حيث رافقهم مستوصف متنقل للاهتمام بشؤون الحامية العسكرية منذ 1883، وعين به رئيسا للأطباء في صائفة 1884[9]، لكن الاهتمام الأكثر بهذا القطاع كان منذ تأسيس أول ملحقة حيث تم استقدام مجموعة من الأطباء العسكريين كانت مهمتهم معالجة السكان المدنيين إلى جانب العسكريين الفرنسيين[10]. أما النواة

---

(1) ابن أبي زيد القيرواني : **متن الرسالة لأبي زيد القيرواني**، مكتبة رحاب، الجزائر، ص 169.

(2) D. Escards : Op. cit, p 52.

(3) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 53.

(4) داود الأنطاكي : **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1282هـ.

(5) جلال الدين السيوطي : **كتاب الرحمة في الطب والحكمة**، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1323 هـ.

(6) Ahmed Nadjah : Op. cit, p 104.

(7) Ibid, p 106.

(8) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 130.

(9) D . Escards : Op. cit, p 33.

(10) Bulletin de liaison saharienne : **Dix ans de réalisation communale dans l'annexe d'El-Oued**, Immeuble Mouritania, Alger, 1958, p 372.

الأولى للمستشفى العسكري بمدينة الوادي فقد تم بعد انتقال الحامية العسكرية من الدبيلة واستقرارها نهائيـــا بمدينة الوادي منذ 1987، وقد ضم هذا المستشفى سنة 1900 غرفا متعددة وأسرة كما جهـــز بمختلـــف المعدات الطبية الأولية الحديثة، إضافة إلى غرفة خاصة بالعمليات الجراحية[1].

لكن ما كان معروفا هو عدم إقبال الأهالي على هذا المستشفى لاعتقادهم الديني القائم على عدم التعامل مع النصارى الكفار، لكن عند اشتداد المرض ويئس الطبيب الشعبي يلجأ المريض وأهله إلى المستشفى العســـكري الفرنسي الفتي[2].

3 – السياسة الاستعمارية وآثارها على الوضع الاقتصادي والاجتماعي :

إن المستعمر منذ محاولاته الأولى للتوسع بالجنوب تظاهر بمظهر المستكشف الذي يـــود تقـــديم خـــدمات للمناطق الصحراوية منها الاقتصادية قصد التقرب من السكان، واستمالتهم من وادي سوف إلى الهقار حـــتى غدامس وغات[3]، ولكن حقيقة ذلك تظهر في ثلاثة محاور يمكن رصدها كالآتي :

- المحور الأول : الغزو والتوسع الاستعماري الذي تعودوا على تسميته "بالاستكشافات" والتطلع على هذا المحيط من الكثبان الرملية التي تتخللها الواحات الخضراء المنتشرة هنا وهناك[4]، قصد رصد موارد الصـــحراء الاقتصادية والبشرية لاستثمارها، والاستفادة منها مع استكشاف الطبيعة الجغرافية مـــن تضـــاريس ومنـــاخ، وطبوغرافيا، بالإضافة إلى الموارد المائية الجوفية المخزنة بباطن الأرض. كما ارتبط هذا الغـــزو الاســـتعماري بدراسة العادات والتقاليد والتاريخ السياسي والحضاري للمجموعات السكانية ناهيك عن دراسة الأوضـــاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذه التكتلات البشرية[5].

- المحور الثاني : ويظهر على مستوى وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية[6] والبُّرية، وأسلاك الهاتف من أجل تنقل القوات العسكرية في ظروف آمنة والمغامرين بين أرجاء الصحراء المترامية. وعليه قاموا بدراســـة المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية، والمناخية لرصد المناطق الأكثر صلاحية لمد هذه الخطوط الحديدية، وشـــق

---

(1) Isabelle Eberhardt : **Mes journaliers**, Par René Luis Doyen, Edition d'Aujour d'hui, Paris, 1985, p 115.

(2) André Voisin, Op. cit, p 200.

(3) Eliaou Gastan Guedj : **L´ Enseignement indigène en Algérie au cours de la colonisation (1832 – 1962)**, Editions des ecrhvans, Paris, 2000, p 126.

(4) يحي بو عزيز : **مع تاريخ الجزائر**، ص 64.

(5) يحي بو عزيز: نفس المرجع، ص 64.

(6) G . Desire vuillemin : Op cit; p .

الطرق البُّرية، مع تقديم دراسة حول محاسن وصعوبات عمليات الإنجاز، وإيجاد الحلول والاقتراحات[1]. فكان للمستكشفين والدارسين المتخصصين والمغامرين محاولات استغلوا من خلالها طـــرق القوافـــل الصـــحراوية للاستفادة منها في الغزو الاستعماري. كما فتحو الطريق للتجارة الفرنسية لاختراق قلـــب القـــارة، وهـــذا بالاستفادة أيضا من كتب الرحالة العرب وكبار المؤرخين، فكانت طرابلس أوفر حظ في دراستهم الاقتصادية، واستطاعوا أن يتعرفوا على شبكة الطرق الصحراوية فوضعوا لها رسوما وخرائط عديدة ومتنوعة[2].

المحور الثالث : محاولة إحداث بحر داخلي بالصحراء[3] لتغيير الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء، فاتجهت أنظارهم نحو أحواض الجريد التونسي، ووادي سوف، وأحواض بســـكرة لاتخاذهـــا بحـــرا داخليـــا بالصحراء، والذي سيربط بالبحر الأبيض المتوسط عن طـــريق شط فجاج إلى خليج قابس، هذا بدوره كلف المستعمر وقتا ودورا هامين في الاستكشاف مع محـــاولات الخوض في قبول الفكرة أو رفضها وبروز مؤيـــدين ومعارضين[4].

فمن خلال المحاور السابقة يتضح لنا أن وادي سوف إقليم من مجموع الصـــحراء الجزائريـــة والإفريقيـــة بالإضافة إلى متاخمتها لنقاط اتصال حدودية مع كل من جنوب تونس وليبيا عن طريق غدامس كل هذا كان من الأسباب التي جعلت المستعمر يهتم بهذه المناطق أيما اهتمام، وقد كان ذلك خلال رحلات عديدة منـــها رحلة "قويمان" لدراسة المنطقة الممتدة من وادي سوف إلى غدامس 1857[5] قصد الوصـــول إلى منـــاطق التوارق من أجل إقامة اتفاقيات بين قادتهم وفرنسا حتى يتمكن الفرنسيون من الدخول إلى عمق الصحراء[6]، فعقد اتفاق مع الشيخ الحاج إيخنوخن يوم 26 نوفمبر 1862 بمدينة غدامس[7].

كما نلمس هذا الاهتمام الممزوج بسياسة الترغيب والترهيب التي يحاول المستعمر ممارستها قصد الضـــغط وإحكام سيطرته الاستعمارية، وهذا من خلال رسالة الجنرال ديفو إلى سكان وادي سوف سنة 1858[8]، ومنذ الاستقرار النهائي لفرنسا بالدبيلة بوادي سوف شرع في إجراء دراسات ميدانية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي قصد الاستفادة منها. فعلى مستوى الخدمات العامة شرع المستعمر في صـــيانة وتشـــييد طـــرق

---

[1] يحي بو عزيز: **مع تاريخ الجزائر**، ص 64.
[2] يحي بو عزيز: نفس المرجع، ص ص 64 – 65.
[3] Jacque Valette : Op. cit, pp 255 - 258.
[4] يحي بو عزيز: **مع تاريخ الجزائر**، ص 65.
[5] عميراوي احميدة : من ملتقيات التاريخ الجزائري، ص 163.
[6] يحي بو عزيز: **مع تاريخ الجزائر**، ص ص 67 – 69.
[7] يحي بو عزيز: نفس المرجع، ص ص 123 – 124.
[8] احميدة عميراوي : **بحوث تاريخية**، ص ص 150 – 151.

المواصلات قصد فك العزلة بين الوادي والمناطق المجاورة لها، حيث تذكر المصادر أنه لم يكن هناك طرق صالحة للاستغلال إلا طريق وادي سوف جامعة عن طريق قمار[1]، حيث كان الاتصال في بداية الاحـــتلال بمدينـــة الوادي من بسكرة أو من توقرت يكون عن طـــريق استعمال الأحصنة أو الجمال، فكانت تلك المعابر هــــي الطرق التي أقام على إثرها المستعمر آبارا وشيد بها أبراجا قصد الاستعانة بها[2] في السيطرة على هذه المناطق.

كما تذكر المصادر الفرنسية أن أول محاولة كانت لمغامر بسيارة سيترواين غير أن المحاولة باءت بالفشل[3]، لتعاد الكرة بسيارة من نوع رونو مجهزة للسير في الصحراء فنجحت في العبور، وعلى إثرها تمكنت السلطات الاستعمارية بتشجيع السياحة خاصة السياح الأنجلو-سكسون المارين من توقرت إلى توزر، حيث أقام الديوان السياحي العام الفرنسي آنذاك نزلا سنة 1926[4]، فكان ذلك انفتاحا كبيرا لوادي سوف علـــى الأرجـــاء الأخرى من المناطق المجاورة لها. واستمرت المساعي الجادة لإنجاز الطرق المعبدة وتحسينها حتى أصبحت طرقـــا صالحة للاستعمال من قبل الشاحنات ذات الوزن الثقيل، ثم أحدث خطا للحافلات يعمل بانتظام بين مدينتي الوادي وبسكرة، وكانت قمار المكان المناسب من أجل صيانة وتلبية احتياجات مستلزمات الطريق من تزويد العجلات بالهواء ومراقبة المحركات والمبردات قبل قطع الجزء المتبقي من الطريق[5]. أما البريد والمواصلات فقد ظهر اهتمام كبير حيث نجد القادة العسكريين لجؤوا إلى إقامة خط هاتفي بين الوادي وتوزر، هذا ما جعـــل وادي سوف تحظى بوكالة بريدية ثم تلت بعدها وكالة قمار سنة 1909[6]، ثم كوينين ســـنة 1924[7]، وهذا من أجل ربط جميع أرجاء الوطن ببعضها حتى يسهل على المستعمر متابعة الأحداث عن كثب.

أما على المستوى الاقتصادي فقد عمد المستعمر إلى إحصاء الإمكانات الاقتصادية، حيث أحصـــى عـــدد النخيل منذ احتلاله للمنطقة مع تطوير وسائل التصدير خاصة دقلة نور إلى فرنسا والتبغ إلى تونس مع إحصاء الماشية من ماعز وغنم وإبل، بالإضافة إلى الإحصائيات المتعددة للمصنوعات مثل تقريـــر 1926 و1931 الذي يقدر كل منهما عدد البرانيس المصدرة إلى الخارج، والذي بلغ في كل منهما 15 ألف برنوس وقيمـــة

---

(1) L.C.P Godefroy : **Programme des chemins de fer dans les territoires du sud**, Imprimerie Libraire de terre, Alger, 1911, p 184.

(2) عبد القادر فكاير : "الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوادي بعد الحرب العالمية الثانية من خـــلال نشـــرة " وثـــائق جزائريـــة"لعـــام 1948"، **ندوة العدواني**، الزقم، الوادي، مارس 2002، ص 01.

(3) **Rapport d'Ethnographique Situation Economique Moyens en El – Oued Souf en 1926**, Archives du direction des Moudjahidines d'El-Oued, El-Oued, p 12

(4) Ibid, p 12.

(5) عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص 02.

(6) عبد القادر فكاير : نفس المرجع، ص 02.

(7) نفسه، ص 03.

25 ألف قنطار من التمر[1]، مع السماح للمعمر بإقامة مؤسسات احتكارية، مما أدى بأحد الاحتكـــاريين - يدعى " باوو " " Baou " - إلى التصادم مع عبد العزيز الشريف "ملك التمور" وشيخ الزاويـــة القادريـــة باعميش وضايقه مضايقة شديدة جعلته يستسلم ويفتح الطريق أمام المحتكر المعمر[2]. وهكذا تواصل الجهات الاستعمارية إبداء ملمح الاهتمام بالشؤون الاقتصادية، لكن هي في حقيقة الأمر تلبي رغباتها الاستعمارية، مما جعل الأهالي يبدون دوما روح الرفض والمقاومة من خلال اقتناء الحاجيات الأساسية المستوردة من تـــونس، وهذا قد يعود إلى انخفاض أسعارها مقابل السلع الأوروبية[3].

كما حاولت السلطات الاستعمارية التظاهر بالتعاطف مع الفلاحين الخاضعين للقروض الربوية، خاصة من طرف اليهود، وهو ما جعل العديد من الأهالي يخسر ممتلكاته مقابل غناء الربويين، فحاولت الســـلطة دعـــوة بعض البنوك للاستثمار في وادي سوف عن طريق القـــروض ذات الفـــوائد الخفيفة، لكـــن هذه المحـــاولات لم تلق صدى لدى هذه البنوك مما جعل الاحتكار الربوي يزيد من حين إلى آخر، مما يؤدي بدوره إلى إضعاف كاهل الأهالي[4]. أما على المستوى الاجتماعي، فقد عمد المستعمر منذ الوهلة الأولى على التظـــاهر بملمـــح الاهتمام بظروفهم الصحية والاجتماعية، وهذا قصد التقرب منهم أكثر والتعرف عليهم عن قرب من أجـــل إحكام سيطرته، فذهب إلى محاولات تنظيم شؤونهم الاجتماعية من خلال رصد الإحصائيات التي تخص التعداد السكاني. كما كان أول إنجاز قام به المستعمر هو إنشاء ملحقة استشفائية بالدبيلة، لكن بعدما تحولت الملحقة إلى الوادي أقام مستشفى بالقرب من مكتب الملحقة، غير أن الأهالي ظلوا يتحفظون من هذا العلاج، وعنـــد الضرورة يلجأ البعض إليه، وقد ذكرت الإحصائيات أن عدد المرضى أخذ في التزايد رجالا ونساء وأطفـــالا، وهذا حسب العلاقات التي بدأت تقوم بين الأهالي والمستعمر[5]، وهذا بدوره جعل المستعمر يتظاهر بـــروح التسامح من أجل تكريس وجوده الاستعماري، وقد وظف في سنوات متأخرة؛ أي خلال العشرينات الآبـــاء والأخوات البيض حتى يطغى على هذا العمل الجانب الإنساني والديني البحت. وفي سنة 1934 بدأ بضـــبط الحالة المدنية[6] بالنسبة لأولاد سعود، لكن التسجيلات الأكثر توسعا هي تسجيلات 1937[7]، حيث عمت

---

(1) **Rapport d'Ethnographique Situation Economique Moyens en El – Oued Souf en 1926**, Op. cit, p 11.

(2) إبراهيم مياسي: **قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**،ديوان الطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 223.

(3) **لقاء** مع الشيخ العيد غوري يوم 26 جمادي الثانية 1424هـ - 24 أوت 2003م بمسجد الطلبة صباحا.

(4) **Rapport d'Ethnographique Situation Economique Moyens en El – Oued Souf en 1926**, Op. cit, p 09.

(5) M.CH. Lutaud : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1910**, Op. cit, pp 28 – 29.

(6) **سجلات الحالة المدنية لسنة 1934 بلدية الوادي.**

(7) **سجلات الحالة المدنية لسنة 1937 بلدية الوادي.**

هذه العملية كل أرجاء وادي سوف وهذه التسجيلات تتم حسب العروش والقبائل مع ظهور الألقاب التي ما زال العمل ساريا بها، وهي تخضع لاعتبارات عائلية حسب أوضاعها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والغرض منها تقسيم العروش ومحاولة تطبيق سياسة فرق تسد التي يعتمدها المستعمر من أجل إحكام قبضته وتقزيم القبائل والعروش. فمهمة التمدين التي تدعيها فرنسا الاستعمارية لم تكن تشكل في الواقع إلا مظهرا ثانويا من نشاطها حيث كتب " مرينياك Merignhac " في سنة 1912 معرفا الاستعمار بأنه الارتباط بدول جديدة للانتفاع بثروتها واستغلالها في مصلحة الوطن[3] المستعمر، كما نجد الكاتب "شاميليه" يعرف الاستعمار في كتابه " **عناصر الاقتصاد الاستعماري** " بقوله : « إن الاستعمار يعني استغلال بلد أجنبي خاضع له من خلال الضغط السياسي مما يجب عليه خدمة الاستعمار وهذا بتحقيق مصالحه الحربية وتمكينه من الاستغلال والاستتراف الاقتصادي للمستعمرة[4]. ».

وانطلاقا من هاتين الشهادتين يتبين أن الدور الذي لعبه المستعمر تجاه الوضع الاقتصادي والاجتماعي ما هو إلا تمويه القصد منه استغلال ما أمكن استغلاله، كما أنه راعى مبدأ العمل على استتباب الأمن ومحاولة تهدئة الوضع بالقضاء على كل محاولة للتمرد باعتبار وادي سوف نقطة حدودية تربط بين الجزائر وتونس، وليبيا، ولهذا فإن مصالحة فرنسا تكمن كسب ود الأهالي ومحاولة ربح كل الرهانات الاستعمارية[5]، وهذا للطبيعة الصعبة المراس، لكن مع ذلك استطاعت فرنسا أن تستفيد مما أمكن الاستفادة منه خاصة في مجال الزراعة لكل من التمور والتبغ باعتبارهما موردين اقتصاديين هامين، بالإضافة إلى محاولة توظيف أهالي سوف في تقديم خدمات هامة لتمكين المستعمر من التعرف أكثر على خفايا الصحراء الواسعة التي استعصت عليه لمدة طويلة، وهكذا تتضح مهمة التمدين المزيفة التي تود فرنسا إبداءها كغيرها من الدول الاستعمارية تجاه الشعوب المستعمرة.

---

(1) محمد حسنين : **الاستعمار الفرنسي**، ط 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 78.

(2) محمد حسنين : نفس المرجع، ص 29.

(3) Eliaou Gastan Guedj : Op cit, 126.

الفصـــل الثـــانـــي :

الوضع الثقافي وعوامل نشأة الحركة الإصلاحية

بوادي سوف.

- المدخل :

أولا - الوضع الثقافي بوادي سوف.

1 - الطرق الصوفية.

2 - المساجد والمكتبات.

3 - التعليم.

ثانيا - عوامل نشأة الحركة الإصلاحية بوادي سوف.

1- الهجرة ودورها في ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة.

- الهجرة إلى المشرق.
- الهجرة إلى تونس.
- الهجرة الداخلية.

2- النخب ودورها في ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة.

- النخبة المحافظة.
- نخبة المعاهد الإسلامية.
- النخبة المفرنسة.

إن الأوضاع السياسية والاقتصادية، والاجتماعية بوادي سوف قد ساهمت في تكريس ملامح البؤس والتخلف، رغم محاولات المستعمر الداعية إلى النهوض، لكن ذلك كان مرتبطا دوما بمصالحه الاستعمارية التي كانت في الأساس إشباع رغباته. مما أرسى وضعا ثقافيا مترديا لم ينحصر على الجزائر لوحدها بل طال البلاد العربية كلها. وقد ساهم هذا في رفع رايات الإصلاح مبكرا في كافة البلاد العربية، ثم ما لبث أن رفعة بالجزائر في مطلع القرن 20م، رغم سياسة الاستعمار التي مارستها فرنسا على الأهالي قصد طمس المعالم الحضارية، وهذا انطلاقا من محاصرة المدارس ومؤسسات الوقف، وتحويل مواردها لصالح الاقتصاد الكولونيالي، مما ساهم في تكريس وضع إصلاحي لا يمكن فهمه إلا بعد الإجابة على التساؤلات الآتية :

ما هي طبيعة الوضع الثقافي بوادي سوف؟- وما ماهية ودوافع الإصلاح؟- وما هي العوامل المساهمة في نشأة الحركة الإصلاحية بوادي سوف؟

- : مـدخـل:

إن الاستعمار منذ تواجده كان يسعى إلى محو كل ماله صلة بالانتماء الحضاري، والامتداد التراثي للإسلام بالجزائر، حيث كانت الجزائر قبل 1830 تزخر بواقع فكري مزدهر، والدليل على ذلك كثرة المعاهد العلمية، والمؤسسات الثقافية التي كانت متواجدة عبر البلاد لنشر العلم والمعرفة بين ربوع الجزائريين في القرن التاسع عشر[1]، وقد صرح الجنرال " فالري " سنة 1834 : «...إن كل العرب (الجزائريين) تقريبا يعرفون القراءة والكتابة، حيث هناك مدرستان في كل قرية »[2]. أما على مستوى قسنطينة عاصمة الإقليم الشرقي فقد عرفت تدهورا حسب تقرير الجنرال " بيدو " والذي علق عليه " دي طوكفيل " أنه بعد عشر سنوات من احتلالها؛ أي سنة 1847 كاد يختفي التعليم و لم يبق سوى 60 تلميذا فقط من 600 أو700 تلميذ في الثانوي. والمدارس الابتدائية التي كان عددها 90 لم يتبق منها إلا 30 ولا يزيد عدد الأطفال فيها 350 بعد أن كانوا ما بين 1300 و1400 هذه إذن هي رسالة فرنسا للجزائريين. وقد كان صاحب التقرير والمعلق عليه صريحين جدا في ذلك، فقد قال بيدو أننا أهملنا التعليم في عاصمة الإقليم (قسنطينة) مما سيمنح رجال الزوايا مكانة ويعظم نفوذهم وقوتهم بين السكان. أما دي طوكفيل صاحب الصيحة الشهيرة : « إننا جئنا لإضاءة الشموع فأطفأنا الموجودة منها » وهو يقصد هنا بالشموع المدارس، فهو هنا ينوه بالرسالة الحضارية الفرنسية التي كان على فرنسا تكريسها، ويدعو إلى تثبيت الاستعمار في الجزائر[3].

---

[1] تركي رابح : **الشيخ عبد الحميد بن باديس (فلسفته وجهوده في التربية)**، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 90.

[2] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 62.

[3] ينظر أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 27.

وهذا ما يؤكده بعض المؤرخين الفرنسيين أن فرنسا قضت على معظم هياكل التعليم، حيث يقر المـؤرخ "هنري كلين" في كتابه "تاريخ الجزائر "[1] أن الاستعمار الفرنسي أمم عددا كبيرا من المؤسسـات الدينيـة الجزائرية واضعا يده عليها في بداية وجوده، في حين يذكر السيد " دوفول " أن عدد المؤسسـات بـالجزائر العاصمة قد وصل إلى 176 مؤسسة دينية سنة 1830، لتصل سنة 1862 إلى 67 مؤسسة تعمل منـها سوى 21 مؤسسة، أما الباقي فهي معطلة لا تعمل وليست لها أية وظيفة[2]، كما يذكر الكاتـب الفرنسـي "رسيل آجريتو" أن واقع الثقافة كان مزدهرا نسبيا قبل دخول الفرنسيين إلى الجزائر منذ 1830، لكن رغم تخلف العرب في المجال الحضاري كان الميل إلى العلم والمعرفة متأصلا في النفوس، وكان في الجزائر عددا كبيرا من رجال الأدب ذوي سمعةٍ عالية لدى الطبقة المثقفة[3]. هذا ما شجّع على انتشـار العلـم والمعرفـة بـين الجزائريين، وقضى على نسبة كبيرة من الأمية بين السكان، وهذا ما أكده مؤرخون فرنسيون، وبعض الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الجزائر قبل الاحتلال وبعده، منهم الجنرال " ويلسن إسترهازي " و" إسماعيل أوربان " بأن الذين يعرفون القراءة والكتابة من الجزائريين في ذلك العهد أكثر عددا من الفرنسيين. ومن الموضوعية أن نعترف بأن المسلمين في إفريقيا الشمالية بالرغم من انخفاض مستوى العلوم فيها وقلة الكتب كانوا يهتمـون بمسائل التربية والتعليم، ويولونها أهمية بالغة، حيث كانت نسبة الفرنسيين الذين لا يحسنون الكتابة والقـراءة 45%، أما الجنود الذين احتلوا الجزائر فهم أميون حسب نظرة المؤرخين[4].

في حيـن كانت السياسة الاستعمارية الممارسة في حق الأهالي منذ الاحتلال قد ضيقت علـى الـدين الإسـلامي انطلاقا من تحديد عدد الكتاتيب، ومراقبة الزوايا والمساجد، وعدم منـح رخـص الحـج إلاّ لأفراد قلائل[5] كل هذا كان له وقع أليم على الواقع الثقافي بالجزائر. وفي فترة الجمهورية الفرنسيـة الثالثـة كان حظّ تعليم الأهالي سيء، حيث قامت فرنسا خلال سنة 1870 بإغلاق المدارس التي زاد عددها عـن 36 مـدرسة، بحيث لم يمنـع من هذه الإجـراءات سـوى 16 مدرسـة في سنة 1882، وفي عهـد " جـول فيـري " وزير التـربية العمـومية والفنون عرف التشريع المدرسي الجديد السعي لإنشاء مدارس لتعليم الجـزائريين مـع جعلـه إجبـاريا، فلقي هـذا التشـريع ردود فعـل مناهضـة في وسط المعمرين بالجـزائر عنـدما شـرع في تنفيـذه، فعبـرت البلديـات عـن رفضهـا لإنجـاز هـذا المشـروع

---

[1] ينظر عمار هلال : " الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916 "، **مجلة الثقافة**، عدد 79، الجزائر، يناير – فبراير، 1984، ص 128.

[2] عمار هلال : " الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916 "، ص ص 128 - 129.

[3] مارسيل أجريتو : **الجزائر الوطن**، ترجمة عبد الله نوار، سلسلة كتب سياسية رقم 114، القاهرة، 1959، ص 67.

[4] تركي رابح : المرجع السابق، ص 91.

[5] عبد الحميد زوزو : **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص 73.

الباهظ التكاليف والخطير في أهدافه[1]، لكن كيف يمكن لهذا التعليم أن يحقق هذه الأهداف؟، حيث نجـــد أن عدد الأطفال المزاولين للتعليم في سنة 1890 قد بلغ ما نسبته 1.9% من مجموع الأطفال الذين كـــانوا في سن التعليم دون ما أن ننسى الموقف الرافض لهذا التعليم من طرف الأهالي، وعليه فـــإن التعلـــيم في العهـــد الاستعماري كان من حظ أبناء العائلات الكبيرة فقط مع العلم أن هؤلاء قد يضطرون للهجرة إلى فرنسا لإتمام دراساتهم العليا على حسابهم الخاص، حيث كان أغلبهم يختارون مهنة الطب، ففي خلال الســـنة الدراســـية (1907-1908) كان توزع الطلبة الجزائريين في جامعة الجزائر كالآتي[2] :

- 25 طالبا جزائريا في معهد الحقوق.

- 12 طالبا جزائريا في معهد الطب.

- 10 طلاب جزائريين في كلية الآداب.

ورغم هذه الحالة التي كانت تعيشها الجزائر، كانت البلاد العربية تعيش نهضة فكرية بعد ركود طويل نتيجة السياسة الاستبدادية الممارسة من طرف الدولة العثمانية في إطار سياسة "التتريك"، حيث كانـــت سياســـتهم بالمشرق نتيجة طبيعية لكون حكامهم ماهرين في الحرب دون الإدارة والسياسة[3]، بالإضافة إلى الوضع الثقافي بالبلاد العربية الذي أصبحت تبد عليه السذاجة من جهة والخرافة من جهة أخرى، هذا حمل في نفوس الكـــثير من العلماء التأثر بأحوال أوروبا وتطوراتها بسبب الانقلاب الحضاري الذي عرفته مصر خلال فتـــرة حكـــم "محمد علي باشا"، ومحاولاته لبعث الدولة العربية الإسلامية[4]. وبناءً على هذه الظروف المتردية كان جمـــوع المفكرين المسلمين يتطلعون إلى التطور الحاصل بأوروبا من أجل محاولة الاستفادة من نتاج التطورات الحضارية، وكيفية إقامة إصلاحات مناسبة بالبيئة العربية، وهذا ما رأته جماعة تيار الجامعة الإسلامية التي ظهرت كنتيجة للعجز الذي أعلنته الدول الإسلامية أمام الاعتداءات الاستعمارية عسكريا وثقافيا، حيث بات النضال المحلي في كل قطر إسلامي ضد الغرب مسعى غير مجد أمام تفوقه من الناحية السياسية والفكرية، والمســـاواة الســـائدة ببلدانه، فكان ذهول المسلمين قويا من خلال المقاومات العديدة في كل من ليبيا من طرف السنوسيين في برقة، والمسلمين في القوقاز[5].

---

[1] نفسه، ص 73.

[2] عمار هلال : " الطلبة الجزائريون "، ص 127.

[3] أحمد أمين : **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، موفم للنشر، الجزائر، 1990، ص 05.

[4] أحمد صادق سعد : **تاريخ العرب الاجتماعي (تحول التكوين المصري من النمط الآسيوي إلى الـــنمط الرأسمـــالي)**، ط 1، دار الحداثـــة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 1981، ص ص 231 – 270.

[5] محمد قنانش : **المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة الحديثة)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د – ت)، ص 13.

وعليه نجد المصلحين بالبلاد الإسلامية قد سعوا إلى توحيد المسلمين، فكان منطلق هؤلاء هو الإسلام الذي يعد عاملا صالحا لنهضة المسلمين مع محاولة تقليد الغرب، والأخذ عنهم في مجالات التقدم المادي فحسب، لكن سرعان ما تحولت هذه النهضة إلى توجه سياسي يحاول من خلاله المصلحين زعزعة أركان الاستعمار، وإبطال مزاعمه، حيث كان فاتحة هذا العمل جمال الدين الأفغاني الذي هزّ أركان الاستبداد هزاً عنيفا، وحطم قيود العبودية راسما طريق الحرية والاستقلال، ثم تبعه الإمام " محمد عبده " الذي نحى منحى دينيا حاملا راية الحركة الإصلاحية. لكن تيار الجامعة ضعف بعد وفاة " جمال الدين الأفغاني "، و"مصطفى كمال"، وتنحية السلطان "عبد الحميد الثاني" سنة 1909[1]، غير أن ذلك لم يكن نهاية الفكرة، بل نجد الجامعة كانت بمثابة الداعم لإحياء الشعوب انطلاقا من الإيمان بالوحدة والتضامن، حيث كانت مصدرا للعديد من الحركات الدينية والسياسية التي ظهرت في القرن العشرين.

أما في المغرب العربي فنجد الأمير " عبد القادر " رائد المقاومة الشعبية المسلحة من خلال سعيه لإثارة الضمير الشعبي الجزائري، وهذا على المستوى السياسي[2]، حيث انه أضاف إلي مقاومته ثورة فكرية تتمثل في تلك الكتابات الدينية والتاريخية، والفلسفية الكلامية والصوفية[3]، لتستمر عطاءات الأمير حتى في منفاه، حيث كان ساطعا بأفكاره مناديا إلى التغيير ومناهضة التخلف، وهذا يتجسد في دعواه إلى مناهضة التقليد مؤكدا على استعمال النظر نابذا التقليد[4]. فكان الأمير داعيا إلى النهوض ونابذا للتخلف حتى يستطيع العرب والمسلمين مواكبة التطورات الحاصلة بأوروبا، وهذا ما دعا إليه " خير الدين باشا " من خلال كتابه" **أقوم المسالك "**[5]، حينما أفصح عن أسباب تأليفه لهذا الكتاب الذي حاول فيه محاكاة الغرب انطلاقا من نبذ المعاداة المطلقة ومحاولة المحافظة على المبادئ الأخلاقية.

وهكذا استمرت محاولات الدعوة للنهوض بالعالم العربي لمواكبة الغرب غير أن البعض من المسلمين لم يكن مقدرا لهذه النهضة لأنها قادمة من البلدان الاستعمارية التي غزت بلدانهم، وعليه أنكروها، في حين لو واكبوا هذه النهضة لما تخلفوا[6]. لكن من خلال هذا الوضع حاولت الجامعة الإسلامية أن تشد من مساعيها خلال

---

(1) نفسه، ص 14.

(2) جرجي زيدان : **بناة النهضة العربية**، دار الهلال، القاهرة، (د – ت)، ص ص 12 – 22.

(3) **أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس**، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، ط 1، ج 1، دار اليقظة العربية، الجزائر، 1388هـ - 1968م،ص 16.

(4) الأمير عبد القادر : **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**، ص 1، طبعة دمشق، سوريا، (د – ت)، ص ص 6 – 7.

(5) خير الدين التونسي : **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 23 – 40.

(6) أحمد أمين : **فيض الخاطر**، ج 9، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1962، ص 202.

الحرب العالمية الأولى التي اكتشفت فيـــها حقيقة المستعمر ومؤامراته، مما جعلها تظهر في كل بلد من العـــالم الإسلامي دافعة فيه القوة والعزم[1]، لمناهضة التخلف من جهة والاستعمار من جهة أخرى، فما كان على هذه الجامعة إلاّ البحث عن السبل، والطرق الأكثر انتشارا، فكان اتخاذ الصحف والجرائد وسيلة اتصال بكافة العالم الإسلامي، ففي سنة 1900 لم يكن في العالم الإسلامي أكثر من مائتي صحيفة، لتصـــل ســـنة 1906 إلى خمسمائة صحيفة، وارتفع العدد سنة 1914 إلى ألف صحيفة بما فيها الصحف الإصلاحية. لكن الســـؤال الذي يطرح هو كيف كانت الصحف والجرائد تصل آنذاك إلى كافة أقطار الوطن العـــربي والإســـلامي؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في حقيقة الاتصالات بين العالم الإسلامي ببعضه البعض وذلك عـــن طريـــق الحجيج والسياح، والتجار والبريد[2]. وهكذا كان العقد الأخير من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين فترة مخاض لإيجاد نهضة إسلامية حديثة قصد مناهضة براثين الاستعمار، فجاءت زيارة الشيخ محمـــد عبده إلى الجزائر سنة 1903، حيث كانت له لقاءات مع شخصيات جزائرية مختلفة الاتجاهات، فشـــملت المنتمين إلى الطرق الصوفية والإصلاحيين، وغير المتدينيـــن مثل : "حسين بن بريهمات" و"ابن التـــهامي"[3]. وعن ردود فعل الجزائريين على الزيارة فتباينت بين معجب ومتسائل، فأعتبرها البعض أنها أمر كلف به الشيخ من طرف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني للإطلاع على أحوال المسلمين الجزائريين، وعند إتمامه لزيـــارة الجزائر انطلق إلى تونس من قسنطينة عن طريق القطار، ليصرح الشيخ محمد عبده عن ارتياحـــه عمّـــا رآه في الجزائر وتونس من خلال السياسة الفرنسية مع الأهالي المسلمين، فعدت عليه نقيصة من طـــرف الـــوطنيين المصريين وعلى رأسهم مصطفى كامل مدير جريدة **اللواء**[4] المصرية. أما عن محاولات الإصلاح بـــالجزائر في مطلع القرن 20م، فقد ظهرت من خلال جهود العديد من الشخصيات من أبرزهم الشيخ "بن مهنا" والشيخ " عبد القادر المجاوي " بوصفهما أول مناهضين لفكر المرابطين والخرافات[5]. ومن هنا بدأ الصراع الفكـــري بين الإصلاح والاستعمار، حيث حاول هذا الأخير استمالة الطبقة المثقفة في البلاد بأي وسيلة ممكنة[6] قصـــد إبقاء الجزائر على حال التخلف دون بروز ملامح لتطور الأهالي حتى يبقي قبضته عليهم. في حين كان الصراع الذي أعلنه كل من الشيخ بن مهنا والشيخ عبد القادر المجاوي قد برزت ملامحه حسب كل منهما، فالشيخ بن

---

[1] لوثروب ستودارد : **حاضرة العالم الإسلامي**، نقله إلى العربية عجاج نويهض، ج 1، مج 1، ط 4، دار الفكر للطباعة والنشـــر والتوزيـــع، بيروت، لبنان، 1973، ص ص 322 - 325.

[2] لوثروب ستودارد : نفس المرجع، ص ص 322 – 323.

[3] أحمد صاري : " الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة "، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد 2، جامعة الأمير عبـــد القـــادر الإسلامية، قسنطينة، محرم 1424هـــ - مارس 2003م، ص 18.

[4] أحمد صاري : نفس المرجع، ص ص 18 -21.

[5] مالك بن نبي : **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، ط 3، دار الفكر، الجزائر، 1408هـــ - 1988م، ص ص 14 -15.

[6] مالك بن نبي : نفس المرجع ، ص 15.

مهنا حاول إيقاظ أهل قسنطينة كلها في أواخر القرن 19م وأوائل القرن 20م، من خلال دروسه الوعظية فعملت الحكومة الاستعمارية على إبعاده، وصادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن[1]. أما الشيخ " عبد القادر المجاوي " فقد كانت له كتب كثيرة مدرسية وتربوية تدل على اهتماماته البالغة بالتربية، حيث يعتبر أن الإصلاح لا يتم إلا من خلال التربية والتعليم، وله مؤلفات عديدة منها : **"إرشاد المتعلمين"**[2] و**"المرصاد في مسائل الاقتصاد"**[3]، و**" شرح منظومة في إنكار الفساد الاجتماعي "**[4]، فكان هذا الأخير إماما مصلحا اثّر في الكثير من شخصيات بارزة في القطر الجزائري. وبالفعل كان هذا هو الوضع الذي شهدته الجزائر من خلال ارتفاع عدد الصحف والجرائد العربية ذات الميل الإصلاحي، حيث نلحظ التزايد المستمر لصدور صحف وجرائد عديدة في مناطق مختلفة من القطر ومن هذه الصحف نجد : جريدة **الصباح** من إصدار العربي فخار في وهران سنة 1904، وهي أسبوعية. وجريدة **كوكب افر يقيا** التي كان رئيس تحريرها الشيخ محمود كحول[5] وهو أحد تلامذة الشيخ المجاوي عندما كان بقسنطينة وصدر أول عدد لها يوم 17 ماي 1907 واستمرت إلى سنة 1914 وهي أسبوعية تصدر كل يوم جمعة. كما أصدر عمر بن قدور جريدة **الفاروق** سنة 1913 واستمرت في الصدور حتى سنة 1915، وجريدة **الجزائر** التي ظهرت في العاصمة سنة 1908 غير أنها لم تدم طويلا كان على رئاسة تحريرها عمر راسم، وجريدة **المسلم** التي صدر أول عدد لها في أكتوبر 1909 بمدينة دلس وهي أسبوعية مزدوجة اللغة، وجريدة **الإسلام** التي صدرت بعنابة سنة 1909.

أما في المرحلة الثانية التي تبدأ من سنة 1919؛ أي ما بعد الحرب العالمية الأولى فقد ظهرت كوكبة من الصحف منها جريدة **الإقدام** للأمير خالد والتي عدت من أشد الصحف خطابا تجاه التشهير بالسياسة الاستعمارية وقد بدأت في الصدور منذ 1919 واستمرت في الصدور حتى سنة 1923، وجريدة **التقدم** التي تزعم رئاسة تحريرها بلقاسم بن التهامي، وفي سنة 1920 ظهرت جريدة **النجاح** بقسنطينة والتي

---

[1] مالك بن نبي : **شروط النهضة ومشكلات الحضارة**، ترجمة عبد الصبور شهين وعمر مسقاوي، مطبعة دار الجهاد، القاهرة، مصر، 1967، ص 22.

[2] طبع بمصر - ينظر أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، ج 1، ص 20. (الهامش رقم 01).

[3] طبع بمطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر - ينظر أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، ج 1، ص 20. (الهامش رقم 02).

[4] منظومة في إنكار البدع ألفها الشيخ المولود بن الموهوب وشرحها المجاوي بشرح اسماه " **اللمع على نظم البدع** " – ينظر أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، ج 1، ص 20. (الهامش رقم 03). - أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص 25.

[5] الشيخ كحول : هو ابن دالي عمر محمود من مواليد سنة 1875 بقسنطينة غير أنه استقر مع أسرته فيما بعد بمدينة الجزائر اشتغل مترجما لدى الإدارة الالفرنسية. كما عمل في ميدان الصحافة ودرس بالجامع الكبير. - ينظر أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 44. (الهامش رقم 01). وهو صاحب ثاني تقويم عرف بـ " **التقويم الجزائري** " صدر سنة 1911، وقد استمر ثلاث سنوات في الصدور. - ينظر أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 259.

أصدرها في البداية الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي، وهي أسبوعية لتتحول منـــذ ينـــاير 1930 الى صـــحيفة يومية[1]، وغيرها من الصحف والجرائد العديدة. وهكذا يتضح هذا الدور جليا من خـــلال آراء ومواقـــف الجزائريين تجاه الصحافة، حيث يقول " أحمد بن محمد السبع (المليايي)[2] " في جريدة **المغرب** العدد 10 ليوم 14 صفر 1321هــ / 12 ماي 1903م : « غير خاف أن الجرائد أصبحت في عصرنا من متممـــات إن لم نقل من مقدمات السعادة والنجاح، والفوز والفلاح، فعلى صحائف وجنتها تدور رحى السياسة وعلى أعمدتها يتوكأ أهل الكياسة، وهي الخطيب على رؤوس الأشهاد الواعظ الناصح في كل واد.»[3].

وهذه الحركية في الجزائر تعود إلى عوامل عديدة منها فترة حكم " شارل جونار "، التي تميزت بنوع مـــن الرخاء مما سمح للصحافة العربية بالانتشار في الجزائر بشكل واسع، وهذا لم يمنع وصول الجرائد العربية الأخرى كالجرائد التونسية، حيث يصرح أحد الزوار التونسيين للجزائر وهو الشاعر التونسي " سعيد أبو بكر " لجريدة **لسان الشعب** التونسية سنة 1927 مشبّها رواج الصحف التونسية وانتشارها بالمـــدن الجزائريـــة المتاخمـــة للحدود التونسية مثل : قسنطينة وتبسة، ووادي ميزاب ووادي سوف، وبسكرة وغيرها[4]، بمثل انتشارها في تـــونس بالرغـــم مما كان يمثله هذا الرواج من تحدّ واضـــح للاستعمار الذي كان يسعى جاهدا على بتـــر الصلـــة بين الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس، لما كانت تتمتع به تونس آنـــذاك مـــن نشـــاط علمـــي وسياسي[5].

ومن بين أهم الجرائد التي كانت تصل إلى وادي سوف من تونس نجد : جريدة **الزهرة** و**النهضة**، و**الصباح** و**المرآة**، وغيرها[6]، وهذا لتتبع الأحداث الجارية بكل من تونس والجزائر، لأن عدد كبير من الجزائريين يجدون من الصحف التونسية متنفسا واسعا، وهذا يدل على مدى التواصل بين الحركات الإصـــلاحية، والحركـــات الوطنية في الوطن العربي، لما كانت تلعبه الصحافة من دور هام في تقريب المفاهيم والأفكار مع محاولة نشـــرها بشكل واسع. وهكذا ظلت العلاقات القائمة بالعالم الإسلامي هي الكفيل الأوحد إلى رفع مستويات التحدي

---

[1] أبو قاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص ص 245 251.

[2] أحمد بن محمد السبع عدل في محكمة مليانة وهو من ابرز كتاب جريدة **المغرب** تصدر يومي الثلاثاء والجمعة بالي، وهـــي جريـــدة سياســـية اقتصادية علمية أدبية تجارية ظهر أول عدد منها الجمعة 13 محرم 1321هـــ / 10 ابريل 1903م. – ينظر الزبير سيف الإســـلام : **تـــاريخ الصحافة في الجزائر**، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص 161– 170.

[3] الزبير سيف الإسلام : نفس المرجع، ج 4، ص ص 169 – 170.

[4] محمد الصالح الجابري : نفس المرجع، ص 34.

[5] محمد الصالح الجابري : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنـــان، 1990، ص 35. (الهـــامش رقم 01).

[6] محمد المولدي سيشي : **مقتطفات من تاريخ بني عدوان وعمارت سوف**، (مخ)، الوادي، ص 16.

لمجابهة الاستعمار بشتى الأساليب. انطلاقا من عامل التوعية القائم على البعد الإصلاحي الذي لم يتوقف عند مجال التعليم، بل نجده طرق مجالات عدة من اقتصاد واجتماع، وسياسة نتيجة الوضع العام المزري لمجتمعات العالم الإسلامي. ومن هذا يتضح أن ظهور حركة الإصلاح الديني والاجتماعي بالجزائر كانت أقدم بكثير من نشأة جمعية العلماء المسلمين[1]، وهذا من خلال مجهودات جبارة قام بها العديد من العلماء، لكن الصدى الأكبر يعود في الأساس إلى جمعية العلماء التي كانت تعمل وفق أبعاد حضارية، وهذا لكونها كانت في شكل جمعية إصلاحية اجتماعية.

أولا - الوضع الثقافي بوادي سوف :

تميز الوضع الثقافي بوادي سوف بحركية فاعلة ونشطة نتيجة التأثيرات الاجتماعية والثقافية التونسية من خلال الحدود المتاخمة للإقليم، وقد كان لهذا تأثير بالغ الأهمية في الحياة الثقافية بسوف، كما أن غالبية رجال الطرق الصوفية خاصة الطريقة القادرية كانوا قد وفدوا على المنطقة من الجريد التونسي، بالإضافة إلى الروابط المتينة التي تربط الكثير من العائلات السوفية بعائلات تونسية. لكن مع هذا لم يختلف الفرد السوفي عن غيره من أفراد المجتمع الجزائري، حيث ظلت العلاقات قائمة بين السوافى والأهالي في ربوع الجزائر قاطبة، وهذا لأن بعض الطرق الصوفية أقامت صلات وروابط روحية بين السوافى وبقية الجزائريين من خلال إنشاء زوايا تابعة للزاوية الأم بسوف مثل : الطريقة القادرية في كل من بسكرة والأغواط، وسكيكدة، والزاوية التجانية وعلاقتها الوطيدة بزاوية تماسين، والعلاقة القائمة بين زاوية طولقة الرحمانية وزاوية الهامل ببوسعادة مع الزاوية العزوزية (الرحمانية) بوادي سوف. وعلى هذا الأساس اتضحت ملامح الوضع الثقافي لوادي سوف المماثلة لباقي أرجاء الجزائر في مطلع القرن العشرين، وهذا الوضع يتمثل في:

1 -الطرق الصوفية :

إن التصوف ملمح رئيسي من الملامح التي تميز بها سكان سوف، وقد تجسد هذا البعد الديني منذ القرن التاسع عشر في الطرق الصوفية المتعددة، والتي يمكن حصر أغلب مريديها في ثلاث طرق رئيسية، وهي القادرية، والتجانية، والعزوزية، وقد أقيم لهذه الطرق زوايا في مختلف أرجاء المنطقة، وإلى جانبها نجد بعض الطرق الصوفية الأقل انتشارا والأقل مساهمة في القضايا الاجتماعية والثقافية، والسياسية بالمنطقة.

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص ص 32 – 33.

أ- الطرق الصوفية الرئيسية :

وهي الطرق الأكثر انتشارا مما سمح ذلك بتوسعها، وتوزع زواياها في ربوع وادي سوف قاطبة وهذه الطرق هي :

- **الطريقة القادرية :** وهي أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، كما تعد أقدم طريقة صوفية في الجزائر، حيث يعود أصل تسميتها إلى سيدي " عبد القادر الجيلالي " (470هـ / 1077م-561هـ / 1166م)[1]. ودخولها الجزائر كان مبكرا عن طريق : الحج إلى البيت الله الحرام خاصة على يد الشيخ "أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي" الذي التقى بالشيخ عبد القادر الجيلالي بالحرم الشريف [2]. وعبر تونس، ومنها ظهرت بوادي سوف منذ القرن السادس الهجري[3].

وهكذا تكوّن لها مقاديم مع الارتباط التام بمقرها العام ببغداد، وظلت التقاليد القادرية موحدة، ماثلة في الذكر والحضرة[4]. أما العمل الفعلي للزاوية القادرية بوادي سوف فقد بدأ خلال القرن التاسع عشر من قبل عائلة الشريف[5] التي تسكن الجريد التونسي[6]. وقد شيّد النواة الأولى للطريقة القادرية بوادي سوف الشيخ "إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية الشريف" الذي امتدت حياته فيما بين (1229هـ / 1813م - 1292هـ / 1875م) ، وذلك بعد تأسيس الزاوية القادرية بنفطة بالجريد التونسي سنة 1253هـ/1835م، ليتجه إلى الجزائر واضعا الأساس الأول لزاوية عميش بوادي سوف، وقد تلقى التصوف على يد الشيخ " بوبكر بن أحمد بن عبد الله الشريف " في زاويته بتوزر[7]، وقد ذكر ذلك في قصيدة تدعى النور بيَّن فيها معالم التصوف، وآدابه وشيوخه[8].

---

[1] ادوارد دونوفو : **الإخوان (دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر)**، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، 2003، ص 29

[2] ا بيل : **دائرة المعارف الإسلامية**، مج 1، دار الشرق،القاهرة، 1933، ص 602.

[3] محمد البهلي النيال : **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، مكتبة النجاح للنشر والتوزيع، تونس، 1965، ص 204.

[4] مختار فيلالي:**نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني**،دار الفن الغرافيكي، باتنة، (د. ت)، ص 37.

[5] عائلة الشريف : هي ذات أصول جزائرية من قبيلة الابوازيد " لبازيد " التي تقطن في منطقة الزيبان وقد هاجر جدهم إلى تونس. – ينظر عمار هلال : **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 –1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 320.

[6] عمار هلال : " الشيخ عبد العزيز الشريفبن محمد الهاشمي "، **مجلة الثقافة**، العدد 95، الجزائر، 1986، ص 274.

[7] Gouvion Marthe et Edmond : **Kitab Aayane El Maghariba**, Imprimerie Orientale Fontana Frères, Alger, 1920, p p 41 - 43.

[8] إبراهيم الشريف : **قصيدة بعنوان " النور "** ، خطت بالاغواط بتاريخ 1904 منسوخة على الأصل بزاوية ابنه محمد الطيب الشريف بالرويسات.

واستمرت علاقة الشيخ إبراهيم الشريف بأهل سوف حتى وفاته، وبعدها تولى أمر الزاوية من بعده أبنه الأكبر " محمد الكبير الشريف " الذي وثق علاقته بالضابط الفرنسي "ديبورتر" الذي تولى إدارة ملحقة وادي سوف سنة 1882، وعمل بعد ذلك في جهاز الاستخبارات بتونس، ليتحصل ديبورتر على رتبة (مقدم) للطريقة القادرية من الشيخ محمد الكبير الشريف. فاستطاع الشيخ توظيفه كلما احتاج إليه مقابل ما كان يهدف إليه الضابط الفرنسي من تحقيق مآربه الاستعمارية، حتى ظن العامة أنه مسلم قادري، وكان الضابط ديبورتر يقدم مقابل ذلك تسهيلات لأبناء إبراهيم الشريف منها منحهم ترخيصات لفتح فروع لزاويتهم بعدة أماكن بالجزائر[1] منها : زاوية الرباح[2] بمنطقة عميش التي أنشأها الشيخ "محمد الإمام بن إبراهيم الشريف"[3]، وهي قلعة لتحفيظ القرآن. كما كانت تعقد بها حلقات الذكر، ويتم فيها إكرام الضيوف وإطعام الفقراء والمحتاجين[4]، لتنشأ زاوية قمار التي قام على شؤونها الشيخ " الحسين بن إبراهيم الشريف "، وقد جاءت هذه الأخيرة في إطار التنافس مع التجانية في تلك الجهة[5].

وفي زاوية عميش (البياضة) قام الشيخ " الهاشمي بن إبراهيم الشريف "[6] بالإشراف على شؤونها[7]، وقد جاء قادما من نفطة إلى سوف في حدود 1886، فاستطاع أن يكسب ودّ الأهالي، ويقيم له سلطة روحية على معظم أتباع الطريقة القادرية. كما أصبح الرئيس المطاع بوادي سوف[8]، وقد سعى الشيخ الهاشمي الشريف إلى فتح زوايا للطريقة القادرية كلما سنحت له الفرصة، مثل : الزاوية القادرية بأولاد جلال ببسكرة[9]، وزاوية الاغواط التي أوصى بتشييد مدرسة لها. كما كان يدعو للعلم والنهضة[10]، وقد كانت زاويته بعميش مهتمة بالتعليم القرآني، وكانت ترسل حفظة القرآن الكريم لإتمام تعليمهم بزاوية نفطة، أو زاوية توزر[11] التي يتولى أمرها آنذاك الشيخ "المولودي بوعرقية" المتوفى عام 1915[12].

---

[1] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 176.

[2] الرباح : إحدى قرى عميش تبعد عن الوادي نحو 14 كلم جنوبا.

[3] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص ص 50 –51.

[4] Isabelle Eberhardt : Mes journaliers , p 108.

[5] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 51.

[6] الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف ولد بنفطة سنة 1853م – ينظر عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 320.

[7] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 51.

[8] حمزة بوكوشة : " الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف 1918م "، **محاضرة مرقونة**، ألقيت بثانوية علي ملاح بورقلة، بمناسبة الموسم الثقافي، أفريل 1987، ص 01.

[9] محمد نسيب : **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر دمشق، سوريا، (د – ت)، ص 219.

[10] محمد علي دبوز : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج 3، المطبعة العربية، الجزائر، 1969، ص ص 254–255.

[11] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص ص 234 – 235.

[12] أحمد البختري : **الجديد في أدب الجريد**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1973، ص 133.

واستمرت الزاوية الهاشمية القادرية[1] في نشاطها بوادي سوف عملا بأفكار الشيخ الهاشمي الــذي حــاول بدهائه وفطنته أن يحتل مكانة معتبرة لدى الحاكم الفرنسي لملحقة وادي سوف والسلطات الفرنســية، كمــا ساهم في الكثير من النشاطات الداخلية والخارجية، منها نداءه إلى كافة إخوان طريقته في زاويــتي تــوقرت وعميش وهذا بدعوقم لمساندة فرنسا في الحرب العالمية الأولى، حيث جاء في هذا النداء «.....فلا نفــرط في خدمة دولتنا الفرنسوية العزيزة ولا في إعانتها[2]...» ، لكن ما يلاحظ على هذا النداء هو أن الشيخ الهاشمي لم يكن لوحده داعيا لنصرة فرنسا بل كان مع مجموعة من شيوخ الزوايا والطرق الصوفية بالمغرب العربي، كمــا جاء ذكر اسمه في قائمة من أرسل إليهم المنشور الأول للثورة العربية الكبرى لكافة أعيان شمال إفريقيــا ســنة 1916[3].

وانطلاقا من هذين الحدثين يتضح أن مكانة الشيخ كانت هامة وذات مهابة جعلت الضــباط الفرنســيين بوادي سوف ينقسمون إلى فئتين : فئة تؤيد الزاوية التجانية المناوئة لزاوية الشيخ الهاشمي بالمنطقة، وفئة تؤيــد الزاوية القادرية نفسها[4]، وهذا من أجل محاولة إحداث التفرقة بين مريدي الطريقتين من جهــة، وإرضــاء الأهالي من جهة ثانية باعتبارهم يولون اهتمامهم بالالتفاف حول شيوخ الطرق.

كما كانت للشيخ الهاشمي علاقات مغاربية انطلاقا من تونس - التي تعد محط الهجرة التي لاذت إليها أسرته جراء السياسة الاستعمارية التي مارسها المستعمر في حق الأهالي في القرن التاسع عشر - وهذا مــن خــلال زاويتي نفطة وتوزر. كما كانت له مراسلات عديدة مع السيد " سليمان الباروني "، وفق ما تصــفه بعــض الدراسات، حيث تقر بالعلاقة القائمة بينهما، فقد ساهم الشيخ الهاشمي في دعم مقاومة سليمان الباروني ضد التواجد الإيطالي نتيجة مراسلات الباروني للشيخ يشيد بدوره ويستنجد به ماديا ومعنويا، فأما التأييد المعنوي فهو الفاتحة والبركة الصوفية[5]. وأما عن التأييد المادي فلم يعثر عن دليل أثبات ضمن الرسائل المعثور عليها.

وأمام هذه الادوار التي لعبها الشيخ الهاشمي زادت حالة التوتر بينه وبين الادارة الفرنسية خاصة بعد صدور

---

[1] صلاح مؤيد العقبي : **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، لبنان، 2002، ص ص 560-561.

[2] **جريدة خالص صدق مسلمي إفريقيا لأم أوطانهم الأمة الفرنسوية**، جلالة مولاي يــوسف سلطان المغرب الأقصى، حضرة محمد الناصــر باي، الدين النصيحة، 5 محرم 1333هــ / 10 نوفمبر 1914م.

[3] سليمان موسى : " المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال إفريقيا "، **المجلة التاريخية المغربية**، العددان 7 – 8، تونس، جانفي 1977، ص 108.

[4] حمزة بوكوشة : " الشيخ الهاشمي الشريف "، ص 02.

[5] القاسم سعد الله : " سليمان الباروني أضواء وملاحظات "، **مجلة الثقافة**، العددان 110 – 111، الجزائر، سبتمبر – ديســمبر، 1995، ص ص 240 – 241.

قانون شهر جويلية 1917 الذي أدخل فيه قانون التجنيد الإجباري حيز التنفيذ على الأهالي بـــالجنوب[1]. وعلى أثر ذلك حاول الشيخ الهاشمي الاتصال بالقائم بشؤون ملحقة الوادي الضابط "بواز" من أجل التخلـــي عن هذا الأمر القاضي بتجنيد شباب وكهول المنطقة محذرا آياه مغبّة الصنيع الذي سيقّدم عليــه بــدعوى أن سكان المناطق العسكرية لا يمسهم القانون من قريب أو بعيد منذرا باعتداءات الأهالي على الملحقة إذا ما نفذ هذا القرار في حقهم، فكان رد الحاكم بواز بأن الدولة الفرنسية مهابة الشأن وقادرة علـــى حمايـــة رعاياهـــا وحدودها[2].

لكن الشيخ الهاشمي لم ييئس في محاولة إرغام الحاكم بالعدول عن هذا الأمر فراح يوعز إلى مقاديميه بالقيام بمظاهرة شعبية تنطلق من عميش ليلا صوب مقر الحاكم، فما كان على المقاديم إلا العمل بما أمرهم به الشيخ الهاشمي، وفي يوم 15 نوفمبر 1918 خرج الأهالي ليلا محدثين ضجيجا وصـــياحا مـــع إطـــلاق البـــارود والرصاص، مما أزعج الحامية الفرنسية بالوادي، وجعل الحاكم بواز يتجه صوب مترل الشيخ الهاشمي بزاويتـــه بعميش من أجل طلب التهدئة، وتعقيل الأهالي، لكن الشيخ الهاشمي أنكر معرفته للأمر دون أن يرفض التدخل مقابل وضع شروط تقدم للحكومة الفرنسية من قبل السلطات العسكرية الحاكمة بوادي سوف[3]، بالإضافة إلى صمود الأهالي وتمسكهم بمطالبهم المتمثلة في إطلاق المجندين، وبالفعل استطاع الشيخ الهاشمي إقناع الأهالي بالتراجع وعدم الاستمرار في التظاهر، لكن الشيخ لم يسلم من الوشاة الذين جاءوا إلى الحاكم صبيحة يـــوم 16 نوفمبر 1918 يثبتون له تورط الشيخ الهاشمي في المظاهرة، والتأكيد على أنه المحرض لهـــا، فاســـتدعي الشيخ إلى توقرت، حيث الدائرة عن طريق بواز حاكم الملحقة بسوف ، فاعتذر الشيخ عـــن الحضـــور لأن الاستدعاء وافق الأيام الأولى من شهر ربيع الأول والشيخ من عادته يشرف على إقامة احتفالات المولد النبوي بزاويته. هذا ما جعل حاكم الملحقة بوادي سوف يبلغ حاكم الدائرة بتوقرت بتأخر الشـــيخ الهـــاشمي عـــن الالتحاق به، فكان لهذا التأخر معنا لدى الشيخ حتى يستطيع جسّ نبظ السلطات الاســـتعمارية فهـــي غـــير مستعدة لأحداث حالة توتر أخرى كون الشيخ ذو اتباع كثر بوادي ريغ وورقلة، وغيرها من أرجاء الـــبلاد ، وبعد سفر الشيخ إلى توقرت بيوم استقدمت فرنسا الجنود الزنوج من أجل دعم حاميتها استعدادا لكل طارئ قد يقع مع حشر أتباع الشيخ من مقاديم وشواش في بطحاء دون غطاء أو فراش تحيط بهم أسلاك شـــائكة في ليالي الشتاء[4].

---

[1] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 321.

[2] حمزة بوكوشة : المرجع السابق، ص ص 02 – 05.

[3] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 321 – 322. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 222.

[4] حمزة بوكوشة : المرجع السابق، ص ص 05 – 06.

لكن بمجرد وصول الشيخ الهاشمي إلى توقرت أبلغ انه مستدعى من الولاية العامة بالجزائر، وعند وصـــوله استنطق والزم بالإقامة الجبرية بالجزائر، وهذا لمدة سنة مع منعه من دخول التراب العسكري بعد انقضاء مـــدة الإقامة الجبرية، ليظل الشيخ الهاشمي يتردد بين عين البيضاء وسكيكدة، وبسكرة، وبعد عامين استطاع العودة إلى تراب سوف في شهر جويلية 1920 متخذا الصمت والحياد أسلوبا في حياته مع محاولة إزاحة كل أسباب التراع بين الطريقتين القادرية والتجانية[1]، لكنه قبيل وفاته أوصى أولاده بربط علاقتهم بالتجانيين، ومحاولة نبذ كل معالم التراع معهم، وحبس كل ما لديه في سبيل العلم، وبعث بأبنائه إلى جامع الزيتونة، كما أوصـــى أن يكون خليفته على الزاوية المتحصل من أبنائه على شهادة التطويع[2]، وقد سجل هذا الحبس وطبع في كراس في السنة التي توفي فيها، رغم تحالف الفقهاء الجامدين وشيوخ الطرق المدجلين في تلك الأثناء من تنفير النـــاس وتزهيدهم في جامع الزيتونةالمعمور[3]، باعتباره جامع يناهض الطرق الصوفية ويدعوا إلى حركـــة التجديـــد والإصلاح السلفي. لتتوفاه المنية يوم 23 سبتمبر 1923[4]. وبعد وفاة الشيخ الهاشمي وقع الاختيـــار علـــى الشيخ " عبد العزيز الشريف" الابن الثالث له لكونه الحاصل على شهادة التطويع، غير أن هذا الأخير تخلى عن المنصب لصالح أخيه الأكبر " عبد الرزاق الشريف "[5] الذي لم يعمر طويلا في المنصب نتيجة حالته الصـــحية المتدهورة، و لم تدم خلافته على الزاوية إلا ثلاثة أشهر[6]، فما كان على الشيخ عبد العزيز الشريف لـــذي لم يتجاوز سن الخامسة والعشرين من عمره إلا القبول بأمر الواقع والامتثال إلى حقيقة توليه رئاسة الزاوية، غـــير أن ثقافة عبد العزيز وطبيعته جعلته يصرح برغبته في التخلي عن مشيخة الزاوية[7]. وهكذا اســـتمرت حيـــاة الشيخ عبد العزيز الشريف رتيبة دون أن يعرف عليه بأنه قام بإصلاحات أدبية أو مادية على زاويـــة عميش، وفروعها في سيدي عمران وسكيكدة، والأغواط والجزائر العاصمة، بل انشغل باستثمار أموال عائلته، فكللت مساعيه بالنجاح حتى صار يلقب في مناطق الجنوب بملك التمور[8]، لكنه وجد رغم ذلك منافسة شديدة من طرف المحتكرين المعمرين خاصة المرابي " باوو " Baa-Ou الذي عمل على إبعاد الشيخ عبد العزيز الشريف من هذا الميدان والسيطرة لوحده على احتكار تجارة التمور وقد تمّ له ذلك فعلا[9]. ومع هذا استطاع عبـــد

---

[1] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 322. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر.**، ص 222.

[2] التطويع : شهادة تقابل شهادة البكالوريا – ينظر إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 223. (هامش *).

[3] حمزة بوكوشة : نفس المرجع، ص 07.

[4] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 323.

[5] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 322. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر.**، ص 223.

[6] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 323.

[7] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 324. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 223.

[8] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر.**، ص 223.

[9] حمزة بوكوشة : المرجع السابق، ص 07.

العزيز الشريف أن ينصّب زميله الشيخ " محمد السعيد ألزاهري " مدرسا بزاوية الأغواط سـنة 1926[1]، كما نصب في نفس السنة الشيخ " مبارك الميلي " بنفس الزاوية[2]، وعين الشيخ " الصدّيق بن عريوة " مدرسا بزاوية توقرت، والشيخ " محمد الشريف المدكالي " مدرسا بزاوية بسكرة[3].

واستمر الشيخ عبد العزيز الشريف قائما على مشيخة الزاوية القادرية بعميش، وعلى ملحقاتها إلى سـنة 1936 حين سافر إلى أداء فريضة الحج، وعند رجوعه حدث التحول في حياته ليتجه صوب الإصلاح مشهرا دعوته ضد نبذ الخرافة داعيا للعودة إلى الدين الصحيح. وهكذا استطاع كل من الشيخ الهاشمي، والشيخ عبد العزيز الشريف أن يستميلا نفوس العديد من أهالي الإقليم، وهذا للدور الذي صارت تعرف به طريقتـهما، رغم محاولات الشيخ الهاشمي من إظهار روح المودة للسلطة الاستعمارية، لكن ذلك كان على مضض، وقـد كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر عن كليهما : « كان الشيخ الهاشمي شـيخ الطريقـة القادرية رحمه الله رجلا ذكيا واسع الحيلة بعيد النظر أدرك بثاقب فكره أن ما عليه الطريقة من الجهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلا وأن المستقبل للعلم لا محالة فولى وجهه شطر العلم، وقدم أبنـاءه لجـامع الزيتونـة المعمور وحبس أملاكه كلها على العلم، واشترط أن تعمر زواياه بأهل العلم من أئمة ومدرسين ومـتعلمين، فكان عمله هذا فريدا لم يسبقه إليه أحد من أمثاله. انتهى أمر الحبس إلى الشيخ عبد العزيز الشريف بمقتضـى شرط المحبس، وتولى مشيخة القادرية، فلما كان الاجتماع العام رشح للمجلس الإداري بصفة عالم وشـيخ للطريقة القادرية»[4].

كما نجد شاعر الإلياذة " مفدي زكرياء " قد خلد الشيخ الهاشمي الشريف حيث يقول[5] :.

أتنـسى ثـلاثة أيـام نحـس — و" سوستال " يندب في النائحين.

وأخـضر يحصـد حمر الحـوا — صل فيها ويقطـع منها الوتـين.

وضرغـامها الهـاشمي الشريف — يـذيق " بواز " العـذاب المهيـن.

وكـم كان سـوف لضم الصفوف — وجمـع شتات الحريص الأمين.

---

[1] **الشهاب** :ج 1، م 1، يوم الاثنين 15 صفر 1345هـ - 23 أوت 1926.

[2] حمزة بوكوشة : المرجع السابق، ص 08.

[3] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 324 – 326.

[4] **البصائر** : العدد 113، السنة الثالثة، الجمعة 24 جمادي الأول 1357هـ / 22 جويليت 1938م.

[5] مفدي زكرياء : **الإليـاذة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 76.

فكان دور الطريقة القادرية دورا فاعلا باعتباره استمرارية لمناهضة الاستعمار بشتى الوسائل.

- الطريقة التجانية :

هي طريقة صوفية ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر[1] على يد مؤسسها الشيخ " أحمد التجاني " المكنى بابي العباس أحمد محمد التجاني الشريف، ولد بعين ماضي قرب الاغواط سنة 1150هـ / 1737م[2]، وهي تعد أحدث الطرق الدينية في الجزائر، وهذا بفضل كرامات وأفعال الشيخ احمد التجاني النبيلة، التي استهوت العامة بالإضافة إلىحكمته وورعه، حيث استطاع أن يكسب ودّ المجتمع[3].

وارتباط أهل سوف بطريقته كان مبكرا نتيجة إرسال الشيخ أحمد التجاني أحد أتباعه، وهو " محمد الساسي القماري " ليُوصل صوت الطريقة إلى قمار، فاستجاب له جماعة من أهل قمار، فذهب عشرة منهم معه إلى شيخهم سنة 1201هـ[4] /1786م[5]، وفي سنة 1204هـ / 1789م رافقهم في زيارتهم إلى الشيخ أحمد التجاني الحاج "علي التماسيني"[6] الذي يرجع نسبه إلى بلدة " ينبع " ببلاد الحجاز، فكان له دور كبير في قيادة الطريقة[7]، ونشرها خصوصا بوادي ريغ وسوف[8]. وقد كلف الشيخ أحمد التجاني مريديه بتأسيس زاوية لهم بقمار، فتم ذلك سنة 1204هـ / 1789م على يد المقدم " محمد الساسي القماري " الذي أشرف عليها في البداية، ثمّ سلم مفاتيحها للشيخ الحاج على التماسيني، وظلت تحت رعاية أبنائه من بعده[9]. وقد كان الشيخ أحمد التجاني يوصي مريديه بتأسيس الزوايا في كل مكان يحل به، وينصب لهم مقدما يأمره بنشر الطريقة في ذلك المكان، وبعد استقراره بفاس أنشأ زاويته سنة 1215هـ /1800م[10]، فكان المريدون يشدّون الرحال انطلاقا من زاويتي قمار وتماسين نحو فاس، وهذا لأداء الزيارة لشيخهم قبل وفاته. وفي

---

(1) J . Scelles Millie : Op cit, p 13.

(2) حرازم الفاسي : **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، ج 1، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 23.

(3) ادوارد نوفو : المصدر السابق، ص ص 77 –84.

(4) عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، **الندوة الفكرية الثانية للشيخ عبد القادر الياجوري**، قمار، 09 –11 أكتوبر 2001، ص 01.

(5) Gouvion Marthe et Edmond : Op cit, p p 56 –65.

(6) ولد الحاج علي بتماسين في حدود 1180هـ/1767م. - ينظر علي غنابزية : المرجع السابق، ص 178.

(7) محمد الخميس القوراري : **رسالة إلى الشيخ الحافظ التجاني المصري حول الحاج علي التماسيني وأبنائه**، مرقونة، (نسخة مصورة عنها)، ص 05.

(8) C Noelat : Op cit, p 100.

(9) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 178.

(10) عمار هلال : **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غربي إفريقيا السمراء**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص 127.

آخر حياته استدعى الشيخ أخص أصحابه وأوصاهم بأهله، ومن هؤلاء الأصحاب نجد الحاج على التماسيني، وبعض مقاديم سوف كـ" الطاهر بن عبد الصادق القماري " و"أحمد سليمان التاغزوتي"، وآخرون[1]. وقد توفي الشيخ الحاج على تماسيني سنة 1260هـ / 1844م[2]، فخلفه نجله الشيخ "محمد العيد" الذي عرفت الزاوية في فترة خلافته توسيعات، وبنى بها مسجدا، وشيد منازلا للعائلة التماسينية[3] لتبدأ منذ ذلك الحين رحلة تنقل هذه العائلات في الشتاء والصيف بين تماسين وقمار[4]. أما الشيوخ الذين اشرفوا على الزاوية بقمار، وكان لهم تأثير في وادي سوف هم :.

-الشيخ " محمد الصغير بن الشيخ حاج علي " ولد عام 1258هـ/1817م، وحفظ القرآن، وعند قدوم العلامة " المختار الشنقيطى " عام 1258هـ / 1842م إلى تماسين ومكوثه سنة كاملة بها يدرس مختصر الشيخ خليل، وبعض شروح الألفية، أخذ عنه العلم، كما كان الشيخ محمد الصغير ملازما لأبيه الحاج علي، فتربى على يديه[5]، فصار مثال العلم والتقى والفضيلة، وكسب ثقة سكان سوف والصحراء[6]، وقد تولى محمد الصغير أمر الزاوية التجانية بتماسين في 19 نوفمبر 1875م خلفا لأخيه محمد العيد، ودامت رئاسته للزاوية حتى وافته المنية في 18 رمضان 1309هـ / 1891م ودفن بقمار[7].

-الشيخ " محمد العروسي التجاني " المكني سيدي حم العروسي، وهو محمد العروسي بن محمد الصغير ابن الحاج علي التماسيني[8] ولد بقمار سنة 1850 [9]، وحفظ القرآن الكريم على.طالب شنقيطي اسمه " محمد الطيب "، وأخذ الفقه على قاضي قمار "الأخضر بن أحمد "، والتصوف عن والده[10]، فساعده هذا على نهل العلوم والمعارف، وتولى منصب مقدم في عهد والده بزاوية قمار. كما كان الشيخ محمد العروسي دبلوماسيا ماهرا مهتما بأتباعه وغيرهم، مما اكسبه ثقة، وأصبحت كلمته مسموعة في سوف وخارجها[11] خاصة في منطقتي الهقار وغدامس اللتين انتشرت بهما التجانية، وعلى إثرها استطاع تمتين الصلات مع أهلهما،

---

(1) عبد الباقي مفتاح : **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، (مخ)، لدى صاحبه، ص 111.

(2) Gouvion (Marthe et Edmond) : Op cit, p 53.

(3) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 11.

(4) C Cauvet : Notes, p 108.

(5) محمد الحميس القوراري : المرجع السابق، ص 35.

(6) Gouvion (Marthe et Edmond) : Op cit, p p 61 –62.

(7) Ibid, p 62.

(8) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 231.

(9) Gouvion Marthe et Edmond : Op cit, p 62.

(10) علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 180.

(11) Gouvion (Marthe et Edmond) : Op cit; p 62.

واستغل ذلك في مساعدة البعثات الفرنسية، وهذا ما جاء في رسالة الجنرال " فورو "[1] إلى الشيخ محمد العروسي بتاريخ 12 جوان 1895 يطلب منه إخبار الطوارق عن غزو جيش بوعمامة لهم[2]. كما اعتمد عليه الضابط " بيجار " رئيس ملحقة وادي سوف، لتسهيل وتذليل عقبات الصحراء للمستكشفين، وقد ساهم في تسهيل مهمة بعثة " لامي " "Lamy" 1898 - 1899[3]. فكان مقابل هذا الجهد يتلقى باستمرار رسائل الشكر والتقدير من السلطات الفرنسية العليا. كما كان ذا مهارة عالية في فنّ الهندسة والنقش الشرقي، مما جعله يساهم في تطويره بسوف[4]، بالإضافة إلى اهتمامه بالتأليف، وتسجيل الوقائع والأحداث التاريخية في تقاييد خاصة تعرف بالكناش والمخدرة[5]، فكانت زاوية قمار في عهده مدرسة لتلقن العلوم لعدد محدود من أبناء الزاوية وأصدقائها[6].

وفي عام 1920 تولى مشيخة زاوية قمار " محمد السايح بن محمد العروسي " إثر وفاة أبيه، وقد ولد الشيخ محمد السايح عام 1866، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ سي " محمد الصالح بن الحاج علي بالخوصى " بقمار، أما الفقه فأخذه على الشيخين الحاج " علي بالقيم القماري "، وسي "مبارك بن المبارك التاغزوتي "، كما اخذ علوم اللغة والبلاغة على السيد "محمد بن سويسي" خريج الزيتونة، وهذا لمدة عشر سنوات بزاوية قمار،و أخذ الأدب عن قريبه السيد " الطيب بن الأخضر "، حتى أصبح آية من آيات البيان العربي شعرا ونثرا، وخطابة، أما التصوف فأخذه عن أبيه[7].

وقد كان للزاوية التجانية بقمار مهابة عظمى، حيث نجد أن الشيخ محمد العروسي قد أيد فرنسا في حربها ضد ألمانيا وذلك من خلال وصية السيد محمد العروسي نجل المرحوم سيدي محمد الصغير التجاني شيخ الزاوية بقمار كما أنكار على تركيا في دخولها الحرب مع ألمانيا، والدعاء لفرنسا بالانتصار[8]. بالإضافة إلى العداء القديم بين الطريقة التجانية والدولة العثمانية، والرسالة المتمثلة في المنشور الأول للثورة العربية الكبرى من طرف شريف مكة وأميرها عن طريق الجنرال "كلايتون" بأسماء المسلمين الجزائريين بتاريخ: 09 أوت 1916، حيث كان اسم الشيخ

---

[1] فيورو : مكتشف فرنسي يحسن العربية ويتظاهر بأنه من إخوان الطريقة التجانية.

[2] أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ص 395.

[3] Gouvion (Marthe et Edmond) : Op cit; p 62.

[4] Ibid, p 62.

[5] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، 336.

[6] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 231.

[7] عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، ص ص 03 –05.

[8] **جريدة خالص صدق مسلمي**، المصدر السابق.

محمد العروسي الثالث بالقائمة الثانية[1]. وهذا يؤكد الدور الذي كان يلعبه شيوخ الزاوية التجانية في كسب ودّ السلطة الفرنسية، مما زاد من حدة الصراع بين الطريقة القادرية والتجانية، وهذا لمحاولة كل طرف إرضـــاء فرنسا على حساب الآخر، كما كانت السلطات الفرنسية تسعى لذلك حتى لا يقع بين الطرفين توافق قد يضر بمصالحها في منطقة وادي سوف. والطريقة التجانية كانت لها بجانب زاوية قمار زاوية تاغزوت المجاورة لهـــا، وذات النفوذ يتولاها مقدم، غير أنّها لم تكن في مكانة زاوية قمار في فترة الشيخ محمد العروســـي[2]، حيـــث بلغت الزاوية مكانة علمية باهرة لنشاطها الدائم وحيويتها العلمية واستقبالها للشيوخ الوافدين من تونس خاصة علماء الشابية الذين قدموا دروسا في زاوية قمار[3]، وبهذا تكون الزاوية بمثابة الإشعاع العلمي الذي حـــافظ على اللغة العربية وآدابها.

ومن خلال ما وقفنا عليه من خلال دور الشيخ محمد العروسي نجد أن الصـــورة قـــد زادت وضـــوحا في مساهمة وادي سوف مغاربيا من خلال الدور الذي لعبته هذه الطريقة من أجل تقريب وجهات النظـــر مـــن جهة. والربط بين أجزاء البلاد المترامية المشتركة في نطاق الصحراء الكبرى التي ظلت تمثل مطلبـــا بالنســـبة للفرنسيين باعتبارها مسلكا هاما للقوافل التجارية، ليس على المستوى المغاربي فقط، بل هي أوسع من ذلـــك حيث تعد معبرا إلى إفريقيا السوداء. ومن هذا يتضح الدور الهام الذي ظلت الزاوية التجانية تلعبه ردحا مـــن الزمن، وهذا باعتبارها مصدر إشعاع وتنوير ليتأكد مدى استغلال ذلك وهذا من خلال دور الشـــيخ محمـــد العروسي الذي استطاع تقديم الكثير من التسهيلات لفرنسا لتخطي العقبات الكـــؤودة بالنســـبة لرحلاتهـــا الاستكشافية مقابل الألقاب والهداية المقدمة من طرف السلطات العليا الفرنسية. وهذا الموقف قد يكون نابعا من قناعة مفادها أنّ الإبقاء على حالة التصادم مع المستعمر أصبح غير مجد، فما كان علـــى الشـــيخ محمـــد العروسي إلاّ التقرب أكثر من السلطة الفرنسية، حتى يستطيع تفويت الفرصة على خصومه خاصـــة الشـــيخ الهاشمي الشريف شيخ الزاوية القادرية الذي لم يكن في حجم الشيخ محمد العروسي من حيث العلم والمعرفـــة، لكن الشيخ الهاشمي كان أكثر حظا في كثرة الأتباع باعتباره أكثر سعيا في فتح زاويا تابعة لزاويـــة عمـــيش، كزاوية بسكرة وسكيكدة، والأغواط، بالإضافة إلى العلاقات التي تربطه بتونس. وعموما لا يمكن الجـــزم في طبيعة العلاقات القائمة بين السلطات الاستعمارية والشيخ محمد العروسي باعتبار الظروف المحيطة به، والجـــو الذي أصبح طاغيا على سواد الأمة، والذي أصبح يؤمن بعدم جدوى المقاومات المسلحة نتيجة ما حصل لكثير من الطرق والزوايا، فما كان منه إلا الوقوف هذا الموقف تجاه المستعمر، حتى يستطيع المحافظة والإبقاء علـــى روح التعليم العربي وعدم الزج به في أتون الصراع، رغم ما قد شاب هذا التعليم من نقائص، إلا أنّـــه ظـــل

---

[1] سليمان موسى : المرجع السابق، ص 108.

[2] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 335.

[3] عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، ص 05.

حصنا منيعا للشخصية الوطنية[1].

- الطريقة الرحمانية (العزوزية) :

يعود أصل الطريقة إلى الشيخ " امحمد بن عبد الرحمان الأزهري الزواوي الجرجري" المولود حوالي 1720 من قبيلة آيت إسماعيل، والمتوفي سنة 1793 المعروف ببوقبرين[2]، فأخذت الطريقة تنتشر في أرجاء البلاد، وكان من بين تلامذته الشيخ " محمد بن عزوز البرجي " المولود سنة 1170هـ / 1756م بواحة البرج قرب طولقة، ناشرا للطريقة بالجنوب، حيث أصبحت الطريقة تنسب إليه وصار أتباع الطريقة الرحمانية يعرفون بالعزوزية. وقد زار الشيخ بن عزوز وادي سوف قبل وفاته، ومكث بها أربعة أيام ناشرا الطريقة[3]، لتستمر مراسلاته مع مريديه في سوف، فكان من أشهرهم الشيخ " علي بالليل " من بلدة ، والحاج " أبو بكر " يذكّرهم فيها دوما بالورد والإكثار من الذكر لبلوغ أعلى المراتب الصوفية[4]. وفي سنة 1232هـ / 1817م توفي الشيخ محمد بن عزوز البرجي، ودفن ببرج طولقة[5]. أما رسوخ الطريقة بوادي سوف، فكان منذ تأسيس الزاوية على يد سيدي "سالم العايب"[6]، الذي اتصل بزاوية طولقة العزوزية (الرحمانية)، وأخذ الطريقة عن الشيخ علي[7] بن عمر[8]، غير أن الشيخ سيدي سالم كان أميا، لكنه اتسم بالسمت الصوفي، والخلق الفاضل، مما جعل الشيخ علي بن عمر يختاره مقدما على إخوان سوف الرحمانيين، فأمره بإنشاء زاوية لذكر الله تعالى، فلبى طلبه ووضع أول نواة لزاويته على شكل كوخ من الخوص يدعى في المنطقة بالزريبة،

---

[1] إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 32. (ينظر الهامش 01).

[2] أبو القاسم الحفناوي : **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991، ص ص 298 –302.
— مختار فيلالي : **نشأة المرابطين والطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر ، باتنة، الجزائر، (د . ت)، 40 –43.

[3] أحمد مفتاح : **تقاييد**، مخ، مكتبة ابنه عبد الباقي مفتاح المترلية.

[4] محمد بن عزوز : رسالة إلى سي علي بالليل وسي الحاج أبي بكر، **مجموع رسائل**، (مخ)، بالزاوية العثمانية، طولقة.

[5] عبد الرحمان بالحاج:**الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وبن عزوز**،مطبعة النجاح،قسنطينة، 13 شوال 1350هـ،ص ص 02–20.-عبد الحليم صيد: "محمد بن عزوز شيخ العلماء والمجاهدين"، **مجلة الثقافة**، العدد 115، الجزائر، 1997، ص ص 97–113.

[6] وهو سالم ابن محمد بن امحمد بن نصر بن عطية بن الزاير بن المحجوب دفين القيروان، ويعود نسبه إلى " عبد السلام ابن المشيش "، ولد بالوادي عام 1182هـ / 1768م، وهو يتيم الأب منذ ولادته، فعاش حياة فقر و لم يكن له معيل سوى أمه، وقد أصيب بالعرج في رجله وهو رضيع في مهده، فعرف بالعرج طول حياته وأصبح يدعى بالأعرج أو العايب، و لم تمنعه تلك العاهة من زيارة شيوخه أو السعي في طلب الرزق، فهاجر إلى نفطة ليمتهن حرفة الصباغة، وكان دائم الانشغال بالذكر الله ليلا بصوت عال،فصار يزعج الناس، فشكوه إلى الحاكم الذي قام بطرده، فقفل عائدا إلى وادي سوف. - محمد بن عزوز بن محمد الصالح : **المصدر السابق**.

[7] وهو علي بن عمر البرجي، أخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن عزوز البرجي. — ينظر عبد الرحمان بن الحاج : المرجع السابق، ص ص 21 – 22.

[8] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 153.

لكنها تطورت إلى زاوية في حدود 1236هـ / 1820م، ليضاف إليها سنة 1830 مسجدا بجوارها، وقد سهر سيدي سالم العايب على إعداد أبنائه والارتقاء بهم في منازل العلم، حتى وافته المنية سنة 1277 هـ / 1860م، ودفن بزاويته في وسط مدينة الوادي[1].

فتولى مشيخة الزاوية بعده ابنه الشيخ "مصباح بن سيدي سالم " الذي ولد سنة(1255هـ - 1839م)بالزاوية، وتوفي سنة (1327هـ - 1909م)، ليخلفه أخوه الشيخ محمد الصالح بن سيدي سالم والذي ولد سنة (1263هـ - 1846م)، فحفظ القرآن الكريم في عمر مبكر، ودرس الفقه على الشيخ " علي بن قديري" المكنى علي بالرقية وأخذ الطريقة على الشيخ " مصطفى بن عزوز " بإذن من والده سيدي سالم، وهذا لكون الشيخ مصطفى اكثر علما من والده، فاراده أن ياخذها على بيان واضح سليم، وقد وصف الشيخ محمد بن عزوز بن محمد الصالح بن سيدي سالم الشيخ محمد الصالح قائلا : « كان سيدي محمد الصالح رحمه الله قوام الليل مجتهدا في أعمال البرِّ سخي الدمعة كثير البكاء شفقة على خلق الله، حتى على الدواب، وكان كلما رأى جنازة يقول لا زلت تسمع بهالك حتى تكون[2].». كما كان كاتما للفضائل والكرامات إلا ما ظهر منها على يده دون إرادة منه، حيث يقول إبراهيم ابن عامر: «... جرى على طريق الأشياخ الذين يكتمون أمرهم، وهو مقام عظيم يفتخر به كل من له أدنى مسكة بأحوال القوم[3]... »، فكان له الفضل في نشر الطريقة في كل من الوادي والزقم، وكونين[4]، وقمار التي كان سي " سعيد " مقدما للطريقة العزوزية بها[5]. كما كان للطريقة العزوزية دور هام في تعليم القرآن الكريم بزاوية سيدي سالم التي كانت مقصدا للطلبة من كامل وادي سوف، كما كان يتوافد عليها طلبة من خارج المنطقة، وهؤلاء الطلبة هم من بلاد النمامشة ووادي ريغ[6]، وقد كان لهؤلاء نظام داخلي[7] يضمن لهم من خلاله السكن والإطعام، ولهذا نجدها قد ضمت العديد من الطلبة الوافدين من مناطق مختلفة كالنمامشة ووادي ريغ، طلبة الزاب الشرقي (أولاد عمر) وتماسين[8].

كما أن طلبة وادي سوف يأتون إليها من أرجاء عديدة كعميش والطريفاوي، وتاغزوت، بالإضافة إلى

---

(1) أحمد خراز : **تقاييد**، مخ، بمكتبته المنزلية، الوادي.

(2) محمد بن عزوز بن محمد الصالح : المصدر السابق.

(3) إبراهيم العوامر : **البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريقة سيدي محمد الصالح**،مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1323هـ، ص 36.

(4) Ahmed Nadjah : Op cit, p 126.

(5) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 154

(6) G . P . J . André : **Confréries Religieuse Musulmanes**, Edition La maison de Livre, Alger, 1956, p 277.

(7) محمد بن عزوز بن محمد الصالح : المصدر السابق.

(8) إبراهيم مياسي:"الدور التعليمي لزاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف"،**حولية المؤرخ**،العدد 1،الجزائر،2002،ص ص 312-313.

أحياء الوادي كأولاد أحمد والأعشاش، والمصاعبة[1]. وقد كان هؤلاء الطلبة يحفظون القرآن الكريم على أساس طبقات منها : الطبقة الأولى والثانية، والثالثة والرابعة[2]، وكل طبقة من هذه الطبقات الأربع تضم عددا من الطلبة الذين وصل بهم المطاف إلى حفظ القرآن الكريم كاملا، وعلى هذا الأساس استطاعت الزاوية العزوزية تأسيس نظام تعليم يعتمد النظام الداخلي قصد ضمان الراحة للطلبة الوافدين من أرجاء عدة، وعليه كانت الزاوية ملاذا لكثير من علماء المنطقة مثل : الشيخ " عبد الرحمان العمودي " والشيخ العربي ابن موسى (موساوي)، والشيخ "إبراهيم بن عامر" والشيخ " الطاهر العبيدي "، وشقيقه الشيخ " أحمد العبيدي " والشيخ "محمد بن جديدي"، والشيخ " المدني بن العربي بن موسى (موساوي) "[3]، وغيرهم كثير.

أما الزوار الأجانب الذين كانوا يمثلون العلم والصلاح نجد : الشيخ " إبراهيم البختري " والشيخ " محمد ابن حمد النفطي " من علماء الجريد التونسي، والشيخ " العروسي بن عزوز " والشيخ " المكي بن عزوز"، والشيخ "الخضر بن الحسين"، كما كان لهؤلاء زيارات لمواقع أخرى بالإقليم كزاوية قمار التجانية لإلقاء دروس. كما نجد الشيخ " الصادق بن الهادي " عندما كان قاضيا بمحكمة الوادي الشرعية، يقيم دروسا بزاوية سيدي سالم العزوزية، حيث درس كتاب " **المرشد المعين** "، والشيخ " عبد المجيد بن حبة "، وقد كان لهؤلاء دور فعّال في تنشيط الزاوية علميا من خلال إلقاء دروس وومواعظ، لأنهم حين زاروا الزاوية مكثوا بها ضيوفا لعدة أيام[4].

ومن خلال هذا الدور العلمي نجد أن الزاوية كانت في منأى عن الصراع بين الطريقة القادرية والتجانية[5]، كما كانت غير راغبة في التقرب إلى السلطة المستعمرة، حيث لا نجد لهذه الزاوية أي مسعى في إقامة علاقات معها، بالإضافة إلى كونها امتداد للّزوايا الرحمانية التي قادت مقاومات عديدة بأرجاء البلاد في القرن التاسع عشر. وقد ظلت الزاوية خلال مشيخة سيدي محمد الصالح بن سيدي سالم تمثل منارة من منارات الإشعاع العربي الذي ظلت الزاوية تشعه لتحافظ على اللغة العربية، وفي سنة 1335هـ / 1916م توفي الشيخ محمد الصالح، وتولى مشيخة الزاوية ابن أخيه مصباح[6]، وهو الشيخ "محمد العربي"، لتستمر زاوية سيدي سالم في مواصلة المسيرة التي أرساها الشيوخ الأوائل.

---

[1] إبراهيم مياسي:نفس المرجع، ص 313.

[2] محمد بن عزوز بن محمد الصالح : المصدر السابق.

[3] إبراهيم مياسي: " الدور التعليمي لزاوية سيدي سالم "، ص 313.

[4] إبراهيم مياسي: نفس المرجع، ص 316.

[5] حمزة بوكوشة : " الشيخ الهاشمي الشريف "، ص 02.

[6] إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 312.

ب - الطرق الصوفية الفرعية :

وهي قليلة الأتباع ومحدودة الانتشار مقارنة بالطرق الآنفة الذكر، كما لم يكن لهذه الطرق زوايا بالمنطقة وإنما كان ارتباطها يبرز من خلال بعض المساجد المتناثرة عبر تراب وادي سوف، وهذا من خلال تسمية تلك المساجد ومنها :

- الطريقة البوعلية :

هي قادرية الأصل تعود إلى القرن السادس الهجري ظهرت ببلاد الجريد التونسي، ومؤسسها هو أبو علي "حسن بن محمد بن عمر النفطي" ولد سنة 593هـ / 1193م، وعرف بالسني لانتصاره لأهل السنة أمام أصحاب المذاهب الأخرى خاصة الخوارج، فمات على أيديهم سنة 610هـ / 1213م، ليدفن بنفطة، وقد أقيمت له قبة تزار هناك[1]. ويعود انتشار الطريقة البوعلية إلى الشيخ " محمد بن ناصر النفطي " الأصل المولود سنة 1800، وقد أخذ الطريقة عن شواشي ضريح سيدي بو علي يقال لهم الطواهرية، وقد وفد إلى وادي سوف، وأسس سنة 1850 خلوة، أو زاوية صغيرة، ليشيد فيما بعد مسجدا حوالي 1890 يعرف بمسجد سيدي بو علي الكائن بحي أولاد أحمد. وفي سنة 1895 توفي محمد بن الناصر، ودفن بالجنوب الغربي من المسجد[2]، لكن تصرفات أتباع هذه الطريقة رقص شعبي[3]، وحضرة أعتبرت غريبة وغير مألوفة[4]، وهذا نتيجة الغلو الذي طبع به أهل التصوف بالجزائر مما جعله لا يؤدي الغرض الصحيح المرجوّ منه[5].

- الطريقة المرزوقية :

نسبة إلى سيدي مرزوق رجل أسود كان خادما عند سيدي بو علي النفطي، فلما توسم فيه الصلاح، وظهرت على يده الكرامات أمره بالانفصال عليه وتشكيل طريقة خاصة به، ففعل سيدي مرزوق[6]، وقد أعلن له السود في بلاد الجريد التونسي وسوف الولاء، ويدعون بـ" الوصفان "، فكان لديهم بسوف ثلاث قياد واحد في الوادي وثانيهم في كونين وثالثهم في عميش، ولهم احتفال سنوي[7] يجتمعون فيه قاطبة ويقام

---

(1) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 274. – أحمد البحتري : المرجع السابق، ص ص 64 –67.

(2) أحمد مفتاح : **تقاييد**، المرجع السابق.

(3) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 275.

(4) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 184.

(5) Augustin Berque : Les capteurs de divin : Marabouts, Ulemas, **Revue de la Méditerranée**, N°43 -44, 1946, p 302.

(6) إبراهيم العوامر : **الصروف**، ص 166.

(7) André Voisin : Op cit, p 98.

هذا الأخير في أول اثنين من شهر مارس من كل سنة ميلادية — أي أول اثنين من موسم الربيع — ويطلق عليه اسم " محفل سيدي مرزوق "، ويتم فيه الرقص والغناء والموسيقى الخاصة ذات الطابع الزنجي الإفريقي. كما يقوون روابط الصلة والعلاقات به ويتعارفون من خلاله[1]، لكن مع ذلك بقي بعض الوصفان ينتمون إلى الطرق الصوفية الأخرى حسب انتماءاتهم للعائلات التي كانوا عبيدا لديها قبل تحررهم من رقّ العبودية[2].

- الطريقة الشابية :

تعود التسمية إلى أسرة الشيخ " عرفة بن أحمد بن مخلوف الشابي " بالقيروان وهذا للعهد الذي أخذه جماعة من طرود وادي سوف[3]، لكن تجذر الطريقة كان على يد الشيخ سيدي "المسعود الشابي" الذي كان يتردد على سوف حتى سنة 1619، وقد توفي ببلدة شاشار قرب خنشلة، ليدفن بزاويته الشابية سنة 1619[4]، وقد قام سيدي المسعود الشابي بإنشاء عدة مساجد بالوادي وقمار وحملت هذه المساجد اسمه.

وكان الأحفاد يأتون سنويا لجمع التمور خاصة من قمار، وقد نصبوا خيمة شعر غربي قمار وأطلقوا عليها تسمية " بيت الشريعة "، كما أسس أحد أحفاده زاوية شابية بتوزر سميت ببيت الشريعة[5]، لتتحول تلك الخيمة إلى مسجد وجعلوا في مصلاه عصا ثم خشبة، ثم حجرا لُيخرج هذا الحجر سنة 1354هـ / 1935م حتى لا يقال إنه صار وثنا يعبد من دون الله[6]، وقد استمرت هذا الصلة بين شيوخ بيت الشريعة من شابية الجريد التونسي وأهالي وادي سوف، ومن هؤلاء المترددين نجد الشيخ "أحمد عمار"[7]. وقد كان لهذه الطريقة أوراد وقواعد تسير عليها تشبه أوراد الطرق الأخرى[8]، وهي طريقة محصورة في قمار والدبيلة، حيث توجد زاوية الشابية بقمار[9]، وأتباعها منحصرون في بعض العائلات التي تحمل اسمها[10].

---

(1) Roge Leselle : Op cit, p 66.

(2) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 184.

(3) علي الشابي : المرجع السابق، ص 57.

(4) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 192.

(5) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 276.

(2) محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 68.

(7) محمد الطاهر التليلي : نفس المصدر، ص 68.

(8) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 276.

(9) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 42.

(10) Ahmed Nadjah : Op cit, p 125.

- الطريقة الطيبية[1] :

ظهرت هذه الطريقة بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر. أما الزاوية الأم فتتواجد بـــ"وزان" بـــالمغرب الأقصى وتدعى " دار الضمانة ". أما أورادها فهي شبيهة بالطرق الأخرى، حيث تدعو إلى التقوى والإكثـــار من فعل الخير، والقيام بالواجبات الدينية، غير أن أتباعها قليلون لهم زاوية تعرف باسم الشيخ سيدي " عبد الله ابــــن أحمد " الذي عاش في القرن الثامن عشر، وقد سمي عليه الحي الذي تتواجد به الزاوية وهو حي سيدي عبد الله[2].

وبهذه التشكيلة الفسيفسائية نلاحظ فاعلية المجتمع الســـوفي، ومدى تفاعله مع التـــــأثيرات الخـــــــارجية خاصة تـــونس من خـــلال منطقة الجـــريد. مما يبين شغف الفرد الســـوفي وميوله إلى التدين، كما كان لهذه الطـــرق خاصة الرئيسية منها أدوار مختلفة التـــأثير على المستـــوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي[3]، ممـــا جعلها تـــؤثر تـــأثيرا بـــالغا في قلـــوب مريدهــــا، ورغّبتهم في تأسيس الزوايـــا بمختلف القـــرى والمـــدن بوادي ســـوف للذكر والتربية، وتحفيظ القرآن الكريم، كما كانت ملجأ لإطعام الفقراء والمحتاجين وهذا مـــا كانت تقوم به الزاوية التجانية في كل موســـم من شهر رمضان، حيث يدعى ذلك بالمونـــة وهـــي ســـنوية مواظب عليها كل عـــام[4].

كما كانت قلـــوب أتباع الطرق في شـــوق مستمر لشيوخهم خارج المنطقة، وهكذا ظل مجتمـــع وادي ســـوف يـــؤثر ويتـــأثر تبعا للعـــلاقات القائمـــة بين الزوايا بوادي سوف والطـــــرق الصـــوفية داخـــل البـــلاد وخارجـــها. ومما سبـــق نجد أن نشاط الزوايـــا غير منحصر في أقاليمها وهذا ما يعـــاكس قـــول بعض الغربيين الذيـــن يزعمـــون أن نشـــاط الطـــرق الصوفية محلي، وبـــوفاة شيـــخ الطريقـــة ينفـــــرد كل مقدم بزاوية على حدى، فيتشكل تبعـــا لذلك عدد كبير من الزوايـــا المشتتـــة الروابـــــط[5]، وهـــذا مخـــالف لمـــا رأيناه سالفا.

2- المساجد والمكتبات :

---

[1] الطيبية : هي طريقة صوفية تأسست بوزان على يد الشيخ عبد الله الشريف المتوفى سنة 1089هـــ / 1678م، وخلفه في مشيخة الطريقة أبناؤه وأحفـــاده منهم مولاي الطيب الذي تنسب إليه لكونه ساهم في ازدهارها حتى سنة 1767. – ينظر أبو القاسم ســـعد الله : **تـــاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 515.

[2] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص ص 94 –95. - C . Cauvet :Notes , p 106.

[3] عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، ص 10.

[4] **لقاء** مع الشيخ العيد غوري، مرجع سابق.

[5] Augustin Berque : Op cit, p 299.

أ - المساجد :

إن تشييد المساجد ظل على الدوام يرتبط بالحياة الدينية للمجتمع منذ قرون بعيدة، فكان مسجد العدواني الذي قيل إنه بني منذ ثمانية قرون، حيث نجد الشيخ العدواني قد عاش في منتصف القرن الحادي عشر هجري وهذا ما يؤكد ذلك، وقد يكون الشيخ العدواني مرمما له فسمي باسمه في بلدة [1]، لتنشط حركة تشييد المساجد على يد شيوخ الشابية منذ بداية القرن السابع عشر مثل : مسجد سيدي مسعود الشابي بالوادي سنة 1600، وهكذا استمر السعي في إنشاء المساجد حتى وصلت نهاية القرن الثامن عشر حوالي عشرين مسجدا[2]، لكن ما يلاحظ عن هذه المساجد أنها بسيطة في عمارتها لبساطة العمران المحلي.

أما في القرن التاسع عشر فقد شهد إنشاء ستة عشر مسجدا نصفها في الوادي، والأخر متناثر عبر قرى ومداشر سوف. وتحتل قمار المرتبة الثانية من حيث عدد المساجد، حيث وصل عددها نحو أربعة مساجد، وقد بلغ العدد الإجمالي لها بوادي سوف في نهاية القرن التاسع عشر حوالي ستة وثلاثين مسجدا[3]، ليتضاعف هذا العدد خلال النصف الأول من القرن العشرين[4]، حيث شهدت المنطقة استقرار كثير من الرحل الذين راحوا يكوّنون تجمعات سكانية مثل نزلة الحمايدة بالجنوب الشرقي من الوادي محاذية لعميش، وقد أنشئت حوالي سنة 1920، حيث أقامها أولاد " حدأ "، وبعض عائلات أولاد " بأي "، وشيد بها مسجد[5]. كما ارتبطت المساجد بالطرق الصوفية التي شيدت بمحاذاة زواياها مساجد للصلاة والذكر، وقراءة القرآن الكريم، وهذه المساجد عديدة بتعدد الزوايا فنجد مسجد زاوية الشيخ "محمد الإمام" بالرباح التابعة للطريقة القادرية، ومسجد الشيخ الهاشمي الشريف بزاوية عميش، ومسجد الزاوية التجانية بقمار الذي بناه الشيخ " محمد العيد التماسيني " سنة 1261هـ / 1845م[6]، ومسجد سيدي سالم الذي بني بعد إتمام الزاوية العزوزية (الرحمانية) بعشر سنوات – أي حوالي 1830– ليشيد مسجد مقدم الطريقة العزوزية بقمار سي سعيد سنة 1890[7].

وقد كانت كل مدينة أو قرية تحتفي بمسجدها العتيق حيث يحظى بالمكانة الهامة المميزة له عن غيره من مساجد البلدة، وهذا بإقبال المصلين عليه لأنه يتميز بهالة العتاقة والبركة، وهذا لحث الفقه الإسلامي على عدم

---

(1) André Voisin : Op cit, p 118.

(2) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 173.

(3) علي غنابزية : المرجع السابق، ص ص 173 - 174.

(4) Bataillon : Op cit, p 68.

(5) **لقاء** مع محمد باي، مرجع سابق.

(6) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة**، ص 43.

(7) André Voisin : Op cit, p 55.

إقامة صلاة الجمعة في غير المسجد العتيق إلاّ إذا ضاق هذا الأخير بالمصلين، لكن هذه الهالة لم تمنع من إقامة بعض المساجد بالقرب من المسجد العتيق مثل ما حدث بقرية كوينين حينما شيّد بها مسجد سنة 1634 من طرف أتباع الطريقة التجانية وما حصل سنة 1792 أن أقام إخوان الطريقة العزوزية مسجدا آخر يدعى المسجد " القيلاوي "، حيث لا يفصله عن المسجد الأول إلاّ الشارع[1]. وتعود كثافة وسرعة بناء المساجد خاصة في القرن العشرين لعوامل عديدة منها : - الحماس الديني والعاطفة الشديدة لدى الأهالي.

- الرغبة والنية في الحصول على الأجر.
- التعصب للعرش أو للطرق الصوفية.
- التنافس بين الطرق الصوفية.

وهذا يبرز في عدة مناطق بوادي سوف، فعلى سبيل المثال نأخذ ثلاثة أحياء من الوادي وهي : حي الأعشاش والمصاعبة، وأولاد أحمد، التي تقع في محيط جغرافي لا يتجاوز بعض الكيلومترات، غير أن عدد مساجدها حتى نهاية القرن التاسع عشر بلغ تسعة مساجد أكثرها بحي الأعشاش الذي يحوي خمسة مساجد وهي : مسجد سيدي سالم التابع للطريقة العزوزية. أما المسجد الثاني فقد أقامه بعض أتباع الطريقة العزوزية، وهو مسجد الحسيني نسبة إلى الشيخ الحسين بن علي بن عمر الطولقي[2]، وقد استقدمه أولاد سي موسى موساوي ليدرس بالمدرسة القرآنية فيه. كما أرادوا تحويل هذا المسجد إلى زاوية عزوزية لكن قائد الأعشاش " محمد العيد بن موسى " عارض ذلك ومنعهم لوجود زاوية سيدي سالم[3]، ليظل المسجد على حاله منذ 1870. أما المسجد الثالث هو مسجد العزازلة الذي أقيم هو الآخر سنة 1870[4]، وهو نسبة إلى قبيلة العزازلة، حيث نجد أن أكثر رواده أتباع الطريقة التجانية، أمّا المسجدان الآخران فهما مسجد سيد المسعود الشابي العتيق، ومسجد أولاد خليفة الذي شيد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهكذا كان حال تشييد المساجد الذي ظل يتزايد انطلاقا من العوامل السابقة الذكر رغبة في الحصول على الأجر أو المباهاة.

أما الدور الذي كان يلعبه المسجد هو أنه كان دوما عامرا بالقرآن الكريم تدريسا وتحفيظا في النهار وطرفا من الليل، ومذاكرة من طرف الكبار في إطار حلقة الحزب وهي حلقة يجتمع فيها حافظوا القرآن الكريم

---

[1] المولود سنة 1246هـ / 1830م بطولقة. - ينظر علي الرضا الحسيني : **محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره**، الدار الحسينية، تونس، 1997، ص ص 70 – 71.

[2] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 174.

[3] André Voisin : Op cit, p 118.

[4] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 154.

وغيرهم قصد تلاوة جزء منه، وهذا طوال أيام السنة ليختم القرآن مرة في نهاية كل شهر قمري. كما كانت تعقد به جلسات لتدريس العلوم الشرعية من قبل الأئمة وكبار العلماء بالجهة. بالإضافة إلى إقامة الاحتفالات الدينية المعروفة مديحا ونثرا، وهكذا كانت المساجد أكثر أهمية لاستقطاب كل فئات المجتمع واستيعابها لمختلف النشاطات الثقافية.

ب -المكتبات : إن الوضع الثقافي الذي كان يعيشه المجتمع السوفي أثر على استقرار وبقاء هذه المكتبات، حيث غلب عليها التلف والإهمال خاصة المكتبات الأهلية، وقد اختلفت هذه المكتبات من حيث طبيعتها ومهامها، والأهداف التي أنشئت من أجلها، وهي إما أهلية خاصة أو فرنسية عامة، أو عسكرية وهي كالآتي :

*- : **المكتبات الأهلية :** وادي سوف منطقة آهلة بالحياة منذ قرون بالإضافة إلى كونها معبر للقوافل المتعددة الاهتمامات مما جعل أهاليها يكونون نقلة لوسائل الحضارة، كالكتب والرسائل، والورق والأفكار الدينية[1]، هذا ما جعل وادي سوف تشهد حيوية كغيرها من الحواضر الجزائرية، ولو بشكل نسبي مما شجع بعض الأهالي على الأخذ بأسباب السعي إلى التعلم، وهذا المسعى كان دوما يحرض على الأخذ بالأمور الضرورية للعملية التعليمية، ومن هذه الضرورات الكتاب بدءا بكتب القرآن الكريم، ثم كتب العلوم الأخرى، فكان حضور المكتبات الأهلية ضرورة حضارية أملتها الظروف المتعاقبة، لهذا أنشئت، وهذه المكتبات بدورها تنوعت كالآتي :

- مكتبات الزوايا والمساجد :

إن الزوايا بوادي سوف هي من أهم الأطراف المشكلة للمكتبات، حيث كانت جل مكتبات الزوايا تضم عدة مخطوطات أغلبها ينحصر في القرآن الكريم أو الفقه، وغيرها. فهي بهذا مكتبات بسيطة، وهذا حتى أواخر القرن التاسع عشر لكن لدى الزوايا الأم كزاوية قمار التجانية وزاوية سيدي سالم العزوزية، فإنهما كانتا زاخرتين بمكتبتين كبيرتين، وهذا في فترة مشيخة كل من الشيخ محمد العروسي شيخ زاوية قمار التجانية، والشيخ محمد الصالح شيخ زاوية سيدي سالم، وهذا لكون هاتين المكتبتين مازالتا تحتفظان بكتب ومخطوطات خاصة زاوية قار، والتي عرفت مكتبتها بالمكتبة "العرفانية" التي أسست بقمار سنة 1300هـ/1882م[2]. كما نجد مكتبة بالزاوية القادرية غير أنها أقل شأنا من المكتبة العرفانية، وقد ازدهرت مكتبة الزاوية القادرية في عهد الشيخ عبد العزيز الشريف، وأيضا مكتبة زاوية الرباح في فترة الشيخ محمد الإمام الشريف. أما مكتبات

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 172.

[2] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 163.

المساجد فقد كانت تشتمل على المصاحف فقط، وهذا خاصة بعد ظهور الطبعة الثعالبية للمصحف الشريف سنة 1931، وقد كانت توضع هذه المصاحف إما على رفوف مبنية من الجبس أو في خزائن حائطية رفوفها من الجبس، أو في خزائن من الخشب صغيرة الحجم.

- المكتبات الأهلية الخاصة :

إن المكتبات الخاصة للأهالي تختلف باختلاف المكانة الاجتماعية لأصحابها، وهذا منذ القرن التاسع عشر، حيث اتسمت بالبساطة وقلة عدد الكتب[1]، لكن في بداية القرن العشرين عرفت هذه المكتبات تطورا وتزايدا بحسب تزايد المهتمين بالعلم والتعلم، مما زاد في الكتب والعناوين خاصة كتب المطابع الحجرية، ومن هذه الكتب نجد منها من كانت طباعته في العقد الأول والثاني، والثالث من القرن العشرين. والسبب في ذلك قد يعود إلى انتشار المطابع وتزايد المتعلمين بالزيتونة.

ومن أهم هذه المكتبات الخاصة نجد مكتبة إبراهيم بن عامر[2]، كما نجد مكتبة أحفاد الشيخ " خليفة ابن الحسن القماري "، ومكتبة الحاج " علي بن القيم " ومكتبة " أحمد بن أبي ضياف التاغزوتي "[3]، ومكتبة القاضي " محمد الشريف المصعبي " ومكتبة " إبراهيم بن عمر الزقيمي "[4]، بالإضافة إلى مكتبة الشيخ "محمد ابن البّرية" ومكتبة الشيخ " الطاهر العبيدي " ومكتبة الشيخ " أحمد العبيدي "[5]، ومكتبات عديدة خاصة بعد ظهور نخبة كبيرة من الدارسين بالزيتونة.

أما عن ترتيبها وتنظيمها فلم تكن تخضع لتنظيم علمي دقيق إلا عند بعض الأشخاص. وكان في الغالب يخصص لها ركن بإحدى الغرف وذلك ببناء بعض الرفوف من الجبس على امتداد أحد جدران الغرفة، أو تخزن في صناديق من خشب، لكن في الثلاثينات بدأ الأهالي يقتنون خزائن خشبية قصد استعمالها كمكتبات[1] وذكر لي السيد البشير جبالي أن والده الشيخ علي القيم بمسجد سيدي المسعود الشابي بالوادي اقتنى خزانة لأخيه عبد الباقي حتى يستغلها للكتب، وقد كانت تحوي عددا معتبرا وهذا سنة 1935، وهذا

---

[1] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 163.

[2] الجيلاني العوامر : " أعمال العلامة إبراهيم بن محمد الساسي العوامر "، **الندوة الفكرية الرابعة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 30 أفريل – 01 – 02 – 03 ماي 1991، ص 41.

[3] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص ص 387 – 392..

[4] محمد الساسي معامير : **التقويم الجزائري العام لسنتي 1345هـ / 1927م**، نشر المكتبة التونسية، مطبعة النجاح بتونس، تونس، 1345هـ / 1927م، ص 346.

[5] **لقاء** بالشيخ البشير جبالي يوم الأحد 19 ربيع الأولى 1425هـ / 09 ماي 2004م بمسجد الأمين العمودي.

[1] **لقاء** بالشيخ البشير جبالي، مرجع سابق.

مرتبط بالوضعية الاجتماعية والثقافية لصاحب المكتبة، ورغم هذا لم تسلم المكاتب الخاصة من عوامل عديدة حالت دون بقائها محافظة على ما بها من كتب، لكونها عرضة للتخريب والإهمال[2].

**- المكتبات الفرنسية:

إن ظهور المكتبات الفرنسية بوادي سوف كان منذ الإستقرار النهائي للفرنسيين بالمنطقة - أي منذ 1882 - وهذا لكون الكتاب كان ملازما للفرنسيين، فهو دليلهم في التعرف على الواقع الحضاري للسكان، كما كان الكتاب يمثل الزاد لدى جميع أفراد المعمرين من الضباط وصف الضباط، وبعض الجنود والعمال الإداريين، ورجال الدين المسيحي، والمشتغلين بسلك التعليم والتمهين، لهذا كان ضروريا تكوين مكتبات عديدة حتى تكون في متناول كل أفرادهم إذا ما احتاجوا لذلك وهي كالآتي :

- مكتبة " ملحقة " الوادي :

وتضم هاته المكتبة كتب عديدة منها : تاريخ الجزائر وثوراتها الشعبية[3] والتاريخ الثقافي والاجتماعي، والسياسي. كما كانت تحوي كتبا باللغة العربية وأهمها كتاب العدواني في شكله المخطوط، وغيره من الكتب التراثية[4]، وقد ختمت بعض هذه الكتب بعبارات "مكتبة بيرو-عرب بالوادي " وفي هذه الأختام أضيفت عبارة ملحقة الوادي[5].

- مكتبة الحامية العسكرية بالوادي :

أنشأ الضباط الفرنسيون مكتبة خاصة بهم وهذا حسب الأختام المسجلة على الكتب، حيث كانت هذه المكتبة بمقر تجمعهم بالوادي، وقد يكون ذلك المكان أشبه بالنادي. وقد شملت هذه المكتبة على كتب هامة يمكن تصنيفها كالآتي[6] :

-كتب تختص بالحروب والمعارك التاريخية. -كتب تختص في فن قيادة الأفواج والفرق العسكرية. -كتب تتناول تاريخ الحضارة الفرنسية. - كتب حول الولايات المتحدة الأمريكية وتاريخ نشأتها. - كتب القصص والملاحم والسير.

---

[2] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 164.
[3] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 164.
[4] محمد العدواني : المصدر السابق، ص 36.
[5] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 164.
[6] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 165

بالإضافة إلى المكتبات الخاصة التي كان المعمرون يسعون لإنشائها في بيوتهم ومكتبة الكنيسة التي كان رجال الدين القساوسة يستعملونها من أجل أغراء بعض الأهالي من جهة، والاستفادة منها لصالحهم من جهة أخرى. وهذا كله في إطار حملات التبشير والتنصير.

3 - التعليم :

إن طبيعة المجتمع السوفي التواقة دوما إلى تحسين المستوى التعليمي جعلته يسعى جاهدا للبحث عن السبل الأكثر نجاعة لتطوير الأداء والتحصيل العلميين، لهذا نجد الدور الذي لعبته الطرق الصوفية في مختلف أرجاء الإقليم الأخرى[1]، حيث سعت جاهدة إلى توسيع رقعة التعليم لتشمل عددا كبيرا من فئات المجتمع، لكن منذ الاحتلال حاول المستعمر التظاهر بملمح التحضر وذلك في محاولة إدخال التعليم المنظم، لكن الأهالي ظلوا متحفظين منه، وعليه نجد أن التعليم بوادي سوف شهد ثلاثة أنواع هي :

أ - التعليم القرآني :

يعد التعليم القرآني التعليم الأكثر انتشارا في كامل أنحاء القطر الجزائري خلال القرن التاسع عشر[2] خاصة بوادي سوف، حيث انتشر وراج بفضل المؤدبين والزوايا[3]، وهذا حسب ما عبرت عليه الكاتبة الفرنسية " سيللي ميللي " بقولها : « ...ليس من الغريب أن نجد واحدا مقابل عشرة يحفظ القرآن كله بوادي سوف بينما في باقي إفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة محصورة في الطلبة وبعض الخواص بنسبة واحد من الألف...»[4].

وقد كان تواجد هذه المدارس والكتاتيب كثيرا جدا، حيث لا يخلو حي بقرى ومدن وادي سوف من مدرسة قرآنية على الأقل، وهي في تدريسها مشابهة لباقي البلدان الإسلامية الأخرى[5]، وقد تكون هذه المدارس تابعة للمساجد أو منفصلة عنها [1]. كما كانت بعض العائلات تشيد مدارس قرآنية مثل مدرسة القروي بالجهة الشمالية من حي الأعشاش التي أسست في حدود 1890 من طرف رجل فلاح وتاجر يدعى

---

[1] فاني كولونا : " مثقفون في الأطراف "، **من كتاب الأنتلجانسيا في المغرب العربي**، إشراف عبد القادر جغلول، ط 1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص ص 280 – 281.

[2] محمد العربي الزبيري : **التجارة الخارجية**، ص 48.

[3] أحمد توفيق المدني : **كتاب الجزائر**، ص 226.

[4] J . Scelles Millie : Op cit, p 24.

[5] C . Cauvet : Op cit, p 106.

[1] Ahmed Nadjah : Op cit, p 108.

" محمد القروي بن علي "[2].

وتأثيث هذه المدارس بسيط حيث يجلس الأطفال على حصائر أو أفرشة محدودة الامتداد في فصل الشـــتاء، ولكل طالب لوح من الخشب [3]. بالإضافة إلى الطين الذي يمحى به اللوح بعد حفظ ما به من قرآن.

أما أدوات الكتابة فهي بسيطة تحضّر محليا وهذه المواد هي الصمغ المحروق مع طحنه ثم توضع كمية منه في قاع دواة مع شيء من الصوف والماء، فيصير مدادا للكتابة، ويوضع لذلك قلم مبري من قصب الـــديس[4]، كما يفرض على كل طالب امتلاك نسخة من المصحف تحفظ كلها في " مخلاة " صغيرة الحجم تصـــنع مـــن الصوف أو الكتان. أما المؤدب أو المعلم فيدعى " الطالب " أو " سيدي "، وهو شخص متواضع لا تحدد لـــه أجرة– أي راتب - إلاّ ما يقدمه الأطفال أو آباؤهم عند مناسبات مرتبطة بالتعليم ومراحله وهي :

- " الفتوح " عادة يكون من التمر أو الطعام الذي يحمل إلى الكتّاب عند دخول الطفل أول مرة للكتاب.

- " الختمة " وهي ختمة جزء من القرآن أو حزب منه وجعلت لها صورة ثابتة.

- " الحَضور " وهو كمية من الحطب يحضرها كل صبي في الشتاء لتجفيف الألواح الممحوة، أو للتدفئـــة، وقد يحملها الطالب إلى بيته للاستفادة منها في الكثير من الشؤون الخاصة ببيته.

- " الأربعية " وهي قيمة مالية يقدمها الصبيان كل يوم أربعاء من كل أسبوع يختلف مقـــدارها حســـب المستوى الاجتماعي والاقتصادي لكل صبي.

- " لعبار " و" اللحمة " وهو شيء من القمح واللحم يقدم للطالب المؤدب في عيد رجب أو شـــعبان، أو ليلة القدر أو عاشوراء، أو المولد النبوي. وفي عيد الفطر تمنح له بعض الألبسة أما في عيد الأضحى يمنح كسوة وقندورة، وشاش [5]. أما في فصل الخريف فيقدم له شيء من التمر بعد جني الغلة[6].

---

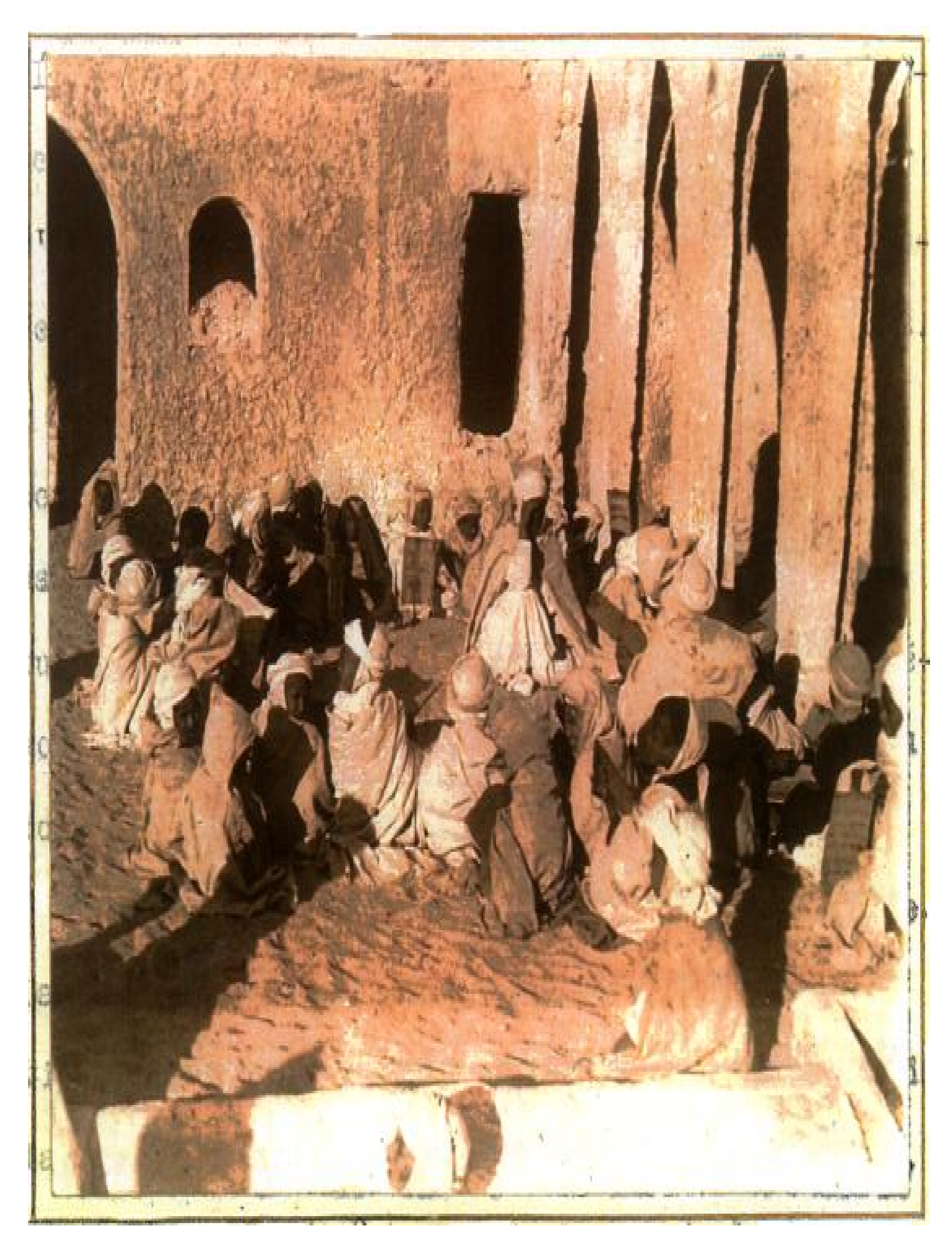
[2] **لقاء** مع الشيخ محمود القروي بن محمد القروي بن علي، بمترله مساء يوم 04 جمادى الثاني 1424 / 02 أوت 2003

[3] Ahmed Nadjah : Op cit, 108.

[4] Andrée Voisin : Op cit, p 190.

[5] علي غنابزية : المرجع السابق، ص 150.

[6] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 49. – C . Cauvet : Notes, p 14.



كتّــاب زاويــة سيــدي ســالم سنة 1926.

المصدر:

(Germine et Gean et Pierre) Tomas : **Souvenirs de notre d'Algérie jusqu'à El-oued 1925 -1926,** (manuscrit)**.**

وقد كانت لهذا التعليم قواعد وأسس تعارف عليها المؤدبون جيلا بعد جيل وفق ما يقتضيه الوقت.

ب - تعليم المعاهد الإسلامية :

إن تعدد مهام العلماء بوادي سوف خلال مطلع القرن العشرين لم يمنعهم من تعليم كبار السن المبادئ الدينية، وأصول العلوم الشرعية واللغوية، وهذا من خلال المساجد والزوايا بالإضافة إلى بيوتهم، حيث كانت مقصدا لطلب العلم. وقد عملت بهذا الأسلوب بعض الطرق الصوفية من خلال زواياها، كالزاوية القادرية بعميش التي فتح فيها الشيخ الهاشمي الشريف مدرسة مشابهة لزاوية سيدي المولدي بو عرقية بتوزر حيث استقدم إليها علماء المنطقة، لتتطور في عهد ابنه وخليفته الشيخ عبد العزيز الشريف.

وقد كانت في تلك الأثناء ثلاث حواضر علمية ضمت كل حاضرة ثلة من العلماء البارزين بالمنطقة وهي :

- **حاضرة الوادي :** وبهذه الحاضرة نجد كلا من :

الشيخ " محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى " (موساوي) المولود سنة 1290هـ / 1873م[1]، وهو عالم زاهد كانت له إسهامات معتبرة في التعليم بكل من وادي سوف وتوقرت، وقد توفي في 17 ذي الحجة 1322هـ / 1904م[2].

الشيخ " عبد الرحمان العمودي "، وهو عالم زاهد اشتغل بالقضاء، وهو متصوف[3] غير انه اشتهر بالتجوال والتنقل، فتولى القضاء بكونين. كما كانت بينه وبين الشيخ " المكي بن عزوز " مراسلات تدور حول قضايا عديدة من أمور الدين والحياة وهذا للرابطة القوية بينهما، وقد توفي الشيخ عبد الرحمان سنة 1327هـ / 1910م بوادي سوف[4].

الشيخ " علي بن صابر " كان عالما متسما بالورع والصلاح قد ذكره الشيخ " محمد المكي بن عزوز " في قائمة من أجازوه من العلماء الجزائريين، وأنه اخذ عليه **" صلوات ابن ملوكة التونسي "**[5]، وهو كثير الترحال بين الجريد التونسي ووادي سوف، وقبل الحرب العالمية الأولى هاجر إلى المدينة المنورة وهناك وافته المنية.

---

[1] علي غنابزية : نفس المرجع، ص ص 152 – 153.
[2] مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 20.
[3] إبراهيم العوامر : **البحر الطافح**، ص 36.
[4] مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 20.
[5] علي رضا الحسنسي : المرجع السابق، ص 40.

- حاضرة قمار :

وتعد هذه الحاضرة من أكبر الحواضر التي حوت بين أطرافها عددا لا يستهان به يمكننـــا الوقــوف علـــى شخصيتين هما :

الشيخ " أحمد دغمان "[1] : هو أحمد بن محمد دغمان المولود بقمار انتقل إلى الجريد التونسي، وقد يكون درس في زاوية نفطة الرحمانية، ليواصل درسته بجامع الزيتونة وقد يكون ذلك أوائل الاحتلال الفرنسي لوادي سوف سنة 1954، ليمكث مدة معلما بالكاف التونسي، ثم عاد إلى قمار وفيها تولى القضـــاء في الزاويـــة التجانية هناك حيث بقي أربع عشرة سنة، ليتول بعدها القضاء بالوادي خلال 1293 – 1295هـــ. توفي الشيخ سنة 1308هـــ / 1890م[2]، له " **الإجابة بحسم خلاف أسوأ السوأى في الكتابة** "[3]. وقد تتلمذ على يده جيل من الطلبة.

- الشيخ " أحمد سالم " : وهو الملقب بالقاية ولد حوالي 1257هـــ / 1842م كان له دور هـــام في تعليم القرآن والفقه، وقد تتلمذ على يده عدد كبير من الطلبة، وهذا لتعليمه مبادئ علوم العربية في قمار وقد توفي سنة 1927[4].

- حاضرة الزقم : ونجد بها :

- الشيخ " إبراهيم بن السّلمي "، وهو شيخ ذو شهرة داخل الصحراء وبلاد التـــل، لكونـــه فطـــن وذو غـــزارة في العلم، وقد كان له دور في تعليم الناشئة بالزقم، وقد توفي سنة 1333هـــ / 1914م[5].

وهكذا كانت وادي سوف تزخر بكم هائل من العلماء الذين قاموا بدور التعليم والتدريس الـــذي يعـــد تعليمهم بتعليم الفترة المستنيرة (1880 – 1914)[6]، بالإضافة إلى الوعظ والإرشـــاد دون أن ينســـوا أدوارهم الأساسية المتمثلة في غالب الأحيان في الاشتغال بإحدى الوظائف الإدارية كالقضاء بالمحاكم الشرعية أو أئمة مساجد، أو أصحاب حرف كالزراعة والتجارة، وبعض الحرف التقليدية أو مهنـــة نســـخ الكتـــب

---

[1] عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ط 1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971، ص 27.

[2] محمد الطاهر التليلي : من تاريخ وادي سوف، ص 77. - أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص ص 498 -499.

[3] عادل نويهض : المرجع السابق، ص 27.

[4] محمد الطاهر التليلي : من تاريخ وادي سوف، ص 97.

[5] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 154.

[6] أبو القاسم سعد الله : " مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي (1830 –1954م) (دراسة مركزة على الجزائر) "، **مجلـــة الثقافـــة**، العدد 79، الجزائر، يناير – فبراير 1984، ص ص 71 – 77.

للارتزاق منها دون إهمال دور التعليم، وتخصيص فترة أو أكثر في اليوم للمتعلمين الصغار منهم أو الكبار، وهذا انطلاقا من قوله(ع) : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه ابن ماجة[1]، ليبرز في ما بعد جيل من الشيوخ الذين تتلمذوا على يد تلك الفئة، فأصبحوا يمثلون المدرسة الإصلاحية نتيجة التحاق الكثير منهم بجامع الزيتونة الذي ترك فيهم الاثر الفاعل رغم بقاء بعضهم محافظا على توجهه الطرقي الصوفي، لكنه توجّه اكثر تهذبا مع رفع مستويات تعليمهم الذي أصبح فارضا لنفسه بالقوة، أو تورية وتقية نتيجة الوضع السياسي من جهة، والوضع الاقتصادي والاجتماعي من جهة أخرى.

ج - التعليم الفرنسي :

إن التعليم الفرنسي جاء محاولة لاستيعاب أكبر عدد من أبناء المنطقة، وإعدادهم لوظائف يترفع عنها المعمر أكثر منها عملا تثقيفيا للأهالي، وهذا مثل ما وصفه العديد من الإصلاحيين على أنه تعليم لا يرقى إلى تطوير الشخصية الجزائرية، حيث حاول الاستعمار دوما منذ تواجده بالبلدان العربية المراهنة عليه قصد التحكم في طبيعة ومستوياته، لأنه يعتبر أخطر التحديات[2]. بالإضافة إلى جعل هذه البلدان بمثابة المخزن الذي يمده باليد العاملة، حيث لا يتطلب في تحضيرها الجهد الكبير بل تتطلب مستويات متواضعة. وقد تمّ فتح أول مدرسة بمدينة الوادي، وأطلق عيها اسم " مدرسة الأهالي "[3]، وكان فتحها مع بداية الموسم الدراسي 1886[4]، لكن ما لوحظ على عدد المتمدرسين أنه ظل يتزايد موسما بعد آخر، ففي الموسم الأول بلغ العدد ثمانية متمدرسين جل آبائهم يشتغلون بالإدارة الفرنسية، ليزيد عددهم بعد أربعة مواسم دراسية – أي الموسم الدراسي (1889 - 1890)– إلى أثنى عشر تلميذا[5]. ووصل عدد المتمدرسين سنة 1900 إلى 278 تلميذا ، حيث تتراوح أعمارهم بين الخمس إلى الست عشرة سنة، وأغلب هؤلاء التلاميذ تتراوح أعمارهم ما بين التسع إلى الإثنى عشرة سنة[6].

أما المدرسة الثانية التي أنشأها المستعمر فكانت بقرية كوينين بعد ثمانية أعوام من مدرسة الأهالي بالوادي؛

---

(1) ابن ماجة : **سنن ابن ماجة (207 – 275هـ)**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج 1، دار احياء التراث العربي، (د – ب)، 1395هـ / 1975م، ص ص 76 – 77.

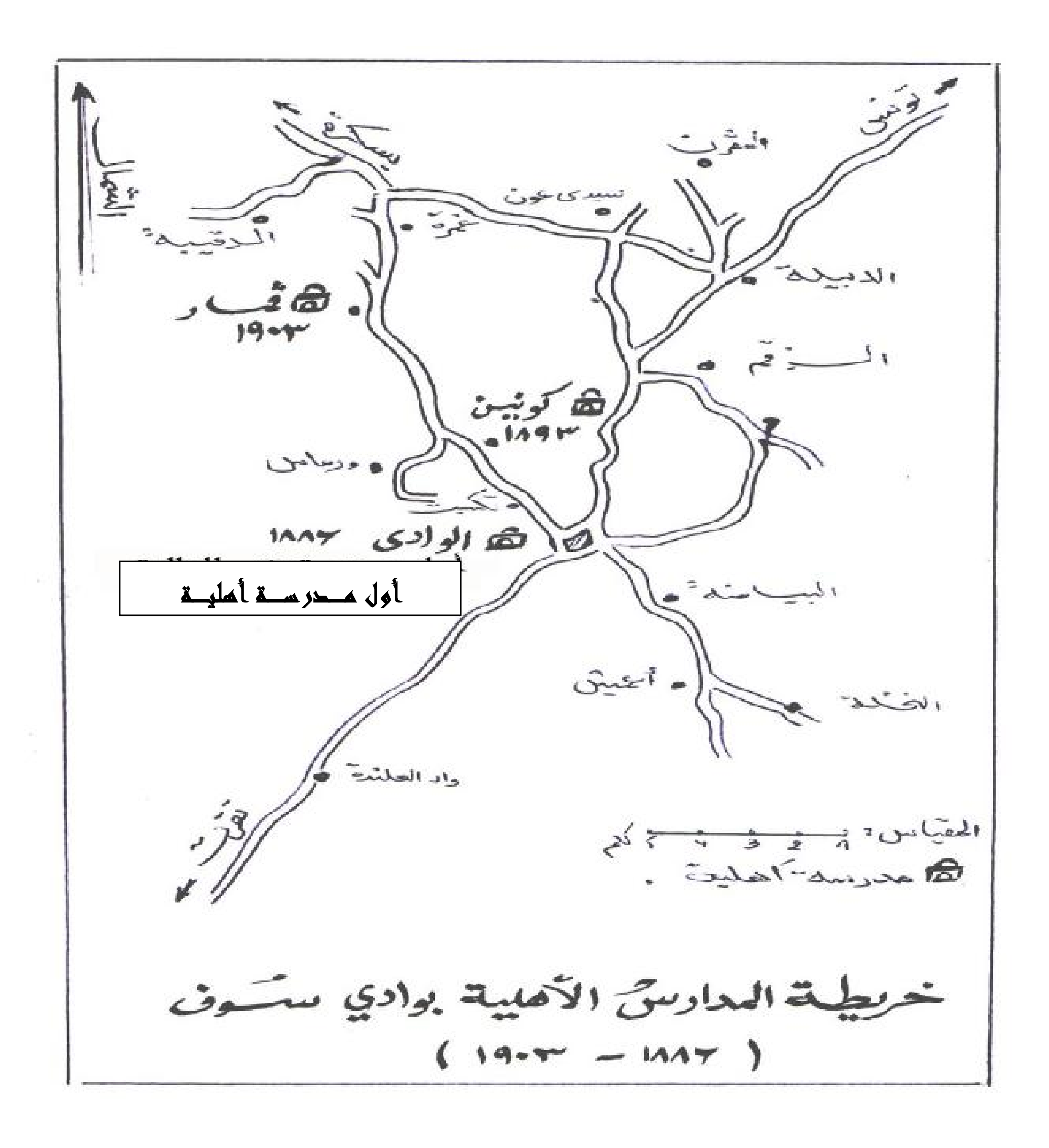
(2) أنور الجندي : **عبد العزيز الثعالبي رائد النهضة الإسلامية (1879 – 1944)**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ / 1984م، ص ص 46 – 49.

(3) Ahmed Nadjah : Op cit, p 109.

(4) علي غنابزية : المرجع السابق، ص ص 155 – 156.

(5) Ecole d'indigènes d'El-Oued, **Registre des élèves admis à l'école de 1886 á 1904**, Archives de l'école du chahid Mihi Mouhamed Belhadj , El –Oued.

(6) Ibid.



المراجع : 1)عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص 04.

2)سجلات مدرسة الوسط للبنين الشهيد " ميهي بالحاج " بالوادي 1886 – 1904.

3) سجلات المدرسة الابتدائية الشهيد " أحمد مولاتي " بكونين 01 أكتوبر 1921.

4) André – Roge Voisin : **Le Souf Monographie**, Lu et révisé par Ali Abid, El-Walid Editions,El - Oued, 2004, p 271.

أي حــوالي 1893،غير أن وثائق المدرســة قد أتلفت حيث سجلت عبارة دلت عن ذلــك مســجلة بالقلم في السجــلات المتأخــرة[1]. أما بقمار فقد أسست المدرسة الثالثــة حوالي 1903، حيث احتوت على ثلاثة أقســام[2]، فكــانت هذه المدرســة هي آخر مدرسة تنشئها الإدارة الاســتعمارية حــتى ســنة 1939. وهكذا استمرت محاولات التقرب من الأهالي، لكن هذا التعليم ظل منحصرا في مرحلــة التعلــيم الابتدائي.

ثانيا - عوامل نشأة الحركة الإصلاحية بوادي سوف :

إن نشأة الحركة الإصلاحية صاحبها تأثيرات عديدة وعوامل جمة كان من أهمها بوادي ســوف الهجــرة والتعليم، وكلاهما ساهم أيما مساهمة في بناء صرح الإصلاح بالإقليم. لما لعبه كل منهما في التأثير على الوضع الثقافي والاجتماعي، باعتبار المنطقة كانت دوما في حاجة ماسة إلى رفع مستويات الإصلاح نتيجــة الوضــع الاجتماعي الذي كان يحياه سكان المنطقة، بالإضافة إلى السياسة الاستعمارية المجحفة في حق الجزائريين.

ومن هنا كانت عوامل نشأة الإصلاح عديدة من أهمها الهجرة خاصة إلى البلاد العربية. والتعلــيم الــذي ساهم بجميع أصنافه في بناء المثقف الواعي الذي أدرك منذ الوهلة الأولى الدور المنوط به، حتى يستطيع رفــع مستويات التحدي انطلاقا من عامل المعرفة للإطلاع على وضع البلدان العربية والإسلامية. وهكذا تفاعلــت هذه العوامل مع بعضها انطلاقا من مبدأ التأثر والتأثير، فما كان عليها إلا المساهمة في بناء وضع اجتماعي بات مؤهلا إلى رفع لواء الإصلاح على مستوى العديد من المراحل التي شهدها هذا التغير.

1 - الهجرة ودورها في ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة :

إن حياة الجزائري منذ الاحتلال أصبحت حياة لا تطاق نتيجة الأوضاع التي آلت إليها البلاد مما حمل الكثير من الجزائريين على التفكير في الهجرة، حيث كانت تمثل شكلا من أشكال المقاومة التي اتخذها الجزائريون وهي مقاومة سلبية[3]. ومع هذا كان نشاط الهجرة واسعا جدا، رغم اختلاف وجهات النظر الفرنســية بالنســبة للهجرة الجزائرية، فمنهم من حبذها وشجع حكومته على تسهيل الإجراءات الضرورية لها، ظنــا منــهم أن

---

(1) Ecole primaire préparatoire de garçon de kouinine, **Registre Matriculaire des élèves de l'école du 1ere Octobre 1921**, Archives de l'école de Chahid Ahmed Moulati de Kouinine, El – Oued.

(2) عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص 04.

(3) أبو القاسم سعد الله : " خصوصيات **الحركة الوطنية** الجزائرية "، **محاضرة**، مخبر العلوم التاريخية والفلسفية، كلية الآداب والعلــوم الإنســانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الأحد 25 صفر 1424هـ / 27 أفريل 2003م.

الأهالي لا محالة عائدون إلى الجزائر عاجلا أم آجلا، وسينشرون بين الناس أخبار متاعبهم وما تعرضوا له من تعاسة ومشقة، وأتعاب في البلدان التي هاجروا إليها، ومن الفرنسيين الرسميين من رأى في حركة هجرة الأهالي نحو البلاد العربية فرصة سانحة للتخلص منهم بالأخص الفقراء ذوي الدخل المحدود، وبعض العناصر المشاغبة التي في اعتقادهم تضر أكثر مما تنفع البلاد[1].

أما رأي الكولون تجاه هجرة الأهالي انقسم إلى اتجاهين. أولهما كان مشجعا للهجرة، وذلك قصد الاستيلاء على أراضي الجزائريين. أما أصحاب الرأي الثاني كان معارضا ورافضا لهجرة الأهالي، لأنه رأى في هجرتهم فقدان لليد العاملة الرخيصة واعتبرها خسارة لا تعوض[2]، وهذا الموقف أيده السيد " لوسياني " في تقريره الذي حمل تاريخ 4 ديسمبر 1899 المتضمن أسباب ودواعي هجرة 1898-1899[3]. وهذا التقرير واحد من بين التقارير التي حاولت التطرق إلى الهجرة مع حصرها في مناطق محدودة، كي لا تؤلب الرأي العام الفرنسي وألا تحدث هلعا في أوساط المسؤولين الفرنسيين، لكن رغم تلك السياسات التي طالت الأهالي ظلت المحاولات قائمة قصد التخلص من كل التبعات، فالسيد لوسياني يحاول رصد دوافع وأسباب يحمّل من خلالها الأهالي تبعية مغبّة الهجرة[4] دون أن يقف على الدوافع والأسباب الحقيقية، فهو لا يتخلى عن ذاتيته الفرنسية.

لكن ما نقف عنده من دوافع وأسباب هجرات الأهالي هي مغايرة تماما لما جاء في تقريره ومن هذه الدوافع والأسباب نجد التصريحات التي أدلى بها الكثير من المؤرخين وأصحاب القرار في الحكومات الفرنسية المتعاقبة، ومن بينهم "دي دوفيل" الذي يعد أفضل مترجم لحياة بيجو وكان ذلك سنة 1882 صرح : « إن الفضل الأكبر الذي ينبغي أن نعترف به لبيجو هو أنه أدرك بأننا لا نواجه جيشا حقا. بل نواجه السكان أنفسهم، وأنه لابد لكي نستقر في مثل هذا البلد، أن لا يقل الجيش في حالة السلم عما هو عليه في حالة الحرب من حيث العدد والعُدة. »[5]. وعلى إثر هذا التصريح يتضح أن السياسة الاستعمارية كانت قائمة على محاور خمس كان أهمها التهجير، وهي وضع ظل يعيشه الأهالي دون هوادة، إلى أن تغيرت نظرة المستعمر للهجرة في أواخر القرن 19م، وأصبح ينظر للأهالي على أساس أنهم يمثلون يد عاملة رخيصة لا ينبغي التفريط فيها. بالإضافة إلى أسباب كثيرة دفعت بهم إلى الهجرة نحو المشرق، أو حتى نحو فرنسا نفسها بلاد المستعمر التي أصبح ينظر لها كبلد يمكن الهجرة له ومن هذه الأسباب نجد :

---

[1] عمار هلال : " أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية "، **مجلة الثقافة**، العدد 88، الجزائر، يوليو – أغسطس 1985، ص ص 165 - 166.

[2] عمار هلال : نفس المرجع، ص 166.

[3] يقصد بها هجرة أهالي منطقة وادي الشلف. – ينظر عمار هلال : نفس المرجع، ص 159.

[4] نفسه، ص ص 149 – 168.

[5] مصطفى الأشرف : **الجزائر الأمة والمجتمع**، الترجمة من الفرنسية حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 299.

- الدوافـــع الاقتصـــادية[1] : حيث يتمثـــل هـــذا الدافـــع في واقـــع الممـــارسة الاضـــطهادية الـــتي واجههـــا الأهـــالي انطـــلاقا من سلب الأراضي ومنحهـــا للمعمـــرين نتيجـــة الضـــرائب الهـــائلة تارة، أو سياســـة الاقتـــراض والاستـــلاف المستعمـــلة بطريقـــة ربـــوية تـــارة أخـــرى، مما يجعـــل الأهـــالي يفقـــدون ممتلكـــاتهم[2]، خـــاصة الأرض باعتبـــارها الركيـــزة الأســـاسية التي يعتمـــد عليهـــا الفـــرد في ارتـــزاقه. بالإضـــافة إلى البطـــالة التي أصبحت تحـــدق بالأهـــالي هـــذا كـــــله كافيـــــا لرفـــــع مستـــوى الرغبـــة في الهجـــرة قصـــد كسب القـــوت والحصـــول على شغـــــل يؤمـــــن مـــــوارد أســـاسية يعـــول بهـــا المهاجر أفـــراد أســـرته، وهو الطابع الذي يغلب على المهاجرين من خلال الهجـــرة الموسمية[3].

- الـــدوافـــع التعليميـــة[5] : إن طبيعـــة السياســـة التعليميـــة التي انتهجتهـــــا فرنســــــا، رغـــــم صـــدور قانـــون " جـــول فـــيري " بتـــاريخ 13 فبأـــراير 1883، لقي معارضـــة شديـــدة مـــــن طـــرف المعمـــرين الذيـــن اعتـــبروا أن هـــذا المرســـوم سيـــرفع من مستـــوى الأهـــالي، ويجعـــــلهم يطـــالبون بحقـــوقهم، وأنهـــم سيـــرفعون أصـــواتهم عـــاليـــة مـــــن خـــــلال شعـــــار "الجـــــزائر للعـــرب" إذا مـــا انتشـــر فيهـــم التعليـــم[6] ، وهـــذا مـــا أكـــده المؤتـــــمر المنعقـــــد بعاصمـــــة الجـــزائر سنة 1908 حين صـــوت الكـــولون في صـــالح الـــلائحة التي تخـــــص وقـــــف التعليـــــم الابتـــدائي للأهـــالي باعتبـــاره خطـــرا حقيقيـــا يهـــدد تواجـــدهم[7]، فكـــان هـــذا مـــــن بيـــــن الأسبـــاب الملحـــة علـــى الهجـــرة. وقـــد كـــانت أقـــوى هـــــذه الهجـــــرات هـــــي هجـــــرة الجـــزائريين إلى بـــلاد المشـــرق انطـــلاقا مـــن تـــونس باعتبـــارها حـــاضرة علميـــة زاخـــرة بجـــامع الزيتـــونة المعمـــور.

- الدوافـــع الاجتمـــاعية : تكمن هـــذه الأسبـــاب في الشعور بالمهـــانة التي أصبح يعيشها الأهـــــالي جرّاء الفقـــر والفـــاقة، والتي أضحت هاجســـا يـــؤرق كـــل جزائـــري، فكـــانت فرنســـا أسهل المناطق

---

[2] عبد الحميد زوزو : **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 –1939)**، ط 2، المؤسسة الوطنيـــة للكتـــاب، الجزائر، 1985، ص ص 35 – 46. - تركي رابح : **الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربيـــة والتعلـــيم (1900 – 1940)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د – ت)، ص ص 29 –30.

[3] Rapport sur le Souf : Op cit, p 01.

[4] Jean Pigoreau : **L émigration dan l'Annexe d'El – Oued**, (manuscrit), 1955 ,p 02.

[5] عبد الحميد زوزو : الهجرة ودورها في **الحركة الوطنية**، ص ص 47 – 51.

[6] عبد الحميد زوزو : نفس المرجع، ص 48.

[7] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية** الجزائرية، ج 2، ص 148.

المهاجر إليها، نتيجة وجود قوانين فرنسية مشجعة على ذلك[1].

- الدوافع النفسية[2] : إن التبادل في الرسائل وعودة المهاجرين خاصة من فرنسا كان يصـــحبه الانبـــهار بثقافة الآخر، هذا ما زاد في رغبة الأهالي الذين أصبحوا يتناقلون أخبار ذويهم العائدين من فرنسا، فشـــجعهم ذلك على الهجرة خاصة إلى فرنسا[3].

- الدوافع السياسية [4] : وهي التي تجعل الهجرات اضطرارية قصرية هروبا من البطش والتنكيل، بالإضافة إلى الهروب من القوانين الجائرة ، ومحاولة الأهالي التملص منها.

وقد شملت الهجرة ربوع الوطن بكامله نتيجة السياسة الاستعمارية المتعسفة، فكانت وادي سوف من بـــين المناطق التي عرفت عبر فترات مختلفة موجات هجرة متعددة انطلاقا من الحدود التونسية والليبية، و لم تختلـــف أسبابها عن الأسباب العامة التي عرفتها الهجرة في أرجاء عديدة، رغم محاولات بعض أبناء المستعمر التقليل من حدة السياسة الاستعمارية، لكن مع ذلك تظل السياسة الاستبدادية هي الأساس في تحريض الأهالي على اختيار الهجرة طواعية أو اضطراريا.

أما الهجرة بوادي سوف، فقد تعددت واختلفت في الأسباب عن غيرها من الهجرات في المناطق الأخرى من الجزائر، وهذا حسب ما أكده أحد التقارير الفرنسية للسيد "جون بيقـــرو" " Jean Pigoreau " في 30 سبتمبر 1955 حول الهجرة في ملحقة الوادي وهذه الدوافع هي :

- الواقـــع الطبيعـــي لمنطقـــة وادي ســـوف ومحـــاذاتها للحـــدود التـــونسية مـــن خـــلال منطقـــة الجـــريد والحـــدود الليبيـــة عن طـــريق غـــدامس، بالإضافة إلى ضعف المراقبة الحدودية نتيجـــة الطـــابع الصحراوي الصعب[5].

- الدوافع الدينية التي تشجع أهالي سوف للهجرة إلى البلدان العربية انطلاقا من تونس بخلاف أهل الشمال بالجزائر الذين يفضلون الهجرة إلى فرنسا خاصة بعد الحرب العالمية الثانية[6].

---

[1] تركي رابح : المرجع السابق، ص 30.
[2] تركي رابح : نفس المرجع، ص 30.
[3] عبد الحميد زوزو : الهجرة ودورها في **الحركة الوطنية**، ص 46.
[4] عبد الحميد زوزو : نفس المرجع، ص 46.
[5] Jean Pigoreau : Op cit, p03.
[6] Ibid , p 03.

- الرغبة في تحصيل العلم باعتبار أكثر المهاجرين من الطلبة ومثقفي المنطقة[1].

- الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي أدى بأغلبية السكان خاصة المالكين للحيوانـــات دون النخيـــل، وضعف هذه الحيوانات على توفير بعض متطلبات الحياة ، وبعض الموارد الأخرى[2].

- الوضع السياسي الذي أصبح يسود المنطقة، مما شجع الكثير على الهروب دون مواجهة الحاكم كـــي لا يستغل أو يضطهد، خاصة منذ صدور المرسوم الملح بقانون التجنيد الإجباري.

وقد تميز أهل سوف بالحركية الفاعلة نتيجة الوضع الاقتصادي المتردي الذي وصلت إليه المنطقة مع صـــغر المجموعات السكانية، هذا كان كافيا للتشجيع السوفي على الهجرة، حيث تذكر بعض التقارير الفرنسية أنـــه وجد فرد سوفي تائه في الأرجنتين يعتقد أنه من باعة العبيد الزنوج[3]. كما نجد أن أغلبية المهاجرين من وادي سوف يفوقون سن الخامسة عشر من العمر[4]. لكن ما يلاحظ على الهجرة بوادي سوف أنها اتخذت ثلاثـــة اتجاهات أساسية لدورها في دعم الحركة الإصلاحية وهي :

- الهجرة إلى المشرق العربي.

- الهجرة إلى تونس.

- الهجرة إلى المناطق الداخلية من الجزائر.

أ - الهجرة إلى المشرق العربي :

ارتبطت الهجرة إلى المشرق العربي بعامل الدين الذي كان هاجسا قويا لدفع أهالي سوف لاختيـــار هـــذه المناطق ملاذا للهروب من السياسة الاستعمارية، وقد كانت الهجرة إلى المشرق قديمـــة تعـــود إلى مـــا قبـــل الاحتلال، وهذا انطلاقا من البقاع المقدسة في إطار رحلة الحج الموسمية التي كان يصحبها عامل اقتناء الكتب والمجلات لدى بعض الحجيج باعتبـــار الحج عامل أساسي في نشر الثقافة والوعي الإصلاحي بين أرجاء العالم الإسلامي[5]. وعليه كانت الحجاز أهم منطقة من بلاد المشرق لاستقطاب أهالي وادي سوف ، حيث ازدادت

---

(1) Ibid , p 03.

(2) Rapport sur le Souf : Op cit, p 01.

(3) Ibid , p 01.

(4) CL . Bataillions : Op cit, p 101.

(5) لوثروب ستودارد : مصدر سابق، ص 323.

هذه الهجرة خاصة خلال الفترة الممتدة بين 1930 و1939[1]، لأنها أصبحت تعد اتجاها جديدا من اتجاهات الهجرة. لكن ما عثر عليه من وثائق رسمية تؤكد أن هجرة السوافى إلى المشرق كانت قائمة، وهي مستمرة غير منقطعة منها هجرة 15 رجلا من وادي سوف سيرا على الأقدام إلى بيت المقدس مرورا بقفصة والإسكندرية، والعريش سنة 1908، وفي هذا دلالة على رغبة الجزائريين في الهجرة خلال هذه الفترة[2].

وقد استمرت الهجرة إلى المشرق العربي في فترات متعددة دون انقطاع كان من أهمها هجرات الطلبة الذين كانوا في شغف كبير إما للكسب أو التعلم، حيث نجد من بين هؤلاء الطالب " محمد العربي ستو " المولود بوادي سوف خلال 1870 هاجر إلى مصر حوالي 1908 بعد حفظه للقرآن، فاشتغل مؤدبا للصبيان بالأزهر[3]، ثم ما لبث أن زاول دراسته بالأزهر سنة 1916[4]، وقد ثبت اسمه في قائمة الطلبة الجزائريين بالأزهر من نفس السنة، تحت اسم محمد العربي السوفي، وقد احتل الرتبة الرابعة من المصنفين في هذه القائمة[5]. وهكذا ظل المشرق العربي يمثل المقصد الهام للهجرة نتيجة الأهمية البالغة التي يحض بها العلم والتعليم، بالإضافة إلى فريضة الحج التي هي الركن الخامس من أركان الإسلام، وهذا وقوفا عند قول رسول الله (ε) : عن أبي عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله (ε) يقول : « بني الإسلام على خمس شهادة أن إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقامة الصلاة إيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » رواه البخاري ومسلم[6]. غير أن أغلبية المهاجرين إلى بلاد المشرق يحبذون البقاء في هذه البلدان لما يلقاه هؤلاء من راحة واستمتاع، خاصة المهاجرين إلى الحجاز (مكة والمدينة)، فهناك تواجد كثيف لأهالي سوف، حيث يتمركز أهل قمار بمكة المكرمة، وباقي السوافى بالمدينة المنورة.

وعليه فإن الهجرة إلى بلاد المشرق كانت في كثير من الأحيان طموحا يأمل الجزائري أن يحققه نتيجة السياسة التعسف والاضطهاد الممارس عليه من جهة، وكون هذه البلدان بلدانا إسلامية يستطيع المهاجر الجزائري إليها إشباع رغباته التي يفتقدها في بلاده من جهة أخرى، وهذه الهجرة بدورها أضحت عاملا للاتصال المستمر، والتعريف بالوضع المعاش هناك خاصة علي المستوى الإصلاحي، فكان ذلك من أهم العوامل

---

[1] Jean Pigoreau : Op cit, p 06.

[2] أرشيف ما وراء البحار 9. H . 104. - نقلا عن عمار هلال : " الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (1898 – 1915) "، **مجلة الثقافة**، العدد 84، الجزائر، نوفمبر – ديسمبر 1984، ص ص.98 – 99.

[3] علي غنابزية : " المعالم الثقافية والمظاهر الفكرية لوادي سوف خلال القرنين التاسع عشر والعشرين للميلادي "، **مقال**، (مخ)، الوادي، جوان 1999، ص 25.

[4] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 25.

[5] عمار هلال : " الطلبة الجزائريين في الأزهر عام 1916 "، ص146.

[6] الإمام أبو زكرياء يحي بن شرف النووي : **كتاب الأربعين نووية**، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1423هـ / 2002م، ص 05.

المشجعة علي زيادة البحث والتقصي عن مكامن الخوض في المسائل العديدة والتي كان من أهمها العقيدة الصحيحة، وحقيقة الاعتقاد السائد بالمنطقة. فالبريد الوافد على منطقة سوف باستمرار من هؤلاء المهاجرين كان دوما يمثل مبعث أمل وتواصل يربط الكثير من الماكثين بالمنطقة بأولئك المهاجرين الذين فضلوا البقاء في تلك المناطق، لما كانت تتمتع به من رخاء أفضل بكثير من موطنهم الأصلي.

كما يلاحظ على كثير من هؤلاء المهاجرين مساهمتهم في نشر العلم والتعليم، ومواصلة الإصلاح انطلاقا من قدرتهم الفائقة في التحصيل، حيث نجد أكثر من شخصية استطاعت أن تبرهن عن دورها الفاعل مثل الشيخ عمار بن الأزعر الذي نفته السلطات الاستعمارية فاستقر بالمدينة المنورة في 05 ربيع الأول 1354هـ / 1935م، حيث يقول عن نفسه : «دخلت مدرسا في مدرسة العلوم الشرعية ثم حصلت على وظيفة التدريس في المسجد النبوي، ثم انتقلت إلي مدرسة العلوم الشرعية وإلي مدرسة الحديث. ». كما نجده يتحدث عن سيرة حياته، حيث يقول : « سنة 1353هـ قد وجدت أنا ومن هاجر معي من التلاميذ من جلالة الملك المعظم إمام المسلمين الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه وأسكنه فراديس الجنان مع الصالحين الأبرار ووجدنا منه كل مساعدة وإكرام إلي أن وصلنا المدينة المنورة في الخامس من الربيع الأول 1354 هـ »[1]، وهو هنا يذكر أن هجرته لم تكن هجرة فردية بل كانت مع عدد من تلاميذه.

كما يوجد بعض المهاجرين الذين ساهموا في نشر الطرق الصوفية منهم سيدي الحاج "محمد العيد الباريء" (التونسي) القماري الأصل الذي هاجر إلى تلمسان مع أسرته فتتلمذ على يد الحاج " محمد بن أحمد بن عبد الرحمان العزاوي " الملقب بالهبري، وبعد وفاة شيخه الهبري هاجر إلى بلاد الشام، وأصبح من مستوطني الشام، فمنحته السلطة التركية مرتبا شهريا مكافأة له على تلاوة القرءان الكريم[2]. وهكذا نجد أن الهجرة إلى المشرق العربي قد ساهم من خلالها أهالي سوف خاصة النخبة المثقفة في رفع لواء الإصلاح عن طريق التعليم أكثر من المساهمة بالمنطقة نفسها، لكن هذا لم يمنع عامل التواصل الذي ضمن استمرارية مساهمة هؤلاء في الإشعاع الإصلاحي بالمنطقة، كما شجع استقرارهم هناك على تشجيع العديد من أبناء المنطقة على الهجرة قصد التحصيل العلمي للمساهمة في رفع أسس الإصلاح.

---

[1] محمد سعيد دفتردار : " من أعلام المدينة المنورة (صاحب الفضيلة العلامة المحدث السلفي الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر ابن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف عليه رحمة الله) "، **مجلة المنهل**، ج 8، السنة 35، مكة المكرمة، العربية السعودية، شعبان 1389هـ / أكتوبر 1966م، ص ص 1105 – 1106.

[2] الحاج مصطفى العشعاشي : **السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية**، تحقيق وتحرير مصطفى يلس شاوش ابن الحاج محمد، مطبعة سقال، تلمسان، الجزائر، (د – ت)، ص 54.

ب - الهجرة إلى تونس :

إن قرب تونس من وادي سوف كان عاملا هاما في تشجيع الهجرة، وقد عرفت الهجـــرة إليهـــا أفواجـــا عديدة، وهذا قصد الكسب عن طريق وظائف عديدة منها التجارة والعمل، والتعليم، فقد كان أكثر المهاجرين لها هم الطلبة. كما كان هؤلاء يزاولون أعمالا أخرى لكسب القوت قصد مواصلة مسيرة التعليم وحصـــولهم على الشهادات العلمية[1]، لكن ما ميز الهجرة إلى تونس هو أن الطلبة المهاجرين إليها ليس فقط هـم الطلبـــة القاصدين جامع الزيتونة، بل نجد من يقصد بعض الزوايا كالزاوية القادرية بتوزر لسيدي المولدي بوعرقيـــة، حيث كانت تضم عددا كبيرا من الطلبة كما تؤمّن لهم المسكن والغذاء فهي في شكل معهد[2]. والهجـــرة إلى تونس كانت قديمة قبل الاحتلال الفرنسي، حيث نجد كتاب طبقات المشايخ بالمغرب قد أتى على ذكر طائفة من هؤلاء المهاجرين الذين صاروا علماء، وذلك في القرن السابع الهجري[3]. لكن في فترة االاحتلال الفرنسي نجد أن أهالي المنطقة أصبحوا أكثر رغبة في قصد تونس للهجرة، وعلى هذا حاولت فرنسا تنظيم المهاجرين في تجمعات سكانية خاصة واستغلالهم في دفع الضرائب في جميع الأرجاء المتواجدين فيها بتونس من خلال تعيين شيخ للسوافى وهو سي "علي بن سلطان بن بلقاسم" من الفرقة الأولى من المهاجرين السوافى إلى منطقة الجريد بتوزر، وهذا بموجب القرار المؤرخ في 01 جويلية 1891[4].

كما نجد قائمة لمجموعة من المهاجرين السوافى المفروض عليهم دفع الضريبة وذلك من خلال قائمة محـــدد عليها الأسماء وسنة الاستيطان بتونس، والمنطقة الأصلية المنحدر منها ورقمه في قائمة الضرائب، حيث نجد فيها السيد " عمر بن الحاج محمد " الذي استوطن تونس منذ سنة 1869 تحت رقم 59 بقائمة الضرائب، وهو من قرية [5]، وعليه فإن الهجرة إلى تونس كانت قديمة جـــدا نتيجـــة الحـــدود المشتركة بين وادي ســـوف ومنطقة الجريد التونسي. وقد شهدت الهجرة إلى تونس فترات متعددة كانت الهجرة فيها تعـــرف تفاوتـــا في العدد، وهذا منذ اندلا ع الحرب العالمية الأولى، حيث شهد هذا البلد هجرة قوية رغم بساطة الوسائل المستغلة، وهي السير على الأقدام واستعمال الحيوانات التي من أهمها الجمال، وقد كانت الهجرة في هذه الفتـــرة هـــي هجرة الأفراد دون عائلاتهم، لهذا كان طابعها موسمي، حيث كان هؤلاء المهاجرون يعودون إلى أهـــاليهم في موسم الخريف أو لزيارة الوالدين، لكون غالبيتهم أرباب عائلات[6]. كما تعد هجرة الطلبة في غالبها هجرة

---

(1) Jean Pigoreau : Op cit, p 03.

(2) **لقاء** مع الشيخ محمد باي، مرجع سابق.

(3) الشيخ أبو العباس أحمد الدرجيني : الصدر السابق، ص ص 483 – 499.

(4) Les Archives National de Tunis : **Les Souafas**, N°07, Boite N°278.

(5) Ibid.

(6) Jean Pigoreau : Op cit, p 11.

موسمية، وعند انقضائها سرعان ما يعاود الطلبة الرجوع إلى وادي سوف.

أما الفترة الثانية فهي الفترة المحصورة بين 1918 و1930التي تزايدت خلالها الهجرة إلى تونس بشكل مكثف، كما لوحظت هجرة عائلات بشكل جماعي، لأن الهجرة خلال هذه الفترة أصبحت أكثر سهولة نتيجة استعمال وسائل النقل الحديثة، وبقيت خلالها هجرة السوافى إلى تونس أكثر من هجرتهم إلى الاتجاهات الأخرى. لكن خلال الفترة الثالثة والتي تبدأ من 1930 عرفت فيها الهجرة إلى تونس نوعا من التوازن مع الهجرة إلى الشمال الجزائري، بالإضافة إلى ظهور هجرات أخرى نحو البلدان العربية كالعربية السعودية، كما أن المهاجرين لم يكونوا فرادى فقط بل كان الكثير منهم يهاجر مع عائلته[1].

والمميز للهجرة نحو تونس هو التقارب الثقافي وسهولة الانتقال نتيجة غياب وضعف الرقابة الأمنية على مستوى الحدود. بالإضافة إلى تأثيرات التبادل الاقتصادي من سوف إلى تونس، أو من تونس إلى سوف دون أن ننسى الروابط العائلية بين أهالي سوف والمناطق الحدودية التونسية. كما نجد البعض من الطلبة قد حصلوا على درجة وقدر من التعلم أهلهم للتدريس بكثير من المدارس بتونس أو حتى الزيتونة في حدّ ذاتها مثل الشيخ ، ومع ذلك ظل هذا الأخير يتردد على بلدة قمار[2].

وهكذا استمرت العلاقة بين سوف وتونس لتكون مصدر إشعاع فعلي لبروز معالم الإصلاح الذي ظل يشع عبر فترات متفاوتة وبشكل مغاير بين الحين والآخر. وتبقى تونس أكثر تأثيرا نتيجة استيعابها العدد الأكبر من مهاجري وادي سوف. وعليه لا غرابة أن تتماثل الخصائص الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية بين أهالي المناطق المجاورة لوادي سوف بتونس خاصة الجريد التونسي.

بالإضافة إلى الاستمرارية الثقافية انطلاقا من الطرق الصوفية أولا، ثم جامع الزيتونة المعمور الذي ظل وقتا طويلا مقصدا هاما لأبناء الجزائر قاطبة، وليس لسوف وحدها. مما جعل الإشعاع الإصلاحي يرتبط بجميع مراحله بهذا الامتداد الحضاري والصرح الثقافي. وعليه فإن العلاقة بين سوف وتونس كانت علاقة تواصل استمرت عبر فترات عديدة، وبقدر ما منحت تونس لوادي سوف من رخاء، فإن وادي سوف ساهمت بدورها من خلال أبنائها في صرح تلك البلاد، رغم الحالة التي كانت تحياها تونس ليس فقط على المستوى التعليمي، بل حتى على المستوى الحرفي الصناعي والتجاري، والفلاحي. وهكذا استمر هذا الوضع طوال الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كانت تونس أكثر البلدان التي يلوذ إليها الأهالي، مما ساهم في رفع مستوى العلاقات التي ظلت مستمرة بين المناطق التونسية وسوف.

---

[1] Ibid , p p 05 06.

[2] محمد الطاهر التليلي : **منظومات في مسائل قرآنية**، تقديم أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 08.

ج - الهجرة الداخلية :

إن طبيعة الوضع الاقتصادي الذي عرفه سوف فرض على كثير من أهاليه تفضيل الهجرة تعبيرا عن رفضهم، وعدم رضاهم بالوضعية العامةالسائدة بالإقليم[1]، وقد قصد السوافى مناطق عديدة منها وادي ريغ والـزاب، وورقلة وجنوب عمالة قسنطينة، وبلاد النمامشة. وقد شملت هذه الهجرة أصنافا عديدة من المهاجرين، خاصة الشباب الذين يتمتعون بالقوة، التي تجعلهم أكثر اندفاعا، وكان أغلب هؤلاء المهاجرين أرباب بيوت همهـم البحث عن القوت. واستعمل أهل سوف سياسة الترقب؛ وذلك من خلال أخذ عائلة كنموذج لمعرفة مـدى استقرارها، وتأقلمها وتحقيقها للنجاح في تلك المنطقة، حتى يتسنى للعائلات الأخرى الهجرة، وهذا قبل الحرب العالمية الأولى. وعند استقرارهم في المناطق المهاجر إليها يحاولون إيجاد مأوى في ضواحي تلك المناطق للمحافظة على علاقاتهم في ما بينهم والمحافظة على تقاليدهم.

والهجرة إلى المناطق الداخلية قد تكون طواعية مثل هجرة الحرفيين للبحث عن أسـواق أكثـر اسـتيعابا لمنتوجاتهم مثل الخياطين والنساجين، وغيرهم من أصحاب الحرف، حيث يكون مقصدهم بسكرة وبريكة[2]، وهي عادة ما تكون صوب التل علما أنها هجرة عامة تبدأ من مناطق الزاب ببسكرة نحو الهضاب العليا[3]. وقد تميز هؤلاء المهاجرون الحرفيون بحفظ أسرار المهن التي كانت سببا في تحقيقهم للنجاح بتلك المناطق. كما نجد الأغنياء الذين يوظفون أموالهم كشراء الواحات المسقية في وادي ريغ وتماسين، وورقلة والزيبان، حيث النخلة هناك لا تتطلب كلفة كبيرة[4]، وهكذا نجد المهاجرين أصنافا عديدة يشكلون تجمعات سكانية. أمـا علـى مستوى التجارة والحرف فتأويهم محلات صغيرة عادة ما تكون متجاورة [5]. بالإضافة إلى الهجرة الإجباريـة التي فرضت على العديد من الأهالي مثل الشيخ إبراهيم بن عامر (العوامر) اثر موقفه من قضية الأرامل اللواتي قتل أزواجهن في الحدود الليبية وحرمن حقوقهن من الديّة المقدمة من طرف السلطات الإيطالية[6]، وهذا بعد الحرب العالمية الأولى،هذا ما جعل السلطات تحكم عليه بالنفي إلى بلدة أولاد جلال حتى تقطع كل صلة بينه وبين أتباعه وتلاميذه، وعلى إثر هذا ظل الشيخ ماكثا مدة طويلة في منفاه[7].

---

(1) Jean Pigoreau : Op cit, p 01.

(2) Ibid , p 07.

(3) Augustin Berque : Op cit, p p 294 – 295.

(4) Jean Pigoreau : Op cit, 07.

(5) CL . Bataillions : Op cit, p 102.

(6) علي غنبزية : " العلامة الشيخ إبراهيم العوامر (سيرته ومآثره) "، **الملتقى الأول لعلماء منطقة سوف**، نظارة الشـؤون الدينيـة بـالوادي، (مخ)، الوادي، أكتوبر 1996، ص 07.

(7) إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 214.

لكن بعد مدة من الزمن أجازت له الإدارة الاستعمارية حق الانتقال إلى توقرت، حيث جاور صديقه الشيخ العلامة الطاهر العبيدي الذي كان له خير جليس، فنشطا معا في حقل العلم والمعرفة بتوقرت[1]. أما الطلبة فنجد هجرتهم محدودة باستثناء الهجرة إلى بعض المدارس بالبلاد، كالمدرسة الفرنسية الإسلامية بقسنطينة لتخريج القضاة والمترجمين، ورجال المحاكم الشرعية وأعوان الإدارة الأهلية[2]. كما نجد أن الكثير من المغضوب عليهم من طرف السلطات المحتلة فضلوا الهجرة إلى بعض المناطق القريبة من وادي سوف، ومن أهم هذه المناطق الزيبان. لكن علاقة هؤلاء بوادي سوف ظلت في غالبها قائمة، وذلك من خلال الإياب الموسمي الذي يقوم به هؤلاء لأهاليهم قصد الاطمئنان عليهم، فكانوا كلما عادوا أقاموا اتصالات بشيوخ المنطقة وأقرانهم قصد إطلاعهم على الأحوال السياسية وحركة جمعية العلماء المسلمين بالمناطق المتعددة. كما كانوا يصحبون معهم أعداد من الجرائد والصحف، خاصة جرائد وصحف جمعية العلماء المسلمين، للاطلاع عنها ومتابعة الأحداث من خلالها. وعلى هذا الأساس استطاعت هذه النخبة أن تساهم في رفع مستوى الحركة الإصلاحية، رغم الدور الذي قدمته في تلك المناطق من خلال تنشيط الساحة الإعلامية وتسريع خطاها كما فعل كل من الأستاذ حمزة بوكوشة الذي كان يكتب في مجلة **الشهاب** خلال الفترة المتمدة بين 1934 و1939، وشارك في الكتابة بجريدة **البصائر** في سلسلتها الأولى (1935-1939). كما سهر على إصدار جريدة **المغرب العربي** وأشرف على تحريرها خلال مدة صدورها في سنة 1937[3]. يضاف إليها إصدار الشيخ على ابن سعد جريدته **الليالي** في شهر فيفري 1936، وكانت الجريدة ذات نزعة إصلاحية وطنية[4].

وقد أخطأت فرنسا تجاه الكثير من أبناء المنطقة الذين فرضت عليهم الهجرة، منهم الشيخ " محمد الطاهر التليلي " الذي اختار أحد مناطق جبال جرجرة بقرية " كمبيثة" ببجاية[5]، فراح ينشر أفكار الحركة الإصلاحية، وهو ما سبب قلق السلطات الاستعمارية، حيث فرضت عليه العودة من جديد إلي بلدته قمار، رغم محاولة أهالي تلك المنطقة التقرب من السلطات المحتلة قصد إبقائه بينهم لكن دون جدوى[6].

---

[1] إبراهيم مياسي: نفس المرجع، 214.

[2] محمد الأخضر عبد القادر السائحي وآخرون : **الأدباء الشهداء،** وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د – ت)، ص 78.

[3] علي غنابزية : "العلامة والأديب الصحفي الشيخ حمزة بوكوشة مسيرة إصلاح "، **جريدة النبأ**، العدد 184، الجزائر، 26 ديسمبر 1994 – 01 – جانفي 1995.

[4] محمد ناصر : **الصحف العربية الجزائرية من 1847 – 1993**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 206 – 207.

[5] محمد الحسن فضلاء : **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج 2، دار هومه، الجزائر، 2000، ص 35.

[6] محمد الطاهر التليلي : **منظومات**،ص 09.

وعليه فإن الدور الذي لعبته الهجرة الداخلية هو زيادة رغبة المهاجرين في النهل من روافد الإصلاح، والمشاركة في رفع مستوياته دون انقطاعهم عن أهاليهم، ليتمكنوا بذلك من رفع مستوى الإصلاح بمنطقة سوف التي ظلت زمنا طويلا تقاوم الاستعمار وسياسته التعسفية الاستبدادية. وهكذا نجد أن اتجاهات الهجرة تعددت، وكان أهمها ما ذكرنا سالفا، لكن هذا لم يمنع من وجود اتجاهات أخرى كفرنسا خاصة المهاجرين من أهلي ضاحيتي تكسبت والوادي المدينة[1]، حيث كان تمركز هؤلاء بمنطقة " الرون " "RHONE"[2].

كل هذا كان لرغبة السوفي الجامحة للسفر والهجرة، والوضع المزري الذي حال دون بقائه في المنطقة ماعدا المسنين العاجزين على التنقل أو الخوف من الفاقة، وهكذا كانت الهجرة باتجاهاتها المختلفة عاملا من عوامل نشأة الحركة الإصلاحية بوادي سوف، خاصة الهجرة إلى تونس، لما كانت تمثله هذه الأخيرة من حواضر علم وتحصيل سواء علي مستوى الطرق الصوفية أو الإصلاح نتيجة الحدود المشتركة من جهة، وضعف الرقابة الحدودية من جهة أخرى لصعوبة الطابع الصحراوي الذي تتميز به الحدود التونسية المتاخمة لسوف.

وهكذا كان للهجرة دور فاعل في تفعيل الإصلاح، ودفع حركيته نحو الأمام من أجل التطور والازدهار عبر فترات زمنية متفاوتة، والقصد من ذلك إزاحة كل عائق أمام حقيقة النهوض بالوضع الثقافي للمنطقة دون السماح للطرق الصوفية بأن تتواجد لوحدها على مستوى التفاعلات الثقافية التي ما فتئ الفرد السوفي يتطلع إليها، ويحاول النهوض بواقعه المزري دون الاستسلام للأمر الذي تود فرنسا تكريسه والسعي إلى تثبيته، انطلاقا من استغلال الطرق الصوفية عن طريق تشجيع النزاع بين الطريقة التجانية والقادرية، وهذا قصد تمرير مشاريعها الاستعمارية.

2 - النخبة ودورها في ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة :

إن الوضع المتردي الذي كانت تعيشه منطقة وادي سوف والذي شمل مستويات عديدة كان له الدور البالغ في التأثير على المجتمع بالإقليم ومن هذه التأثيرات نجد الوضع التعليمي الذي ظل يعاني كثيرا نتيجة السياسة الاستعمارية الممارسة في حق الأهالي، رغم محاولات الادعاء بتصحيح مسارات التعليم، لكن هذه المحاولات كانت كلها تندرج ضمن توجه استعماري يرمي إلى طمس معالم الشخصية الجزائرية، مما جعل بعض الدارسين يقتنعون بفكرة الرفض التي جابه بها الشعب الجزائري المدارس الفرنسية في بداية الاحتلال[3]. لكن رغم ذلك

---

(1) CL . Bataillions : Op cit, p 105.

(2) Jean Pigoreau : Op cit, p 01.

(3) عبد الله حمادي : **الإيديولوجيا الفركفونية في الجزائر (من خلفيات الصراع)**، المؤسسة الوطنية للنشر والاستثمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 12.

نجد محاولات عديدة سعت إلى إقامة تعليم يتوافق ومتطلبات الشخصية الوطنية، وهذا ردا على السياسة الـتي اتبعتها فرنسا لتنفيذ وسائلها التعليمية الرامية إلى طمس المعالم الوطنية والحضارية في الجزائر والقائمة على :

- محاربة الثقافة العربية الإسلامية.

- محاربة اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية في الجزائر[1].

وكانت المحاولات التي عمل بها أبناء الوطن في إسعاف الأهالي والنهوض بهم علميا عديدة، نذكر من بينهم " محمد بن رحال "[2] الذي طرح مسألة تعليم الجزائريين[3]، وهو أحد الذين ساهموا في إثراء وجهة نظر حول استيطان الجهاز المدرسي الاستعماري[4]. وأمام هذه الوضعية نجد أن منطقة سوف لم تكن في منأى عن هـذا الوضع، لكن رغم ذلك نجد شخصيات عديدة مثلت النخبة محاولة الانطلاق من مستويات التعلـيم وآلياتـه المختلفة في بناء صرح نخبوي ساهم في دفع حركة الإصلاح بالمنطقة. باعتبار أن الإصلاح جاء أساسا للنهوض بالوضع الثقافي للبلاد اعتمادا على التعليم، حيث كانت وثبة جمعية العلماء قائمة على الآية الكريمة :(**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**)[5]، فكانت هذه الآية منهاج عمل[6].

وعليه فإن محاولات النهوض لم تنقطع بل ظلت تتكرر باستمرار قصد بعث التواصل الذي ظل قائما بـين عناصر النخبة ولم ينقطع، وهو ما ساهم بدوره في إرساء معالم التواصل المستمر، حتى نستطيع تحديد دور كل النخب المحافظة والمعربة والمفرنسة لابد من الوقوف عند أساليب التعليم لكل نخبة وفق الآليات التي أتيحـت لكل منهم.

---

(1) تركي رابح : **التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931 – 1956)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجـزائر، 1981، ص ص 125 – 142.

(2) عبد القادر جغلول : **تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سسيولوجية)**، ترجمة فيصل عباس، مراجعة خليل أحمد خليـل، ط 2، دار الحداثـة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1982، ص ص 59 – 124. – صبرينة الواعر : **محمد برحال دوره السياسـي والثقـافي (1857 – 1928)**، رسالة ماجستير، تحت إشراف أحمد صاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبـد القـادر الإسـلامية، قسـنطينة، 1424هـ - 2003م، ص 71.

(3) حيث ظل النضال قائما لتحقيق هذه المسألة وفي مقدمتها تعليم الأهالي حقبة طويلة من الزمن دامت أربعين سـنة مـن النضـال والمطالبـة (1886 - 1925). – ينظر عبد القادر جغلول : نفس المرجع، ص 62.

(4) ولد محمد بن رحال في 03 شوال 1277هـ / 16 أيار 1857م في مدينة ندرومة بتلمسان من أسرة ميسورة الحال. -ينظر عبد القادر جغلول : نفس المرجع، ص ص 63 – 64. - صبرينة الواعر : المرجع السابق، 71.

(5) **سورة الرعد**، الآية 11.

(6) عبد الكريم بو الصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية**، ط 1، دار البعـث، قسـنطينة، 1401هـ / 1981م، ص 105.

أ - النخبة المحافظة :

إن دور النخبة المحافظة برز من خلال التعليم العربي الإسلامي حيث كان لهؤلاء دور في تربية الـــنشء دون التخلي عن وظائفهم الأساسية وهذا لكون بعضهم كانوا قضاة في المحاكم الشرعية ورجال فتـــوى، وأئمـــة مساجد ومؤدبين للصبيان، بالإضافة إلى دروسهم الموجهة لتعليم كبار السن المتمثلة في المبادئ الدينية، وأصول العلوم الشرعية واللغوية، وهذا من خلال دروس الوعظ والإرشاد التي تقام في المساجد والزوايا، كما كانـــت بيوتهم الخاصة مقصدا لطلبة العلم[1]. وعلى هذا الأساس كانت سوف يومئذ مقسمة إلى ثلاث حواضر علمية أساسية هي : الوادي وقمار، و. علما أن قمار كانت أكثر حركية من غيرها من الحواضر الأخرى ويتجلـــى هذا من خلال أشهر المساهمين في هذا الدور عبر كل حاضرة من بين المناطق الثلاث.

ففي مدينة الوادي نجد : الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى (موســـاوي) المولـــود سنـــــة 1290.هــ / 1873م[2] كان ذا علم غزير يعود له الفضل في التعليم بسوف وتوقرت، كمـــا اتصـــف بالزهد والورع، والتواضع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر، وقـــد وافتـــه المنيـــة في 17 ذي الحجـــة 1322هــ/ 1904م[3]. وقد رثاه تلميذه الشيخ الطاهر العبيدي في قصيدة طويلة منها :

لـيـــس للحـــال بـــقاء ماحذروا   سطوات الـــدهر واللهـــو ذروا.

واذكـــروا قومـــا صفى الوقت لهم   فرحـــوا بـــوقتهم وإستبشروا.

مثل أهـــل ســـوف قد كان لـــهم   ســـيـــد دراكـــة مـــحـــرر.

نجـــل موسى العـــربي المرضـــي   فهـــو بحـــر وســـواه جعفـــر[4].

فالعبيدي هنا يبرز قيمة الرجل ومساهمته لتعليم أهل سوف وتوقرت حين شبهه بالبحر وسواه بالجعفر؛ أي النهـــر، حيث كان يعمل إمـــاما موظفا من طرف فرنســـا، وكان يعود إلى وادي سوف في فصل الصـــيف ليظـــل ماكثـــا بها حتى الخـــريف، وعند عودته الموسمية هذه كان يلتقي بعـــدد كبير من التلاميذ، وهـــذا بعدة مســـاجد كان أهمها مسجد سيدي المسعـــود الشابي بالوادي، وزاوية سيدي ســـالم والمسجد الحسيني

---

[1] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 152.

[2] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 152.

[3] مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 20.

[4] الطاهر العبيدي : " قصيدة رثاء الشيخ محمد العربي بن موسى (موساوي) "، **من ديوانه**، (مخ)، نقلت بخط حفيده الأستاذ محمـــد المـــدني عبيدي بتوقورت بتاريخ 18 / 08 / 2000.

الذي أنشأه الشيخ موسى (موساوي)[1].

الشيخ " عبد الرحمان العمودي " : وهو من عائلة العمودي الضاربة في التاريخ الإسلامي[2]، وقد كان عبد الرحمان عالما زاهدا متصوفا[3] متميزا بكثرة تجواله، فكان كلما حط بمكان سعى إلى نشر العلم فيه، كما عمل في سلك القضاء بكوينين. أما علاقاته الخارجية فكانت تتمثل في الصلة القائمة بينه وبين الشيخ محمد المكي ابن عزوز وهذا للرابطة القوية والمراسلات الأخوية[4]بينهما، وقد وافته المنية بوادي سوف سنة 1327هـ / 1910م[5].

الشيخ " علي بن صابر " : وهو مثل للورع والصلاح، كما بلغ درجة علمية معتبرة، وقد عده الشيخ محمد المكي بن عزوز في قائمة الجزائريين الذين أجازوه في العلم، وذلك لأنه درس عليه " **صلوات ابن ملوكة التونسي** " [6]، ويعود سبب أخذ محمد المكي بن عزوز عليه هو أن الشيخ علي بن صابر كان كثير الترحال ما بين جريد تونس، ووادي سوف[7]، وقبل الحرب العالمية الأولى هاجر إلى المدينة المنورة[8]، وهناك وافته المنية.

أما حاضرة قمار فكانت تعج بكثير من العلماء الذين ذاع صيتهم في الآفاق ومنهم :

الشيخ الحاج " أحمد بن سالم " : وهو الحاج أحمد بن سالم بن عبد الله بن محمد بن خليفة بن عبد الله (قديدة) الملقب بالقايه ولد حوالي 1257هـ / 1842م. وقد ساهم في تعليم القرآن والفقه، ومبادئ العلوم العربية بقمار، وقد ترك الكثير من التلاميذ الذين كان لهم دور في المساهمة في التعليم، وقد توفي الشيخ الحاج أحمد بن سالم القايه سنة 1348هـ / 1927م[9].

الشيخ الحاج " علي بالقيم " ولد بقمار سنة 1258هـ / 1839م. تعلم الشيخ بزاوية مصطفى ابن عزوز بنفطة، فحفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم. كما حفظ متن سيدي خليل، وتلقى الفقه على يد قاضي

---

[1] **لقاء** مع السيد أحمد الخراز يوم 21 ذي الحجة 1424هـ / 12 فيفري 2004 مساء بزاوية سيدي سالم.

[2] محمد الأخضر عبد القادر السائحي : **محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 21.

[3] إبراهيم العوامر : **البحر الطافح**، ص 36.

[4] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 153.

[5] مصطفى سالمي : المرجع السابق، ص 20.

[6] علي الرضا الحسني : المرجع السابق، ص 40.

[7] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 153.

[8] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 153.

[9] محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، (مخ)، مكتبة علي غنابزية المترلية، الوادي، ص 97.

قمار الشيخ " الأخضر حمانة " هذا ما أهله إلى منصب القضاء الذي شغله لمدة قصيرة، واشتغل بالتعليم حيث كان له دور كبير في ذلك. كما كان كثير التلاوة للقرآن ومتن خليل بأكمله مرة كل أسبوع، وبهذا يكـــون بالقيم قد كرس حياته للتعليم الحرّ، وتتلمذ على يده جيل كامل استطاع مواصلة التعليم في مراحــــل أخـــرى غالبية هذا الجيل التحق بجامع الزيتونة. وقد وافته المنية بقمار سنة 1328هــ / 1910م[1].

أما بحاضرة فنجد : الشيخ " إبراهيم بن السلمي " الذي لم تقل مكانته في العلم عن أقرانه، وهذا لشهرته الفائقة، حيث بلغت أخباره الأفاق في الصحراء وفي التل بسبب فطانته وغزارة علمه[2]. كما كان لـــه دور فاعل في التعليم مما جعل حاضرة عامرة به وبغيره من الشيوخ، وتوفي إبراهيم بن السلمي " سنة 1333هــ / 1914م[3].

وقد كان تدريس هؤلاء لتلاميذهم يقوم بحسب ظروف كل بلدة من إقليم سوف المترامي الأطراف، وقـــد اعتمد هؤلاء في تدريسهم برنامجا تعارف عنه الجميع دون أن توضع له مناهج محددة، ومضبوطة باعتبـــار أن التعليم كان في غالبه تعليما حرّا غير موحد المناهج، وهذا وفق البرنامج الآتي :

تحفيظ القرآن وإتقان قواعد تلاوته، ورسمه وضبط قواعد كتابته. أما الخطوة الثانية فتقـــوم علـــى تحفـــيظ التلاميذ لبعض المتون الخاصة بالرسم القرآني مثل : **الدنفاسي** وغيره[4]، ثم يبدأ التلاميذ (الطلبة) في مرحلـــة متقدمة أخذ دروس في مبادئ اللغة العربية أثناء النهار مثل : **متن الأجرومية**، وغيرها مـــن المتـــون الدينيـــة واللغوية[5]. أما الدروس الليلية التي كان يعقدها هؤلاء العلماء ما بين المغرب والعشاء بالمساجد فهـــي دروس عامة يستفيد منها طلبة العلم أولا، وباقي عامة المصلين من كبار السن والعامة، وهي في غالبها دروس تندرج في مادة تفسير القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، مما يغلب عليها الطابع الوعظي، في حين تخصـــص بعض الدروس في مادة الفقه، وهي منتقاة من **شروح رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، أو **مختصر خليل** في الفقـــه المالكي[6]. كما كان هؤلاء يشجعون الطلبة على الهجرة خاصة إلى منطقة الجريد بتونس باعتبار هذه المنطقة بها زوايا عديدة منها الزوايا القادرية، والرحمانية، ومن بينها زاوية سيدي المولدي بوعرقية، التي تتلمذ بها الشيخ إبراهيم بن عامر الذي نظم مدائح (قصائد) ينشدها إخوان الطريقة القادرية في المناسبات المختلفة، وهي كلها

---

[1] محمد الطاهر التليلي : نفس المصدر، ص 94.

[2] محمد الساسي معامير : **التقويم**، ص 346.

[3] محمد الساسي معامير : نفس المصدر، ص 346.

[4] صالح زبدي : **رسم القرآن في متشابه من كتاب البيان**، نشر شركة آمال للإعلام الآلي والأعمال المكتبية، الوادي، الجزائـــر، 1998، ص 05.

[5] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 154.

[6] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 155.

تدعو إلى محبة الشيخ المولدي وزيارته والنهل من أنواره وقد جاء في إحدى هذه القصائد :

واقتبـــس من سناه نورا بهيا   تبقى ما عشت ساطع الأضواء.

وتعطر من طيب يمناه لثما   فمن المولدي شذا الأنـــــحاء[1].

كما كان بعض الطلبة يهاجرون إلى الزيتونة نتيجة نشاط هذه الهجرة في أواخر القرن التاســع عشـــر[2]، خاصة طلبة حاضرتي قمار والذين يهاجرون في شكل مجموعات من طلبة حفظة القرآن الكريم، وذلك لإتمـــام تعليمهم العالي[3]، لكنهم كانوا غير مقيدين برزنامة التدريس التي تستغرق في جامع الزيتونة ســبع ســنوات، فكانوا ينهلون منه ما يفيدهم من فقه ونحو، وبعض مبادئ العلوم مختصرين مدة الدراسة في سنة أو سنتين، أو ثلاث سنوات، وهذا نتيجة الفقر الذي كان يعاني منه هؤلاء الطلبة، وهذا بحسب قدرة كل طالب وإمكانياته المادية[4]، غير أن رغبتهم الملحة في التعلم جعلهم يواصلون إتمام التعلم بطريقة عصامية، وهذا عـــن طريـــق الحلقات المسجدية، والمحاورات والنقاشات العلمية مع شيوخ البلدة التي ينتمون إليها، مما ساعد بعضهم علـــى الارتقاء والتأهل إلى مصاف ودرجات التأليف للرسائل الصغيرة، ونظم المتون في مختلف الفنون العلمية المعروفة آنذاك. لكن ما يلاحظ على هؤلاء من النخبة المحافظة على طابع التصوف الذي يطغى على كثير منهم نتيجة الطابع الطرقي المنتشر بقوة في ربوع سوف، مما جعل تأثيرهم دوما مرتبطا بالوعظ والإرشاد، وتدريس الفقـــه دون التعرض للعقائد الفاسدة منها والصالحة، هذا ما أضفى طابع الركود النسبي، رغم الحيوية التي كان يتصف بها هؤلاء عبر فترات تاريخية متعددة كان لها دور السبق في بناء صرح أجيال استطاعت الحفاظ علـــى اللغـــة العربية انطلاقا من حفظ القرآن الكريم وضبط رسمه وشكله مع التطرق إلى بعض الفنون العلمية الأخرى.

كما وجد هذا الطابع سائدا لدى الكثير من العلماء ذوي الصيت العالي في المنطقة وخارجها. وقد كـــان للنخبة علاقات حميمية، ودور فاعل في تنشيط حركة التعليم ليس فقط بوادي سوف بل حتى في تونس إلى أن وصل بعضهم إلى مرتبة التدريس بجامع الزيتونة. ومن العدل والإنصاف ان نقر لهؤلاء الدور الذي لعبوه نتيجة مساهمتهم الفاعلة في تحريك دواليب التعليم رغم طابعه الحرّ، وعدم تنظيمه، ورغم ذلك ساهم هذا التعلـــيم بشطر وافر في تعليم أبناء المنطقة وغيرهم، وهذا من خلال دور زوايا المنطقة في ربوع قرى سوف.

---

[1] إبراهيم العـــوامر : " قصيدة في مـــدح الشيـــخ المولدي بوعـــرقية "، **ديوان في الشعـــر الصوفي**، (مخ)، توجـــد نسخة منه بمكتبة علي غنابزية ، ص 07.

[2] محمد الساسي معامير : المصدر السابق، ص 347.

[3] Ahmed Nadjah : Op cit, 130.

[4] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 155.

ب - نخبة المعاهد الإسلامية :

وهي مجموعة العناصر الطلابية التي تلقت تعليمها في الزيتونة بعد التحصيل الأولي الذي تلقوه من شـــيوخ النخبة المحافظة الذين نفخوا في روحهم رغبة السعي والبحث الدؤوب على ما هو أفضل من التعليم الذي تلقوه على أيديهم، فكانوا دوما يشجعونهم على الهجرة إلى تونس، لهذا جاء دور جامع الزيتونة لاستيعاب عدد معتبر من بين هذه النخبة، رغم محاولات الاستعمار التظاهر بمظهر التسامح والتودد للأهالي إنطلاقا من فتح المدرسة الأهلية الفرنسية بالوادي. لكن موقف هؤلاء كان دوما مرتبطا بهاجس الخوف من التنصير والتمسيح، وعليـــه كان موقفهم صريحا حيث نلمسه لدى أحد افراد هذه النخبة وهو الشيخ " حمزة بكوشة "، حيث يقول : « وقد كنا نفر من قراءة الفرنسية فرار السليم من الأجرب، لأننا لقّنا أن قراءة الفرنسية طريق إلى الكفـــر إن لم يكن الكفر عينه[1] ». ، وقد كان الموقف عاما بحيث كان الأهالي يتهربون من إرسال أولادهم إلى المدرســـة الأهلية الفرنسية، فقد كان الأمر يقع على ضعاف القدرة الاقتصادية نتيجة الضريبة التي كانت تفرضها فرنسا على الممتنعين عن إرسال أبنائهم إلى المدرسة الأهلية الفرنسية، للاعتقاد السائد بأن التعلم بالمدارس الفرنســـية كفر.

وأمام هذا الوضع كان الأجدى بكثير من أبناء المنطقة التفكير في سبل أكثر نجاعة لتحصيل العلم، لهـــذا لم يكن أمامهم سوى الهجرة إلى تونس تأسيا بمن سبقهم خاصة في أواخر القرن التاسع عشر. وهو ما أدى بكثير من أبناء المنطقة إلى الهجرة إلى الجريد بالجنوب التونسي للأخذ عن كبار مشائخهم[2] من قادرية أو رحمانية، ثم الانتقال إلى تونس العاصمة لمواصلة الدراسة بجامع الزيتونة المعمور، وقد كان هذا حال العديد من الشيوخ.

وقد عرفت الفترة الممتدة من 1903 إلى 1911 - وهي فترة حكم شارل جونار - حالة من الاستقرار والحث على معاملة الجزائريين معاملة حسنة، وذلك من خلال التقرب منهم[3] لكون الجزائر مستعمرة خاصة، حيث دعى المعمرين إلى محولة الحفاظ على تقاليد وعادات الأهالي، ونشر التعليم باللغة العربية واحترام الشريعة الإسلامية والتخفيف من الضرائب والقوانين الجائرة، وتوظيف بعض العلماء والفقهاء والقضاة والأئمة والسعي وراء إقامة المؤسسات الدينية والتعليمية، وإنشاء المطابع لنشر التراث[4]. بالإضافة إلى البعثات الطلابية التي بدأ الشيخ عبد الحميد بن باديس يرسلها إلى جامع الزيتونة المعمور سنة 1913[5]، حيث كان لهـــا صـــدى في

---

[1] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 156.

[2] إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 210.

[3] أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 108.

[4] إبراهيم مياسي : المرجع السابق، ص 211.

[5] محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري**، ص 210.

ربوع البلاد، وتشجيع العديد من الطلبة في مناطق عدة على الهجرة إلى الزيتونة قصد مواصلة التعليم.

وقد يعود سبب تشجيع الهجرة للتعلم، هو هجرات الأهالي العديدة التي سمحت باستقرار عناصر كثيرة مع انتقال عائلاتهم واستقرارها هناك، وتشكيل تجمعات سكانية ذات كثافة معتبرة، والتواصل الذي ظل قائمـــا بينها وبين سكان سوف. فكانت موجة الهجرة من أجل العلم خلال العشرينات في تزايد عدد الوافـــدين إلى الزيتونة بصورة واسعة نتيجة الرغبة الجامحة للتعلم في هذا الصرح الحضاري، ودور العلماء العائـــدين إلى أرض البلاد، وهم كثيرون، حيث زاولوا التدريس رغم انشغالهم بوظائف أخرى كالشيخ إبراهيم بن عامر الذي عُيّن بالمحكمة الشرعية بالوادي برتبة " باش عدل "[1]، والشيخ الطاهر العبيدي وأخيه الشيخ " أحمـــد العبيـــدي " والأستاذ حمزة بوكوشة الذين كان لهم دور فاعل في نشر العلم والتعليم بالمنطقة[2] والمناطق المجاورة لها. وقـــد اعتمد هذا التعليم الأسلوب التقليدي الذي انتقده الكثير من طلبة الزيتونة الجزائريين الذين اعتـــبروا مـــواده التعليمية قاصرة على المنهج التقليدي المشابه لمواد التدريس بجامع الأزهر سنة 1916 حسب ما جاء بالوثيقة الصادرة عن وزارة الشؤون الخارجية، ومديرية الشؤون السياسية والتجارية الفرنسية، حيث جاء فيها وصـــفا للتعليم في الجامع الأزهر[3] إضافة إلى حفظ القرآن الكريم يتلقى الطلبة تدريسا عاليا في المواد الآتية :

-النحو والآداب العربية. - الشريعة الإسلامية حسب المذاهب الأربعة. - تاريخ الشريعة الإســـلامية. - السيرة النبوية وتفسير القرآن. - الفلسفة.

ويضاف إلى هذه المواد مواد تكميلية هي :

- الحساب والرياضيات. - التاريخ والجغرافيا. - الجبر.

وقد كانت نفس هذه المواد تدرس في الزيتونة كما أكد لي طالب التحق بالزيتونة ســـنة 1939، وهـــو الشيخ " محمود قروي "[4]، غير أن الوضع الذي أصبحت تحياه تونس خلال الفترة الممتدة بين (1920 – 1930) جعلها موطن علوم الدين واللغة، والأدب والسياسة والفن أيضا، فكانت الحركة الوطنية التونســـية في أوج نشاطها، حيث كان لهذا الجو تأثير بالغ في نفوس الطلبة الجزائريين. علما أن حركة الإصلاح بالزيتونة قد بدأت منذ 1910، وهذا وفقا لتجديد برامج التعليم سواء من حيث المحتوى أو من حيـــث الأســـاليب التربوية واستمرت حتى سنة 1925 التي شهد اندلاع أول إضراب عن الدروس بالجامع الأعظم؛ أي جامع

---

(1) إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 210.

(2) أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 173.

(3) عمار هلال : " الطلبة الجزائريون في الأزهر "، ص ص 114 – 115.

(4) **لقاء** بالشيخ محمود القروي، مرجع سابق.

الزيتونة، لتليها الفترة المحصورة بين 1928 و1932 تاريخ إلغاء النظارة العلمية وتعيين أول شيخ مدير على رأس الجامعة الزيتونية، ثم الفترة المحصورة بين 1933 و1939، وهي الفترة الأكثر تفاعلا، والمنادية بالإصلاحات الضرورية لتطور الحركة الزيتونية التي أصبحت عنصرا أساسيا من عناصر الحركة الوطنية[1]. بالإضافة إلى الصحف التونسية المتعددة والمتنوعة المتناولة للمسائل الدينية والسياسية، والمحلي والقومي[2]، فكان ذلك جوا مفعما بالطموح لدى كثير من الطلبة الجزائريين من بينهم طلبة سوف، حيث استطاع بعضهم المشاركة في التفاعلات الطلابية البارزة والمختلفة التأثير. وعند عودة هؤلاء الطلبة خلال العطلة كانت تصاحبهم الكثير من التأثيرات وبعض الصحف التي كانت تلقى صدى واسعا في القراءة والإطلاع من طرف الأهالي خاصة قرية الزقم التي كانت تعج بكثير من الصحف التونسية كجريدة **النهضة**[3]، وغيرها من الجرائد والمجلات التونسية. وقد كانت هذه النخبة تجمع بين فئتين فئة ظلت تحافظ على انتمائها للصوفية مثل : الشيخ إبراهيم بن عامر والشيخ الطاهر العبيدي، وأخاه أحمد والشيخ محمد بن البّرية، وغيرهم كثير. أما الفئة الثانية فهي فئة قد حاولت التملص من تبعية الطرق الصوفية، بل راحت تعلن مواجهتها العدائية للطرق من خلال البدع المنسوبة للدين الإسلامي مواجهة مباشرة.

وقد كان لهؤلاء عند عودتهم في فترات العطل الصيفية الفضل الكبير في إلقاء دروس عامة في المساجد والكتاتيب، والبيوت الخاصة[4]، كما كانوا يختارون عن طواعية الارتحال إلى أماكن بعيدة عن موطنهم سوف لنشر الإصلاح وتبليغ رسالاته، والمساهمة في إحياء روح التعليم بالمناطق التي يغيب عنها معلمو المدارس الرسمية[5]. غير أن هذه الفئة من النخبة قد انقسمت إلى فئتين :

- فئة حافظت على علاقتها بالزوايا الصوفية، وهم الطلبة المتخرجين قبل الحرب العالمية الأولى.
- الفئة الثانية هم غالبية الطلبة الذين التحقوا بالزيتونة بعد الحرب العالمية الأولى.

وخلال فترة الحرب الكونية الأولى أوصدت أبواب كل من جامع الزيتونة وباقي المعاهد المنتسبة له أو المنفصلة عنه أمام الطلبة تماشيا مع القوانين الجائرة التي اتخذها فرنسا نتيجة الظروف التي أملتها هذه الحرب[6].

---

(1) حمادي الساحلي : **فصول في التاريخ والحضارة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص 412.

(2) محمد الطاهر التليلي : **منظومات**، ص ص 08 – 09.

(3) **جريدة النهضة** صدرت سنة 1923 لصاحبها الشاذلي القسطلي. – ينظر محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري**، ص 189. (هامش 03).

(5) محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري**، ص 42.

(6) نفسه، ص 42.

(7) محمد صالح الجابري : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1990، ص (د).

لكن ما يميز الفئة الثانية عن سابقتها هو التحصيل الذي تميزت به هذه الفئة، حيث أصبحت هي الفئة العظمى من الطلبة الزيتونيين الذين أصبحوا يتحصلون على شهادة التطويع التي تستغرق سبع سنوات من الدراسة. وهذا بدوره أثر في مستوى التحصيل الذي أصبح ميزة هؤلاء، مما حذا بهم للاستفادة والتأثر بالواقع السياسي والاجتماعي، والثقافي المتأجج بتونس. وعليه فإن غالبية هذه النخبة ساهمت مساهمة مباشرة وفاعلة في تقوية جانب الإصلاح بوادي سوف والجزائر قاطبة. كما تحملت الفئة الثانية أعباء وأوزارا، ترتب عنها صادمات بين هذه الفئة والطرق الصوفية، مما أدى بالشيخ عبد العزيز الشريف - المتحصل على شهادة التطويع سنة 1923 - إلى إحداث انقلب على المنظومة الطرقية وهذا بتغيير زاويته إلى الإصلاح.

ج - **النخبة المفرنسة :**

إن جهود فرنسا الأولى في إرساء مدرسة الأهالي الفرنسية بوادي سوف جاء نتيجة الاستقرار الذي عرفته الإدارة الفرنسية بالمنطقة[1]، فكانت أول مدرسة سنة 1886، واستقبلت أول فوج لها في الموسم الدراسي 1886 – 1887، لتلتحق بها مدرسة كوينين في سنة 1893[2]، ثم مدرسة قمار سنة 1903[3]. غير أن الملاحظ على هذا التعليم عزوف الكثيرين عنه، وعدم رغبتهم فيه انطلاقا من موقفهم العداء له من جهة، واعتبار أن التعليم الفرنسي هو الكفر من جهة أخرى، وهذا في بداية افتتاح المدرسة الفرنسية، لكن في القرن العشرين حدث العكس وأصبح الأهالي غير متحفظين من التعليم الفرنسي، بل نجد أن تعداد الطلبة أصبح في تزايد مستمر مما أوجد حالة هلع لدى شيوخ المنطقة جعلهم ينادون للحد من هذه الظاهرة التي أصبحت تهدد اللغة العربية والإسلام، لكون الرجال البيض هم الذين أصبحوا يباشرون العملية التعليمية، فكان ذلك في رأيهم محاولات تنصير وتمسيح أكثر منها تعليم.

ومن هؤلاء نجد الشيخ إبراهيم بن عامر(العوامر) الذي أبدى موقفه الواضح تجاه سياسة الفرنسة الهادفة للتنصير والمسخ للشعب الجزائري، ذلك من خلال تدريسه كتاب **"إرشاد الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى"**[4] للشيخ "يوسف النبهاني"[5]، وهذا لإدراكه دهاء المستعمر الذي يريد القضاء على اللغة العربية، وإضعاف العاطفة الدينية والوطنية[6] لدى الناشئة.

---

(1) Ahmed Nadgah : Op cit, p 109.

(2) André Voisin : Op cit, p 190.

(3) عبد القادر فكاير : الرجع السابق، 04.

(4) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 506.

(5) نفسه، ص 506. (هامش رقم 01).

(6) إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 212.

وقد كانت مدة التدريس غير محدودة نتيجة الظروف المتحكمة في التلاميذ، ووضعهم الاجتماعي، فكانت هذه المدة تتراوح بين عام إلى تسع سنوات، حيث كان غالبية الطلبة في بداية الأمر لا يتجاوزون العام الواحد لكونهم أبناء فلاحين وتجار، وكبار ملاك للنخيل، فهم مرتبطون ارتباطا وثيقا بوظائف أبائهم والظروف المحيطة بهم. لكن في القرن العشرين أصبح بإمكان التلاميذ مواصلة دراستهم والحصول على شهادة المرحلة الابتدائية. كما أخذت اهتمامات السلطة المحتلة تتزايد، وذلك من خلال توسيع هذه المدارس وتطويرها، رغم عدم الرغبة في زيادة المدارس إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد كان التعليم الفرنسي مقتصرا على المرحلة الابتدائية، وعند إنهاء التلميذ هذه المرحلة كانوا يوجهون إلى التمهين خاصة مهنة نسج الزرابي، باعتبارها أصبحت تمثل دورا هاما في التنمية بوادي سـوف[1]. علمـا أن افتتاح أول متوسطة كان خلال الخمسينات. كما نجد أن اهتمامات المستعمر كانت دوما منصبة على هـذا القطاع، وهذا من خلال عملية الحركة المستمرة للمعلمين حسب ما كانت تقتضيه الحاجة. بالإضافة إلى أجور المعلمين الذي تحدده القوانين والتعليمات في إطار التشريع المدرسي، حيث نجد في أحد تقاريرها أجور المعلمين، ومن بين هذه القوانين قانون المالية لـ 28 فيفري 1912[2]. والذي من خلاله نقف عند تحديد سـنوات التدريس بالمرحلة الابتدائية، حيث حددت بموجب هذا القرار بخمس سنوات فقط. كما أصبح بإمكان الأهالي إرسال أبنائهم إلى المدرسة بأعداد معتبرة، هذا نتيجة اقتناعهم بضرورة تمكين أبنائهم من المعلومات والمعـارف الضرورية للحياة العملية[3]، لكن مع حرصهم على حماية هويتهم التي كانت نتيجة مساعي المساجد والكتاتيب القرآنية رغم تقييد نشاطها، والتي كانت سندا قويا للحفاظ على تعليم القرآن ومبادئ اللغة العربية[4]. وهكذا استمر التعليم الفرنسي على أساس أنه عملية انتشال الأطفال من الجهل، وإعدادهم إلى مرحلة العمل، وهـذا باعتبار أن وادي سوف لم تشهد فتح مراحل تعليم أخرى أكثر من المرحلة الابتدائية، حتى العقد السادس من القرن العشرين، لكن الاهتمام بمستوى التمهين تضاعف وذلك بفتح فرع نسيج الحرير سنة 1925، حيـث عين أول معلم له وبفتح المنصب يوم 12 ديسمبر 1925[5]، وفي يوم 15 فيفري 1926 عـين السـيد

---

(1) Académie d'Alger : **Bulletin Scolaire du Département de Constantine (Enseignement primaire)**, Anne 1912, N° 7 –8 – 9 Juillet – Août – Septembre, p 277.

(2) Académie d'Alger : **Bulletin Scolaire du Département de Constantine (Enseignement primaire)** , Année 1912, N° 3, Mars, 1912, p 91.

(3) أحمد محساس : " التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية "، **مجلة الثقافة**، العدد 85، الجزائر، يناير – فبراير 1985، ص 59.

(4) أحمد محساس : نفس المرجع، ص 59.

(5) **Bulletin de L'Enseignement des indigènes de L'Académie d'Alger, N°268–269–270–271, Janvier–Décembre 1926**, Ancienne Maison Bastide -Jourdan, Alger,1927, p 67.

"عبد الباقي بن سي أحمد" معلما لصنع الحرير بالوادي[1].

غير أن الدور الذي قام به المسجد والعلماء، والنخبة المعربة استطاع أن ينبه النخبة المفرنسة من المشـــروع الاستعمار حتى لا تنخدع، وعليه استطاعت النخبة المفرنسة أن تبرز على مستويات محلية، رغم ضآلة التحصيل إنطلاقا من التكوين العصامي الذي ساهم بشكل وافر في رفع تحديات هؤلاء الذين استطاعوا فضـــح نوايـــا المستعمر من خلال قوانينه وجرائده التي لعبت دورا هاما في عرقلة الإصلاح والتعليم العربي، خاصـــة خـــلال الفترة الممتدة ما بين 1933 و1938، وهذا في إطار الصراع بين جمعية العلماء المسلمين وإدارة الاحـــتلال الفرنسي للجزائر[2].

وأمام هذا الوضع المتردي الذي حاول المستعمر تكريسه، حتى يعيق عملية التنمية الفكرية لـــدى الأهـــالي حاولت جمعية العلماء المسلمين ومن قبلها العلماء والمؤدبين طمس الأكاذيب التي يحاول المستعمر تثبيتها مـــن أجل إنجاح عمليات التلاعب بالهوية الحضارية والشخصية الوطنية المستمرة وفق الفترات المتعاقبة، ممـــا جعـــل غالبية النخبة تنهل من نبع الحضارة العربية الإسلامية، ولهذا انصهرت هذه النخبة في جمعية العلماء المســـلمين والإصلاح بجميع مراحله لمحاربة الغزو الثقافي الممارس في حق الأهالي. ومن هذه الشخصيات نجـــد " محمـــد الأمين العمودي " الذي كان دعامة قوية للجمعية ، رغم تشبعه بالثقافة الفرنسية، وغيره كثير بوادي ســـوف استطاعوا تقديم يد العون والدفاع عن اللغة العربية أيما دفاع، وهذا انطلاقا من الشعور بالانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية. بالإضافة إلى الاحتكاك بالنخبة المعربة التي تمثلت في الطلبة الزيتونيين. وعليه فإن التحصـــيل المحدود بوادي سوف والذي تلقته هذه النخبة، وطبيعة المواد المدروسة رسخت لدى الكـــثير منـــهم مفهـــوم الاحتقار الذي مارسه المستعمر عليهم من خلال مستوى التدريس الابتدائي دون أن يسمح لكثير منهم تخطي هذا المستوى. وعليه فإن النخبة المفرنسة كانت على قدر عال من الوعي والتفطن لما هو يدور حولها، لهذا كان موقف الكثير منها موقف عداء قد لا يصرح به الواحد منهم لكنه يظل كامنا في نفسه، وعندما تحين الفرصـــة يحاول اتخاذ موقف يرضيه باعتباره عنصر يتمتع بكامل الخصوصيات والخصال ذات الأبعاد الحضارية التي هي في الأساس تنبع من انتمائه للحضارة العربية الإسلامية.

ومن خلال ما سبق يتبين أن أصناف هذه الفئات التي تمثل النخبة حاولت دوما على اخـــتلاف توجهاتهـــا المضي نحو رفع مستويات التحدي، وذلك انطلاقا من تجاوز العقبات، والإعداد لمراحل متقدمة قصد النهوض بالمجتمع، والوصول به إلى برّ النجاة، وهذا من خلال تأصيل التعليم الإسلامي، والتشجيع على حفظ كتاب الله

---

(1) Ibid , p 78.

(2) تركي رابح : " الصراع بين جمعية العلماء المسلمين وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة الممتدة ما بـــين (1933 – 1939م) "، **مجلة الثقافة**، العدد 85، الجزائر، ينار – فبراير 1985، ص ص 183 – 202.

باعتباره الخطوة الأولى للالتحاق بجامع الزيتونة المعمور قصد مواصلة التحصيل العلمي. وهذا من خلال النشاط الذي تميزت به المنطقة منذ نهاية القرن التاسع عشر، والمتمثل في الهجرة إلى جامع الزيتونة، ثم المرحلة الثانية التي أنتجت النخبة المعربة التي كانت في غالبها قد تحصلت على شهادة التطويع، وإن أخفق بعض منها فإننا وجدناهم قد أكملوا التحصيل من خلال تكوينهم العصامي. كما نجد النخبة المفرنسة التي استوعبت دورها من خلال المستوى التعليمي الذي كانت تتلقاه، والعراقيل التي كانت توضع أمامها قصد التضييق في مواصلة التعليم في مراحل أعلى. هذا ما ساهم في تفطنها واستيعابها دروسا مفادها سياسة التمييز، رغم قدرة الكثير من الجزائريين على الوصول إلى مراتب عالية، وهذا انطلاقا من الدور الذي لعبوه خاصة على مستوى التعليم مثل السيد " محمد العيد هقي " الذي استطاع إفتكاك منصب معلم بقوة فصاحته وإدراكه للغة الفرنسية، رغم أنه لم يتعد المرحلة الابتدائية، وغيره كثير.

وأمام هذا الوضع وجدت هذه النخب المختلفة أنه لابد من الوصول إلى نقاط تفاهم للاتفاق حولها، فكانت هذه النقاط متمثلة في معالم الإصلاح الذي ظهر منذ مطلع القرن العشرين، والذي أكدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال ثلاثيتها " الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا "، وهو شعار جريدة البصائر، فكانت هذه الأبعاد الثلاثة محور التقاء غالبية أعضاء النخب الثلاثة التي عرفتها منطقة وادي سوف خلال الفترة الممتدة بين 1900 و1939.

الفصـــــل الثـــالـــث :

تطور الحركة الإصلاحية بوادي سوف

(1900 - 1939م).

أولا : حركة الكتلة المحافظة بوادي سوف (1900 – 1919).

1 – طبيعتها.

2 - شخصيات وأعلام الكتلة المحافظة بسوف.

3 - ميادين ومجالات نشاطها.

4 - مواقفها من الإدارة الاستعمارية والطرق الصوفية.

ثانيا : الحركة الإصلاحية بوادي سوف بين الحربين (1919 – 1939).

1 - الحركة الإصلاحية بوادي سوف خلال العشرينات.

2 - ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف.

3 - ميادين ومجالات نشاطها.

4 – جمعيـــة العلمـــاء المسلمـــين الجزائـــريين بوادي سوف ومواقفها من الطرق الصوفية وإدارة الاحتلال.

إن الوضـــع الثقـــافي الذي كانت تعيشــه وادي سوف جعلها تتميـــز بـــدور هــــام مـــن خـــلال المساهمـــة في الإصـــلاح، وهـــذا انطـــلاقا مـــن دور الطـــرق الصـــوفية في ميـــدان التعلـــيم القـــرآني حسب تمـــركز كـــل طريقـــة في ضـــاحية من أرجـــاء وادي ســـوف، وهـــذا بـــــدوره ساهـــــم في تشييـــد عدد مـــن المســـاجد القديمـــة، والتي تحمـــل طـــابع التصـــوف مثـــل مسجـــــد الشابيـــــة بقمـــار، رغـــم أنه مسجـــد أســـس على التقـــوى لا عـــلاقة له بالتصـــوف الخـــرافي. أمـــا حاضـــرة الـــوادي فـــإن طابـــع الحيـــاة الاقتصـــادية يضطـــر الأهـــالي إلى طلب العيـــش خـــارج حـــدودهم، ممـــا فـــرض علـــى كثيـــر منهـــم التـــوجه نحـــو تـــونس. كمـــا توجـــه آخــــرون نحــــو المـــدن الجزائـــرية مثـــل بســـكرة وقسنطينـــة[1]. أمـــا الحـــواضر الأخـــرى فقـــد تبـــاينت نســـبة العلمـــاء والمؤدبـــين فيهـــا نتيجـــة بعـــدهم عـــن المـــراكز الفـــاعلة في المنطقـــة من جهـــة، والوضـــع الثقـــافي الســـائد الذي يغلب عليـــه الطـــابع الطـــرقي. كمـــا نجـــد إلى جـــانب الحاضرتين الســـابقتين قمـــار والـــوادي حاضـــرة الـــزقم التي كـــان ارتبـــاطها بتـــونس وثيقـــا. وأمـــام هـــذا الوضـــــع فـــــإن الحـــركة الإصـــلاحية بـــوادي ســـوف عـــرفت مرحلتـــين :

- مـــرحلة مـــا قبـــل الحـــرب العـــالمية الأولى، وقـــد طبعـــت بطـــابع الكتـــلة المحـــافظة.

- أمـــا المرحلـــة الثـــانية فقـــد شهـــدت فتـــرتـــين :

- فتـــرة العشرينـــات.

- وفتـــرة مـــا بعـــد ميـــلاد جمعيـــة العلمـــاء المسلمـــين الجزائريين.

وهـــذا مـــا يـــجعلنا نقـــف عنـــد تســـاؤلات هي كـــالآتي :

- مـــا طبيعـــة الحركـــة الإصـــلاحية التي ظهـــرت بــــوادي ســـوف خـــلال الفتـــرة 1900 – 1919؟- مـــن هـــم شخصيـــاتها وأعـــلامهـــا؟- مـــا هـــي ميـــاديـــن ومجـــالات نشـــاطهـــا؟- ومـــا مـــواقفهـــا من الإدارة الاستعمـــارية، والطـــرق الصـــوفية؟- ومـــا هـــو وضـــــع الحـــــركة خـــلال العشـــرينات؟ - وكيـــف ظهـــرت جمعيـــة العلمــــاء المســـلمتين الجـــزائـــريين بــــوادي ســـوف؟- ومـــا هي ميـــادين ومجـــالات نشـــاطها؟- ومـــا هـــي مـــواقفهـــا مـــــن الطـــــرق الصـــوفية، وإدارة الاحتـــلال؟

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 173 – 174.

أولا - حركة الكتلة المحافظة بوادي سوف (1900 – 1919) :

1 - طبيعتها :

إن الوضع الذي كانت تعيشه الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين 1900 و1919 يعتريه الكثير من الغموض حول طبيعة الحركة الإصلاحية بخلاف الوطن العربي والإسلامي الذي كان يعيش نهضة فعلية منذ النصف الثاني من القرن 19م، هذا لم يمنع الجزائر من أن تشهد حركة ثقافية استطاع أن ينشط من خلالها العديد من أبنائها، وذلك في إطار الدعوة إلى مناهضة الركود والتخلف، ومجابهة الاستعمار.

انطلاقا من رفع راية التعليم ومسايرة الظروف التي كانت تعيشها البلدان العربية والإسلامية. ووادي سوف لم تكن في منأ عن هذه الظروف، هذا ما جعل مجموعة من أبنائها ينمو لديهم روح الرغبة في التعلم والتعليم فيما بعد، حيث كان لهذا الدور أثر بالغ الأهمية في إنشاء جيل استطاع تحمل المسؤولية أكثر من أولئك الذين ظل سعيهم يتراوح بين مناهضة العادات السيئة التي سادت بالمنطقة من جهة ومسايرة الطرق الصوفية بشتى أطيافها من جهة أخرى. وعليه فإن طبيعة الحركة الإصلاحية غلب عليها طابع الكتلة المحافظة بالإضافة إلى طغيان الطابع الطرقي على كثير من أعلامها الذين أبدوا مساهمات مختلفة فرضتها ظروف سياسية واقتصادية، واجتماعية وثقافية. علما أن حاضرة قمار شهدت حركة إصلاحية منذ الحرب العالمية الأولى[1] نتيجة نشاط المساجد التعليمي والدعوي من خلال دور الشيخ عمار بن الأزعر بالاضافة إلى دور شيوخ حاضرة الزقم الذين كانوا أكثر تحررا من الطرقية كما هو معهود في الكثير من قرى وحواضر سوف.

لهذا نجد أن الحركة طبعت بطابع كتلة المحافظين، وهي لا تختلف عن الكتلة المحافظة بالبلاد والتي عرفها أبو القاسم سعد الله بقوله : « نعني " بكتلة المحافظين " كل الطبقات الجزائرية التي قبلت المحافظية ... كانت هذه الكتلة تتكوّن من المثقفين التقليديين أو العلماء، ومن المحاربين القدماء، ومن زعماء الدين، وبعض الإقطاعيين والمرابطين، وقد كان بعض هؤلاء معلمين، وممثلين نيابيين معينين تعيينا، ومصلحين يؤمنون بالجامعة الإسلامية، وصحفيين كما كان بعضهم ينادون بالتقدم، والتسامح والتعليم. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان منهم من ترك المقاومة وأنغمس في الغموض الديني والسلبية المجردة[2]. »، وهذا بخلاف المنطقة التي لم تشهد هذه التشكيلة المختلفة الأطياف، غير أنها عرفت حضور العديد منهم باختلاف مشاربهم من خلال الأدوار التي لعبوها انطلاقا من الصحافة، والكتب العديدة التي قام أصحابها بنشرها بالمطابع التونسية، وهذا للعلاقات

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 172.

[2] أبو القاسم سعد الله : نفس المرجع، ص 152.

الوطيدة بهذا البلد المجاور من جهة، والحركة الثقافية التي يعيشها من جهة أخرى، حيث كان لها الأثر البالغ على شخصيات وأعلام المنطقة علما أن غالبيتهم قد تلقى مرحلة من التعليم سواء بالجريد التونسي أو بجامع الزيتونة المعمور. وهو ما دفع بالكثير من الشيوخ بوادي سوف إلى محاربة الوضع الثقافي المتردي، والسعي وراء تطوير الإمكانيات المتاحة لهم، حيث برزوا على مستوى التعليم من خلال مساجد المنطقة، أو في بيوت خاصة أعدت للمسامرات، ومتابعة أحداث العالم الإسلامي. وهذه الكتلة يمكن التعرّف عليها من خلال بعض الشخصيات، وما استطاعت أن تساهم به في هذا الميدان الثقافي.

2 - شخصيات وأعلام الكتلة المحافظة بسوف :

إن الحديث عن هذه الفئة يقودنا إلى تناول بعض العينات التي كان لها صيت بالغ الأهمية في الحواضر الرئيسية الثلاث السابقة الذكر بوادي سوف، وهذا حتى نستطيع الوقوف على أدوارهم ومساهماتهم الفكرية قصد الإطلاع على مواقفهم من التطورات بالعالم الإسلامي، والجزائر والمنطقة.

أ - حاضرة قمار :

إن حاضرة قمار كانت دوما تعرف نشاطا ثقافيا دءوبا نتيجة للدور الذي قامت به المساجد، مما جعلها تعرف باستمرار بروز شخصيات وأعلام ساهموا في تفعيل الحركة الثقافية ليس على مستوى بلدة قمار فحسب بل في كل أرجاء إقليم سوف، ليتعدى ذلك إلى أن يطول أرجاء أخرى كان من أهمها وادي ريغ بما فيه تماسين، رغم طغيان طابع الفساد بقمار[1]، إلاّ أن النشاط التعليمي كان ذا حركة مستمرة وفاعلة، وهذا لاستقرار أهالي البلدة واشتغالهم بالزراعة[2]، جعل التعليم يلقى قبولا واسعا لدى الآباء والبنين، لكون الأهالي ذو شغف شديد للتعلم، فكان هذا من أهم الأسباب المساعدة على انتشار المدارس والكتاتيب بالبلدة. كما تعد البلدة من بين المناطق التي عاشت حركة علمية لتنشئة الشباب والكهول، والشيوخ، رغم محاولة القضاء على هذه الحركة في مهدها من طرف أعداء العلم منذ الحرب العالمية الأولى خوفا من ظهور الحقيقة، فتكشف ستارهم، وقد احتم بعض المتحاملين من مريدي الطرق الصوفية على هذه الحركة بسلطة الإدارة الاستعمارية في إخفائها، غير أن الكثير من شخصيات وأعلام الحركة حاولوا التستر كي لا يقضى على هذه الحركة العلمية، أو تقتلع من قلوب الراغبين في التعلم بعدما آتت أكلها ضعفين[3].

ومن هؤلاء الذين كان لهم حظ وافر في المساهمة بقسط من التعليم نجد :

---

[1] محمد صالح الجابري : **رحلات جزائرية**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001، ص 147.

[2] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 173.

[3] محمد صالح الجابري : **رحلات جزائرية**، ص 146 – 147.

- الفقيه " العيد بن أحمد بن سعد " المولود بتماسين سنة 1839 ساهم في تعليم القرآن الكـــريم واللغـــة العربية، كما علم فنّ الخط[1]، واشتغـــل في سلك القضاء نحو ثمانيـــة وعشرين سنة بقمار، وهذا بعد مكوثه بالبلدة، وقد تعلم على يده العديد من أبناء المنطقة، لتتوفاه المنية سنة 1912[2].

- الشيخ الأديب " محمد الزبيري " : وهو الشيخ محمد بن بلقاسم بن علي بن عمر بن عمار المعروف بسي محمد بن البّرية[3]نسبة لوالدته[4] ولد سنة 1296 هـــ / 1874م. أخذ العلم ببلدته، حيث حفظ القـــرآن الكريم، ومبادئ العلوم الدينية، واللغة العربية، و لم يتنقل لطلب العلم خارج قمار، بل كان تلقيه للعلوم مـــن طرف الشيوخ القادمين إليها، ومن هؤلاء العلماء نجد الشيخ " محمد المكي بن عزوز " والشيخ " محمد الخضر بن الحسين "، وبعض شيوخ الشابية الذين اعتادوا التوافد على قمار من اجل الزيارة التي كان يغلب عليهـــا الطابع العلمي، وأكثر الشيوخ الذين تلقى عليهم نجد من بينهم الشيخ "إبراهيم البختري التوزري" الذي كان يتوافد على قمار، ويمكث بها شهورا مرات عديدة، مما يسمح للطلبة بالأخذ عليه بالبلدة. أما شيوخ البلـــدة الذين أخذ عليهم هم كثر منهم : الشيخ علي بن القيم والشيخ " أحمد دغمان " ، والشيخ "الحاج أحمد هالي" وغيرهم[5].

ومع هذا حاول الشيخ محمد بن البّرية أن يكوّن نفسه، فساعده في ذلك إستعابه الواسع للفنون المختلفـــة، وذكاؤه، فاستطاع أن يكون شيخ علم عصامي اعتمد على اجتهاده وعقله فتحصل على ما كان يبغيه مـــن التعلم[6]، حيث يقول عنه الشيخ محمد الطاهر التليلي : « لم يخرج من بلدته لتلقي العلوم والبحث عنـــها في مظانها بل أتته منقادة تجرّ أذيالها إليه، وترمي بأثقالها عليه، فلم يتـــرك شـــاردة ولا واردة إلاّ وعاهـــا فهمـــا وحفظا[7]. » .

وميله للأدب كان منذ الصبا، حيث كان قصادا (منشدا) من أبرع القصادين؛ أي المنشدين بقمار، وبعـــد مرحلة التحصيل مارس الشيخ مهنة التعليم مؤدبا بالزاوية التجانية بقمار، فعلم القرآن الكريم، ثم بدأ في تعليم العلوم الأخرى بالزاوية نفسها، وفي بعض مساجد قمار. كما كان يرتحل مع أهل الزاوية كل ستة أشـــهر إلى تماسين ليعود إلى قمار أوائل الصيف منشغلا دوما بتأديب الصبية، ومعلما للشيوخ، لتعينـــه الإدارة الفرنســـية

---

[1] عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، ص 04.
[2] نفسه، ص 04.
[3] محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 77.
[4] عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، ص 05.
[5] محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 77.
[6] عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، ص 05.
[7] محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 77.

مدرسا بتماسين، وبحكم اتصاله وتبعيته للزاوية التجانية، والإدارة الفرنسية قلل من رغبة التحصيل العلمي على يده، بل راح يدافع عن الطريقة في الظاهر. ومن أثاره الأدبية قصائد عديدة، إلاّ أنها مطمورة نتيجة تراخـــي صاحبها في الكشف عنها، ثم اختفت بعامل الزمن، وجاء على لسان الشيخ محمد بن البُّرية نفسه : « في سنة 1320هــ/1903م زار شيخ زاوية عين ماضي الشيخ "محمد البشير التجاني " زاوية تماسين وكنت فيهــا معلما فأنشأت قصيدة مدحته بها وأنشأتها قائما بحضرته وحضرة أولاد الزاوية على عادة الشعراء » ومطلــع القصيدة هو :

إن رمــــت أن تعـــط السعادة في غد   نا خصص مديحك آل بيت محمد.

فهم لنا سفــــن النجاة من الـــردى   وهـــم الشفعـــاء يـــوم المـــوعد.

من لم يكن اهتدى بهـــم في سعيه   ضل السبيل وما لـــه من مهتدي[1].

وفي نفس السنة[2]، أي 1903، اجتمع الشيخ محمد بن البّرية بالأستاذ العلامة الشيخ محمد الخضر بـــن الحسين ببلدة قمار، فحدث بينهما جدال حول مسألة شعرية إستطاع الشيخ محمد بن البّرية الإجابـــة عنـــها فاستحسنها عليه الشيخ محمد الخضر بن الحسين، والمسألة دارت حول مقطوعة شعرية[3]. كما حاول الإدلاء في مطابقة الأشهر القبطية بالأشهر الرومية عن طريق النظم وهذا من خلال الأبيات الآتية:

إذا رمت تعريفا بأشهر قبطهم   فبادر لنظم قـــد أتـــاك مسلســـلا.

فـــأولهـــا تـــوت فبـــابه فتهاتر   كهيك فطوبه ثم امشيـــر انجـــلا.

كـــذا برهمات فيم يرمود يشنس   فبونه ابيـــب ثـــم مسرى مكملا.

وإن تـــرد الإيضاح عمـــا زبرته   لتخرج مــــن ريب التشبـــه حيهلا.

فتوت بروم هو غشت وهكذا   تقـــابل أعداد الشهـــور على الولا.

ويســـأل ذو التقصير أعني محمدا   جميـــل العطايـــا من إلـــه تفضلا.

وقال الشيخ محمد بن البّرية إثر هذه الأبيات: « وبيان ذلك أن توت يقابله غشت، وبابه شتنبر وهكذا إلى

---

(1) نفسه، ص 77.

(2) محمد واعدة : **محمد الخضر حسين حياته وأثاره**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص ص 40 – 41.

(3) محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 78.

آخره. ». أما مدحه للرسول (ρ) فقد كانت له قصائد مولدية ينشدها في النادي الأدبي أيام مولد الرسول(υ) بدار القاضي السيد " عبد الغني"، ومن تلك القصائد نجد القصيدة التي منها الأبيات الآتية[1] :

أخـــفى الهـــوى وتذيعه أجفـــانـــي والشوق مـــن ألم الجفا أفناني.

ومـــتى يومل راحة من تنـــقضـــي أيامـــه في الصـــدّ والهجران.

لعب الغـــرام بلبـــه وبـــعقـــلـــه فتـــراه بيـــن النـــاس كالولهان.

تحيـــيه ساعات التـــمـــني باللقـــا وتـــمنيته بأســـا بغيـــر ضمان.

الله كـــم أحيا بهـــا وأموت مـــن طول النـــوى وتـــزايد الأحزان.

وبمهـــجتي رشـــأ يميس قـــوامـــه فاق القنـــاة وفـــاق غصن البان.

إلى أن يقول :

ولكـــم رمانـــي فيكم الواشون من قـــول الخنـــا والـــزور والبهـــتان.

وأنـــا مـــزجت بحبـــكم زمن الصبا مني مـــريـــدا أن أصـــون جـــاني.

فلأنـــتم كهـــف لمـــن بكم التجـــا ولأنتـــم عـــز الـــذلـــيل الجـــاني.

فامنـــن علي بنظـــرة أحيـــا بهـــا وأنـــل مـــن العـــليـــاء كـــل مكان[2].

وهكذا نجد أن محمد بن البّرية حاول النظم في كثير من الفنون، غير أن شعره يلاحظ عليه الحرص الدقيق في اللفظ الصحيح الذي لا يمس بالاعتقاد الفاسد بل نجد أنه كان واعيا لما تشبّع به من علوم شتى نتيجة الحركـــة العلمية التي شهدتها بلدته قمار أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين. وهو بهذا يحاول إحياء الأدب الناضج، والمتأصل الذي يمثل استمرارية للأدب العربي الفصيح، وهو يؤكد قدرة الإنسان الجزائري الذي يتكبّد ويلات الاستعمار، وسياسته التعسفية خاصة تجاه التعليم. فكان الشيخ محمد بن البّرية أحـــد أقطـــاب الأدب الذين ضاع أدبهم نتيجة عدم رغبة أصحابه في الإفصاح عنه، وهذا التصرف هو ليس سمة تميز بها الشيخ محمد

---

[1] نفسه، ص ص 82 – 83.

[2] هذا البيت موجود في همزية عمر بن الفارض غير أن الشيخ الزبيري هنا أبدل بلائي هواني – ينظر محمد الطاهر التليلي : **مـــن تـــاريخ وادي سوف**، ص 82.

ابن البّرية، بل هو ميزة اطبع بها رجال الفكر المغاربة خاصة الجزائريين[1].

-الشيخ " محمد الصالح بن الخوصى القماري " : هو محمد الصالح بن أحمد بن محمد الصالح، وهـو مـن أصول الجريد التونسي جاء أجداده إلى سوف وهم من قرية أولاد بو هلال في توزر، ولم يعلم ميلاده. كانت له ثقافة أدبية، كما حفظ القرآن الكريم وقد أدب الصبية، وذلك من خلال تحفيظ القرآن الكـريم سـنوات عديدة في قمار بالزاوية التجانية، ثم هاجر إلى تونس وأقام بها معلما للقرآن الكريم بأحد مساجدها ما يربو عن ثمانية سنوات. لكن أهل قمار كانوا دائمي الاتصال به ملحين عليه بالعودة إلى قمار، فما كان على الشـيخ محمد بن الخوصى إلا تلبية طلبهم بالرجوع، وكانت حرفته بعد عودته إلى قمار نسخ المصاحف، كما ولـع بالتقصيد؛ أي الإنشاد، فكان ملازما لنادي الشيخ القاضي عبد الغني الذي كان محبا للأدب والأدباء.

وقد كان الشيخ محمد بن الخوصى من أهم الأدباء البارزين بقمار، وله قصائد أنشأها وأنشدها في النادي، وهي عديدة ومنها قصيدة يصف فيها تونس وقد أرسلها لصديقه محمد ابن البُّرية منها :

رأيت الحور والولدان جمعا بجنة تونس الخضراء البهية.

إلى أن يقول :

لعمرك ما بـها يغشـا لا غمّ ولا همّ ولا كرب الأذية.

فـوا أسـفا على عمر ودهـر يمر بغيرها تلك الرزية.

فسبحـان المخصص من يشاء بما قد شاء من هبة العطية.

وقد توفي الشيخ محمد بن الخوصى سنة 1345 هـ/1926م[2].

- الشيخ " أحمد بن القا القماري " : هو أحمد بن محمد بن عبد القادر بن نور الدين بن القا ولـد سـنة 1305هـ / 1884م بقمار، وهو من أسرة فقيرة، لكن صبره ومجالدته جعلته يتحدى إعاقتـه المتمثلـة في فقدان البصر، فعاش ضريرا دون أن يأبه لذلك، بالإضافة إلى ذكائه الفذ. حفظ القرآن الكريم بقمار على يـدّ الشيخ إبراهيم بن زغودة، وتعلم مبادئ العلوم الدينية والعربية على شيوخ قمار، وعلى الشيوخ الذين وفـدوا

---

[1] أبو القاسم سعد الله : " منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية المغاربية "، **محاضرة**، الأيام الدراسية لطلبة سنة أولى ماجستير (حركات تحـرر المغرب العربي)، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسـنطينة، يـوم 26 صـفر 1424هـ / 28 أفريل 2003م.

[2] محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص ص 83 – 84.

على البلدة، فكان حريصا على حضور الدروس التي يلقيها شيوخ البلدة أو الوافدين عليها، ثم ما لبث أن هاجر إلى منطقة الجريد بتونس، فتعلم على يد عدد من الشيوخ بتلك المنطقة، ثم عاد إلى قمار، لينخرط في سلك التعليم فدرّس **متن ابن عاشر** في الفقه وكتاب **الأجرمية** لبعض العامة والطلبة. فكان الشيخ أحمد بن القا مجاهدا حق الجهاد، وهذا لعدم اكتراثه بالعاهة التي لازمته، والفقر الذي لزمه، لكن فساحته العقلية وسعيه للتعلم جعله عصاميا هماما دون أن يكترث لعاهته؛ أي فقدان بصره، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث كان نبراسا يضيء على عامة البلدة. وبالإضافة إلى هذا كله كان الشيخ حافظا لعدة متون من المتون المتداولة في البلدة مثل : **متن الرسالة**، و**مختصر سيدي خليل**، و**العاصمية**، و**الأجرومية** وغيرها. وفي يوم 08 ربيع الأول 1360 هـ / 11 نوفمبر 1939م توفي الشيخ أحمد بن القا عن عمر يناهز الخامسة والخمسين سنة، وقد دفن بمقبرة قمار، ومن بين تلاميذته الشيخ محمد الطاهر التليلي الذي يقول فيه :« كان لا ينقطع عن التعلم وعن التعليم في آن واحد، فهو أستاذ هنا، وطالب هناك، فكان ملازما لدروس الشيخ محمد بن البّرية بقمار، ويحضر دروس الشيخ " عمار بن الأزعر "، وكان يقرأ القرآن في مسجد سيدي عبد الرحمن بقمار ويقرأ ابن عاشر في مسجد العمامرة في قمار، ويقرأ كتاب الرسالة وكتاب سيدي خليل في مسجد الطلبة، ويحضر دروس الشيخ محمد ابن البّرية والشيخ اللقاني والشيخ عمار بن الأزعر[1]. ».

- الشيخ " محمد بن السايح اللقاني " : ولد الشيخ محمد بن السايح بنفطة بالجريد التونسي سنة 1313هـ[2] / 1887م وأصله من الطيبات وبها حفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم، لينتقل إلى نفطة ليكمل دراسته على شيوخ أبيه[3]، وفي أوائل 1334هـ / 1918م سافر إلى تونس ولتحق بجامعها الأعظم؛ أي جامع الزيتونة، لينخرط في سلك الممتحنين فحصل على شهادة العالمية (التطويع)، ثم عاد إلى الجزائر ليزاول مهنة التدريس ببلدتي تماسين وقمار، حيث أسس مدرستين فيهما، وهذا ما أقر به الشيخ في ترجمته لنفسه التي بعث بها لصاحب كتاب **شعراء الجزائر**، وذلك بإمضاء مؤرخ بقمار 13 ربيع الأول 1344 (محمد اللقاني)[4]. وللشيخ اللقاني قصائد عديدة منها :

- قصيدة " النصر العزيز "[5] وقد نشرت في جريدة **النجاح** بعد معركة أزمير التي انتصر فيها مصطفى

---

[1] نفسه، ص 91.

[2] محمد الهادي الزاهري : **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، ج 1، ط 1، المطبعة التونسية، تونس، 1345هـ / 1926م، ص 31.

[3] محمد الطاهر التليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 101.

[4] محمد الهادي الزاهري : المصدر السابق، ص 32.

[5] نفسه، ص ص 33 – 35.

كمال أتاتورك، وقد نشرتها عدة صحف بالشرق، وحتى جريدة **الفطرة الغراء**[6].

- قصيدة " إلى الشعب الجزائري "[1]، والتي نشرت في جريدة **الإقدام** لمديرها ومحررها الأمـــير خالـــد في عددها الصادر في 26 جمادي الثانية 1341هـ[2].

وبالوقوف عند هذه القصائد والصدى الذي لقيته محليا وعربيا، وإسلاميا يدل على قدرة الرجل على العطاء من جهة، وتواصل وادي سوف مع غيرها من أرجاء العالم الإسلامي من جهة أخرى. لكن الشيخ طاله الكثير من ظلم الطرقية والسلطة الاستعمارية أجبره على مغادرة قمار إلى تونس[3]. وهكذا كانت بلدة قمار تعـــج بالنشاط العلمي مما جعل أهلها يتعطشون للعلوم، بالإضافة إلى الحركة العلمية التي عرفتها عن طريق زيـــارات متكررة لبعض شيوخ الجريد التونسي وجامع الزيتونة، والحميمية الشديدة لشيوخ كثر كان لهم دور في نشـــر العلم، بالإضافة إلى حركة الزاوية التجانية في تلك الأثناء. وعليه فإن هذه الحركية أوقدت في الكثير من شباب المنطقة الرغبة في مناهضة سلبيات الوضع المعاش، والبحث على سبل تكون أكثر تكفلا بمتطلباتهم.

ب- حاضرة الوادي :

زخرت حاضرة الوادي بعدد من الشيوخ الذين كان لهم دور في تنشئة الأجيال. وهذا منذ أواخر القـــرن التاسع عشر، هذا ما دفع بكثير من أبناء المنطقة إلى الرغبة في تحصيل العلم وتعليمه، نتيجة ما كانت المنطقـــة تعيشه من أوضاع اجتماعية مزرية وأخلاق متعفنة، حتى صار الشاب يخطف الفتاة قصد التزوج بها رغما عن أهلها[2]. وأمام هذا الوضع المؤلم لم يتقبل الكثير من أبناء المنطقة هذه الوضعية، بل راحوا يبثـــون في نفـــوس الناشئة روح المقاومة ومناهضة الوضع، سواء أكانوا علماء المنطقة أو علماء من مناطق أخرى، وهـــذا مثـــل الشيخ الصادق بلهادي (1875 – 1939م)[4] الذي عين "باش عدل" بالمحكمة الشرعية بوادي سوف، ثم نقل منها إلى "تكوت" بباتنة، ثم أعيد مرة أخرى إلى محكمة الوادي، وهذا قبـــل ســـنة 1911[5]. وهكـــذا

---

[6] نفسه، ص ص 33 (هامش 1)

[1] نفسه، ص ص 36 – 39.

[2] نفسه، ص 36 (هامش 1).

[3] محمد الطاهر التليلي : **منظومات**، ص 08.

[3] إبراهيم العوامر : المصد السابق، ص 11.

[4] فوزي مصمودي : " العلامة الصادق بلهادي البسكري (شيخ العلامة العوامر وعبد المجيد بن حبة في طي النسيان) "، **من كتاب الأســـتاذ الصادق بلهادي عالم سيدي عقبة ومدرسها الفذ (1875 1939)**، جمع وإعداد سليم راشد وعبد الحليم صيد، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، ط 2، طبع مكتبة الطالب، بسكرة 1419هـ- 1998م، ص ص 07 -10.

[5] فوزي مصمودي : نفس الرجع، ص 09.

تضافرت الجهود بين علماء المنطقة وخارجها، وانبعث النشء، وظهر عدد لا بأس به من هؤلاء العلماء نجد من بينهم :

- الشيخ إبراهيم بن عامر : هو إبراهيم بن محمد الساسي بن عامر السوفي[1] ولد سنة 1289هـ / 1881م بالوادي في أسرة متوسطة الحال، حيث كان أبوه صاحب متجر لبيع الصوف في بلدة قمار[2]، ومصاحبة إبراهيم لأبيه باستمرار إلى قمار جعله يتلقى العلم على شيوخ البلدة بعد حفظه للقرآن الكريم، ثمّ ما لبث أن اهتم بالحضور لدروس علمائها، وهي دروس ابتدائية في الأجرومية وابن عاشر، وغيرها[3]. وعند اشتداد عوده تجلت طموحاته في الاغتراف من مناهل المعرفة، والإكتراع من حياض العلم، فما كان عليه إلا شدّ الرحال إلى الجريد التونسي، حيث أخذ عن كبار مشائخها العلوم والمعارف[4].

وبعد هذه الفترة الزمنية التي مكثها في تونس عاد الشيخ إلى وادي سوف، فربط صلته بكل من الشيخ عبد الرحمان العمودي والشيخ محمد العربي موساوي، فجالسهما حينا من الزمن يتلقى عنهما مختلف الدروس، لكن الشيخان ألحا عليه بالذهاب إلى تونس لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة، فما كان عليه إلا تلبية غربتهما، وبالفعل أتم الشيخ دراسته بجامع الزيتونة المعمور، ثم عاد قافلا إلى وادي سوف بعد إنهاء دراسته، لينشغل بهموم الحياة وينغمس في العمل رغم الظروف التي كانت تعيشها منطقة وادي سوف ونواحيها من استعمار وجهل، وسوء أخلاق قد تفش لدى شباب المنطقة. فما كان على الشيخ إلا رفع صوته لإصلاح ما كان فاسدا، وقد رسم لكفاحه خطة ذكية، فراح يجمع الناس حوله بعنوان "مسامرات دينية"، ودروس في تفسير القرآن الكريم، فكانت مسامراته عبارة عن دروس مركّزة على التوعية وإيقاظ الضمائر[5]. أما الشيوخ الذين تلقى عليهم العلم فهم كثر منهم ما قبل مرحلة دراسته بالزيتونة وهم :

الشيخ المولدي بو عرقيةالذي كان شيخ الزاوية القادرية بالجريد التوتنسي بتوزر، حيث كانت هذه الزاوية تتكفل بتعليم الصبيان والشباب على حدّ السّواء مبادئ الدين، واللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، فتعلم بها على يد الشيخ المولدي وبعض شيوخها، وهو يقول في قصيدة له مادحا شيخه سيدي المولدي[6].

---

[1] عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر**، ط 2، مؤسسة نويهضة الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1400هـ - 1980، ص ص 181 – 182.

[2] الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص 36.

[3] الجيلاني العوامر : نفس المرجع، 36.

[4] إبراهيم مياسي: " أضواء على الشيخ العلامة إبراهيم العوامر السوفي "، **الندوة الفكرية الرابعة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 30 أفريل – 01 – 02 – 03 ماي 1991، ص 61.

[5] إبراهيم مياسي: " أضواء على الشيخ العلامة إبراهيم العوامر السوفي "، ص ص 36 – 37.

[6] إبراهيم العوامر : " قصيدة في مدح الشيخ المولدي بوعرقية "، **ديوان في الشعر الصوفي**، مصدرسابق، ص 07.

أما شيوخه من سوف نجد منهم بعد عودته من الجريد التونسي كل من : الشيخ عبد الرحمـــان العمـــودي والشيخ محمد العربي موساوي[1]، الشيخ العلامة الصادق بلهادي العقبي[2]. أما بجامع الزيتونة المعمور نجـــد أن الشيخ قد درس على يد مجموعة من الشيوخ أهمهم : الشيخ " محمد النخلي القيرواني " زعيم النهضة الفكرية، والشيخ محمد الخضر بن الحسين والشيخ المتصوف حسن بن يوسف، وغيرهم كثيرون. أما عن نشاطه فقـــد مكث الشيخ مدة دون أن يجد عملا يشتغل به بعد عودته من جامع الزيتونة، هذا ما جعله يشد الرحـــال إلى بلدة سيدي عقبة بأرض الزاب، بحثا عن عمل. وما لبث أن عاد إلى وادي سوف، ليوظف الشيخ بالمحكمـــة الشرعية بالوادي برتبة باش عدل، وعلى إثرها اخذ الشيخ ينظم الأحكام فيها وفق المذهب المـــالكي، فكـــان مرجعا للفتوى في الكثير من القضايا داخل المحكمة وخارجها[3]. وقدرة إستيعابه جعلته يلم بالفقه ليس علـــى المذهب المالكي بل المذاهب الأخرى، فكان يخرج في فتواه على المذهب المالكي إلى المذاهب الأخرى عمـــلا بقوله تعالى : (**يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْر**[4].).

أما اهتماماته السياسية فقد كان يجمع لذلك أتباعه بعد كل صلاة عشاء في مترل له بحي أولاد احمد أتخـــذ ناديا، حيث كان الشيخ ذا كرم لا تخلو جلسة من هذه الجلسات من التاي والكوكاو وبعض ما جاد عليـــه، ليمتد اللقاء إلى نصف الليل، فيذكر الشيخ الجماعة بأهم الأحداث والمجريات السياسية مثل : حرب تركيا في بلاد البلقان، ومقاومة المجاهدين الليبيين بطرابلس ضد الطليان، والهجوم الفرنسي على المغرب الأقصى[5].

وذات يوم دخل الشيخ على جلسائه في سهرة من السهرات بالنادي، وهو يحمل بين يديه أوراقا ســـجلت بها قصيدة من الشعر الملحون موجهة إلى المجاهدين من قبيلة "غريان" بطرابلس تدعوهم فيهم إلى الجهاد ضـــد عدوهم، وقد نسب الشيخ هذه القصيدة الى من اسماه "محمد السوفي" جاء فيها[6] :

يـــا لندرا غريان فيكش نعـــرة فيـــكـــش جمـــاعة حـــازمـــة بالنغرة.

شجعـــان ما يولوش وقت الدعوة يصلو العدو شعـــلا بـــلا تبـــريـــد.

أنا يا غريـــان تحـــمـــي باسك شتت جموع اللي اتـــرموا عن ساسك.

---

[1] علي غنابزية : " العلامة الشيخ إبراهيم العوامر مؤرخ الصحراء وسوف "، مرجع سابق.

[2] فوزي مصمودي : الرجع السابق، ص 12.

[3] علي غنابزية : " العلامة الشيخ إبراهيم العوامر (سيرته ومآثره) "، ص ص 05 – 06.

[4] **سورة البقرة**، الآية 185.

[5] علي غنابزية : " العلامة الشيخ إبراهيم العوامر مؤرخ الصحراء وسوف "، مرجع سابق.

[6] إبراهيم مياسي: " أضواء على الشيخ العلامة إبراهيم العوامر السوفي "، ص 63.

تمشي اتناغي في السماء ابقنطاسك تقطع طمع مـــن قال هم جهد ايدي.

نـــوصيك يا غريان صّد اشـــواره حضـــن عليـــه البـــاب عند ازواره.

واسقيـــه من كاس العذاب امراره واصـــل عليـــه الحـــب بالتغـــريد.

نبيك يا غريـــان هـــذي اوصـــايه راهـــي جميـــع النـــاس ليك امرايه.

وتعود القصيدة إلى أحد الشعراء الليبيين، وهذا لإطلاع أصحابه بالوضع الجاري بطرابلس. أمـــا أعمالـــه الأدبية والفكرية والفقهية، فهي كثيرة نحصر من بعضها الآتي :

أولا – **شرح نظم الكافي في العروض والقوافي**، وقد جاء في قول للأستاذ حمزة بوكوشة أن الشيخ المولود ابن الموهوب مفتي قسنطينة رحمه الله ألف كتابا سماه " **التبر الصافي في نظم الكافي في العروض والقـــوافي** "، فقام الشيخ بشرحه مسميا شرحه بـــ **"مواهب الكافي على التبر الصافي"** نشر في تونس سنة 1323هـــــ / 1907م له نسخة موجودة في المكتبة الوطنية التونسية ضمن مجموعة تحت رقم 1680[1].

ثانيا – " **النفحات الربانية على القصيدة المدنية** "، وهي شرح لقصيدة الشيخ الحاج " علي بن الحاج نصر الجريدي " عند رحلته إلى الحج، ونشرت بتونس من خلال المطبعة التونسية بنهج سوق لبلاد عدد 75 تونس 1323هـــ / 1907م يحتوي الشرح المطبوع على أكثر من أربعين صفحة[2].

ثالثا – " **مطالع السعود تشطير أدبية الشيخ المولود** "، وهو عبارة عن تشطير نظم المولود بن الموهوب في ذمّ البدع والابتعاد عن مقاصد الدين[3]، وقد نشر في جريدة **الفاروق**[4]. وقد يكون إطلاع إبراهيم بن عامر على العمل نتيجة نشر القصيدة " **المنصفة** " من جريدة **كوكب إفريقيا** سنة 1910، وما لقيته هذه القصيدة من ردود فعل، مما دفع بالشيخ عبد القادر المجاوي بإلحاح من أصدقائه وتلامذته القيام بشرح القصيدة موضحا البدع التي أدخلت على الإسلام[5]، فكانت مساهمة الشيخ إبراهيم بن عامر رغبة في إبداء رأيه باعتباره أحـــد المثقفين. بالإضافة إلى دور الصحافة العربية التي تقوم بالتعريف بأعمال الشخصيات الجزائرية ممـــا ســـاعد في

---

[1] حسان الجيلالي : " الشيخ إبراهيم العوامر حياته وآثاره "، **الندوة الفكرية الرابعة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الـــوادي، أيـــام 30 أفريل – 01 – 02 – 03 ماي 1991، ص 53.

[2] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 217.

[3] ينظر أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1986، ص 195.

[4] **الفاروق**: العدد 56، 191. – ينظر أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ص195. (هامش رقم 02).

[5] أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 25.

الإطلاع على مجريات الأحداث بالبلاد.

رابعا – " **المسائل العامرية على مختصر الرحبية** "، وهو شرح مختصر لـــ " **نظم الرحبية في المواريـــث** " طبع بالمطبعة التونسية بتونس سنة 1907[1].

خامسا – " **البحر الطافح في فضائل سيدي محمد الصالح** " يذكر فيه الشيخ بعض المســـائل كالتســـبيح بالسبحة[2]، ويعرج على ذكر فضائل سيدي محمد الصالح شيخ الزاوية العزوزية (الرحمانية) طبـــع بالمطبعـــة التونسية سنة 1907.

سادسا – كتاب " **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** "، وقد أنهى تأليفه سنة 1913 وظل المؤلـــف محفوظا دون ان يسلمه للسلطات الاستعمارية التي أمرته بتأليفه نتيجة موقف أبداه الشيخ تجاههم[3]. والكتاب عبارة عن محاولة تأريخية لوادي سوف من العهد البربري، والكنعاني إلى الفتح الإسلامي لإفريقيـــا، ومـــرور العرب بسوف، ثم حصر أهم الأحداث التي عاشتها المنطقة من دخول وخروج بني هلال وســـليم إلى غـــرس النخيل، وقدوم الولي الصالح سيدي المسعود، ثم البدء في الحديث عن الاحتلال الفرنسي للجزائر، ووصـــول قواتها إلى الصحراء واحتلال توقرت ووادي سوف[4]. بالإضافة إلى مبحث حول الأنساب، ثم عرض نســـب أهالي سوف، ونواحي الوادي كما تناول مبحث طويل حول التصوف، ثم قام بسرد المصادر التي اعتمدها في عمله هذا[5].

أما المخطوطات فيمكن ذكر بعضها :

أولا – " **رسالة مخطوطة في أصول الاعتناء بالهلال** " وخاصة الصيام وما يتعلق به، و لم يتبق منها ســـوى أربع صفحات. وهذه الرسالة مقسمة إلى أصول منها[6] :

الأصل الثاني عشر : في كيفية الاعتناء برؤية الهلال ومقداره.

---

[1] حسان الجلالي : المرجع السابق، ص 53.

[2] إبراهيم العوامر : **البحر الطافح**، ص ص 12 – 14.

[3] **لقاء** بالشيخ احمد الخراز، مرجع سابق. كما أكد الشيخ أن العمل لم يرى النور إلا بعد الاستقلال.

[4] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص ص 216 - 217.

[5] والمصادر التي اعتمد عليها من أمهات الكتب أهمها : كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر** لابن خلدون - **المـــؤنس في تـــاريخ أفريقيـــة وتونس** لابن أبي دينار القيرواني - **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** لابن خلكان - **تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأســـفار** لابـــن بطوطة - **العقد الفريد** لابن عبد ربه - وغيرهم من الكتب. - ينظر إبراهيم العوامر : **الصروف**، ص ص 336 – 337.

[6] علي غنابزية : " العلامة الشيخ إبراهيم العوامر (سيرته ومآثره) "، ص ص 11 – 12.

الأصل الثالث عشر : في أن الشهر يثبت بالعدلين ولو في الصحو، وعدم رؤية غيرهم الهلال.

ثانيا – " **متن ست وستون عقيدة** " كتب في الصفحة الأولى منها هذه مجموعة صغيرة جدا فيهـــا ســـت وستون عقيدة ومختصر منظومة ابن مالك في الأفعال الواردة بالواو والياء، ومختصر الرحبية، وبالهامش تقـــارير وفوائد حسان لمؤلفها عبد ربه إبراهيم بن محمد الساسي بن إبراهيم بن عامرالسوفي الوادي الشريف غفر الله له ولوالديه ولمشايخه آمين. ومن ست وستون عقيدة استهله بقوله :

يجب لله على الـــوجـــود   والعدم البقاء والتوحيد.

وخلقه للخلق والقيـــام   بالنفس والبصر والكلام[1].

ثالثا – " **حدّ السنان في عنق المنكر لخالد بن سنان** " وهي رسالة مخطوطة ولدى ابنه نسخة منها، ويثبت الشيخ في هذه الرسالة نبوّة خالد بن سنان والذي قبره ببلدة " سيدي خالد " بالزّاب، والتي سميت باسمه[2].

وأمام هذا الكم الهائل من الكتابات المتنوعة الفنون والأصناف من نثر ونظم، وفقه وعقيدة، وتراجم وتاريخ يتبين مدى قدرة الرجل على الخوض في شتى فنون العلوم نتيجة إطلاعه الواسع، وعلمه الغزير. بالإضـــافة إلى تخطي كل العقبات خاصة مساعيه في طبع بعض هذه المؤلفات، حتى يبين لنا ارتباط منطقة وادي سوف بتونس الوثيق، وهذا لقرب المنطقة بأيالة تونس الواقعة تحت الحماية الفرنسية. وفي 20 جويلية من سنة 1932 توفي الشيخ إبراهيم بن عامر بعد مرض أقعده الفراش، وهذا أثناء عطلته، حيث جاء خبر موته في مكاتبة من عدل محكمة توقرت إلى الكومندان العسكري بناحية توقرت مؤرخة في 05 نـــوفمبر 1932[3]. علمـــا أن ابنـــه الجيلاني العوامر يذكر أن وفاة والده كانت سنة 1934[4]. والذي يؤكد التاريخ الأول هو قصيدة الرثاء التي رثاه بها تلميذه حمزة بوكوشة، والتي عنوانها " سقى الوادي الوسمي قبر ابن عامر " رثاء عـــالم وادي ســـوف الشيخ بن عامر " جاء في مطلعها[5]:

قضى شيـــخ السوف نحبه حتف أنفي   يعج اصطباري والمصاب جليل.

وأظلـــم وادي الرمـــل مـــن بعده   وأعقـــبه بعـــد الظـــلام ذهـــول.

---

(1) إبراهيم العوامر : **متن ست وستون عقيدة وشرحه**، (مخ)، مكتبة زاوية سيدي سالم، ص ص 01 – 03.

(2) علي غنابزية : " المرجع السابق، ص 11.

(3) Les Archives Nationales de l' Algerie : **Personnelle de la justice musulmane des Territoires du Sud (1930 – 1934)**, Boite N° : 116.

(4) إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 25.

(5) **النجاح** : العدد 1338، السنة 13، الجمعة 02 ربيع الأول 1351هـــ / 05 أوت 1932م.

بكى بغـــروب الدمع لما رأى ضحى   على بدرة الـــرمـــال تـــهـــيـــل.

- الشيخ " الطاهر العبيدي " : هو الطاهر بن العبيدي بن علي بن بلقاسم بن عمارة إلى أن يصل نسبه إلى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبطي بن علي بـــــن أبي طالب، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ع)[1]، وهذا حسب شجرة العائلة الموجودة عند أبنائه والموروثة عن جدهم والد العبيدي[2] كما توجد رواية أن عائلة العبيدي تنحدر من أولاد سيدي عبيد ببئر العاتر[3]. ولـــد الشيخ الطاهر سنة 1304هـــ / 1887م من عائلة فقيرة وأب يشتغل الحدادة، لكن ذلك لم يمنع والده من حثّه على التعلم والتحصيل، فشب الفتى الطاهر محبا للعلم شغوفا بالتحصيل. وهو لم يشذ عن أبنـــاء جلدتـــه الذين اتخذوا من التعليم الفرنسي موقفا، حيث لم يتلق تدريسه بالمدرسة الأهلية الفرنسية، بل فضل الكتـــاب نتيجة ما كان سائدا في المنطقة، وبذكائه الحاد وذاكرته الفذّة استطاع الصبي الطاهر أن يحفظ القرآن الكـــريم وهو لم يتعد سنّ الثانية عشر من عمره، هذا ما شجعه على تلقي العلم من الشيوخ وهو في سن مبكرة، ومن أهمهم : الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى (موساوي)[4].

كما تتلمذ على يد الشيخ الصادق بلهادي العقبي عندما قام هذا الأخير بإلقاء دروس كـــان قد شـــرع بها في زاوية سيدي سالم وهذا على لسان الشيخ إبراهيم بن عامر، حيث كان الشيخ الطاهر يتردد على الزاوية[5]. لكن هذه الدراسة التي تلقاها الشيخ الطاهر العبيدي لم تكن كافية لإشباع نهمه العلمي، فما كان على الشيخ إلا التفكير في الهجرة إلى تونس، حيث جامع الزيتونة المعمور وهذا سنة 1904م على نفقته الخاصة، فوجـــد الشيخ ضالته في العلوم والفقه، والسيرة والحديث. وقد كان من أساتذته في تلك الفترة كـــل مـــن : الإمـــام "الطاهر بن عاشور" والعلامة محمد الخضر بن الحسين، والشيخ " النخلي " والشيخ " أحمد البترتي "، والأستاذ "محمد النجار"[6]، والشيخ " خليفة بن عروس " والشيخ " صالح الهواري "، و" ابن حمود " والشيخ " أحمد ابن مراد ". وعلى أيد هؤلاء الشيوخ استطاع الشيخ الطاهر العبيدي أن يطلع على أمهات الكتب والمصـــادر في

---

[1] أحمد السايح : " منسيون تحت المجهر من علماء سوف (العلامة الطـــاهر العبيـــدي 1304 – 1388هـــ / 1886 – 1968م) "، **الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 29 – 30 أفريل–01 – 02 ماي 1992، ص 55.

[2] حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي حياته وأعماله ، **الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 29 – 30 أفريل – 01 – 02 ماي 1992، ص 33.

[3] أبو القاسم سعد الله : **تجارب في الأدب والرحلة**، ص ص 101 - 102. - أحمد السائح : نفس المرجع، ص 33. - في حين نجد أحد أبناء هذه الأسرة وهو الشيخ صالح عبيدي يفند اصل انحدارهم من بئر العاتر بل يؤكد أن العبيديات الذين أصولهم من العاتر هم أســـرة أخـــرى متواجدة بالوادي وليست أسرتهم. **لقاء** يوم 10 مارس 2004.

[4] حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي "، ص ص 33 – 34.

[5] أحمد بن السايح : المرجع السابق، ص 56.

[6] حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي "، ص 34.

العلوم الشرعية والأدبية[1]، غير أن الظروف العائلية الصعبة حالت دون مواصلة الشيخ لدراسته بجامع الزيتونة، و لم يمضي على تواجده بالجامع سوى ثلاث سنوات، إلا أن إرادته الفذة وعصاميته الجادة واجتهاده جعل منه عالما فقيها وأصوليا حجة، ومتصوفا عارفا ولغويا محنكا، وواعظا متمرسا وأستاذا ناجحا[2].

وقبل سفره إلى الزيتونة وقع عليه الاختيار من طرف شيخه محمد العربي بن محمد الصـــالح بـــن موســـى (موساوي) لاستخلافه في الإمامة والتدريس، وهذا عندما ألمَّ به مرض عضال مات به سنة 1902 بالجـــامع الكبير بمدينة توقرت، لكن ما يلفت الانتباه هو صغر سن الشيخ الطاهر إذا ما اعتبرنا أنه قد ولد سنة 1887، ومنه فإن مولد الشيخ الطاهر يكون قبل 1884؛ أي سنة 1883 كما ذكر حفيده عبد السلام سليماني[3]. أما منهجه في التعليم فقد كان يقوم على البدء من السهل إلى الأعقد قصد توضيح الرؤيا، وتوصيل الفكـــرة لكونه يخاطب الطالب والعامة، وهو عكس الشيخ إبراهيم بن عامر الذي لا يأخذ بمبدإ التدرج في التعليم بـــل يرى أن الطالب لابد أن يؤخذ مأخذا علميا جادا. وقد اعتمد الشيخ الطاهر العبيدي في تعليمه علـــى ثلاثـــة أقسام[4] :

أ- **التعليم الديني المسجدي**[5] : وهو تعليم مشابه لتعليم المعاهد الأزهرية والزيتونية معتمدا فيـــه تحفـــيظ المتون، والشرح والتعليم، وبعدها يخلص الشيخ إلى رأي قد يكون من اجتـــهاده الخـــاص، أو رأي مـــن أراء العلماء. وكان إلقاء هذه الدروس بعد صلاة الظهر. وقد عرف الشيخ بالدقة والتحري، كما كـــان شـــديد التحري في الإفتاء، حيث كان يأخذ بآراء الإمام أبي حنيفة خاصة في العبادات، فهو بهذا ينفي على نفسه تهمة التعصب للمذهب الملكي، فقد كان ميالا للحق والعدل.

ب- **التعليم اللغوي**[5] : وهو يقوم على تعليم قواعد وأصول اللغة العربية، وطريقته في هذا التعليم تختلف حسب طبيعة المادة المدرّسة ومستوى التلاميذ، وهي في عمومها طريقة تقليدية متبعة في المعاهـــد الإســـلامية، والتي ترتكز على السرد والإلقاء أكثر ما تعتمد على المناقشة والإبداع، وقد خصّ بهذا النوع من التعليم أبنـــاء الفئات الضعيفة الذين حرمهم الاستعمار من كل أنواع التعليم.

---

[1] علي غنابزية : " العلامة الفقيه الحجة الشيخ الطاهر العبيدي (1887 – 1968) "، **جريدة النبأ**، العدد 142، الجزائـــر، 11 – 17 رمضان 1424هـــ - 21 – 27 فيفري 1994.

[2] الطاهر بن العبيدي : **رسالة الستر**، تحقيق وتعليق محمد محدة، ط 1، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، 1985، ص 05.

[3] عبد السلام سليماني : " من أعلام الجنوب الشيخ الطاهر العبيدي " **الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافـــة، الـــوادي، أيام 29 – 30 أفريل – 01 – 02 ماي 1992، ص 70.

[4] حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي "، ص 35.

[6] عبد السلام سليماني : المرجع السابق، ص 71.

[7] نفسه، ص ص 71 -72.

ج- **تفسير القرآن** : أولى الشيخ اهتماما كبيرا بالتفسير، حيث كان يستعد له استعدادا بالغا، وقد اعتمد في ذلك على عصاميته وجهده المتواصل[1]، وقد ثابر في المواصلة على تفسيره حتى استطاع إتمام تفسيره، غير أن الشيخ لم يكن من المهتمين بتدوين التفسير مما أصبح من المتعذر الحصول عليه، وقد كانت هذه الدروس تلقى في المسجد الكبير بتوقرت أمام الحضور الغفير من الطلبة والعامة، وحتى النساء[2] وفي 10 محرم 1353هـ / 07 أفريل 1934م ختم الشيخ الطاهر العبيدي تفسيره للقرآن الكريم، فكان يوما من أيام توقرت، حيث أقام فيه الأهالي مهرجانا كبيرا لم يعرف مثله من قبل[3].

وبهذا يكون الشيخ ثالث مفسر للقرآن بعد كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ إبراهيم بيوض، وفي تلك الأجواء ألقى أخوه الشيخ أحمد العبيدي وهو تلميذه أيضا قصيدة بمناسبة إتمام التفسير[4].

أما المواد التي اعتمدها الشيخ الطاهر العبيدي في تدريسه هي المواد الآتية:

- تفسير القرآن الكريم وتجويده.
- شرح وتحليل الأحاديث النبوية وتثبيت إسنادها بدقة ووضوح.
- الفقه على المذهب المالكي.
- التوحيد على مذهب أهل السنة[5].

بالإضافة إلى بعض المواد الأخرى مثل : اللغة والنحو، والصرف. أما المصادر والمراجع التي كان يتزود بها تتمثل خاصة في[6] : **ابن عاشر** و**الرسالة** لأبي زيد القيرواني، و**شرح سيدي خليل** و**الرحبية في المواريث**، وهي كتب فقهية. أما الكتب اللغوية فنجد : **الأجرومية** و**قطر الندى**، و**ألفية ابن مالك** و**لامية الأفعال**، و**الجوهر المكنون** و**رسالة البيان**.

أما ارتباطه بوادي سوف فكان متواصل، وهذا في كل صيف، حيث كان يزور أهله وذويه، وأصدقائه وكان كلما حل بسوف قام بأداء دروس في الجامع العتيق (مسجد سيدي المسعود الشابي) بالوادي، وكانت

---

(1) علي غنابزية : " العلامة الفقيه الحجة الشيخ الطاهر العبيدي (1887 – 1968) "، المرجع السابق.

(2) عبد السلام سليماني : المرجع السابق، ص 72.

(3) حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي "، ص 36.

(4) عبد السلام سليماني : المرجع السابق، ص 72.

(5) حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي "، ص 37.

(6) نفسه، ص 37.

معظم هذه الدروس تقوم على الوعظ والتفسير. وقد تحول الشيخ الطاهر إلى وادي سوف تاركا توقرت لشغل منصب إمام المسجد العتيق وذلك سنة 1938، غير أن أهالي توقرت احتجوا على ذلك، فخرجوا معبرين عن رفضهم لذلك مطالبين السلطة المحتلة إعادته لتوقرت، مما جعل الشيخ يعود إلى توقرت سنة 1939[1]. أما علاقة العبيدي بابن باديس[2]، فهي علاقة صداقة منذ أيام دراستهم بجامع الزيتونة، حيث نجد الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أثنى على أعمال كثيرة للشيخ مثل ما جاء في **"منظومة النصيحة العزوزية"**، حيث يقرض الشيخ الطاهر بقوله : « وبعد التسمية والحمد والصلاة على الرسول (ع) فإنني بعدما سمعت هذه المنظومة من مؤلفها العالم الشيخ سيدي الطاهر العبيدي قلت هذه الأبيات خدمة للعلم وإشادة بفضل هذا الرجل العظيم ومنظومته المزرية بالدر النظيم على حسب ما لهج به الخاطر الكليل القاصر بالعلم والعمل والتأييد

ذي درر حسنة التنضيد   سالمة من وصمة التعقيد.

جامعة للقصد والمزيد   تدين الحيز لكل مستفيد.

من نظم زين العلماء العبيدي   جازاه رب الناس من مفيد.

قاله وكتبه عبد الحميد بن باديس عفا الله عنه من يوم الثلاثاء من 07 رجب سنة 1337هـ[3].».

أما أعماله فهي كثيرة ومختلفة الفنون والعلوم، وهي عبارة عن منظومات شعرية صغيرة الحجم تناولت في أغلبها الفقه والتصوف، والأخلاق والنحو، ويمكن أن نقسم منظوماته إلى الأغراض الآتية :

- رسائل فقهية :

أولا : **رسالة ستر العورة** : وهي نظم حوى 170 بيتا من الشعر البسيط، والأحكام الفقهية المختلفة.

ثانيا : **" رسالة السلاح والعدة في مهمات أحكام المعتدة "**، وتطرق فيها لأحكام العدة، وأنواعها. وعدة الحرة، والأمة، وتحريم خطبة المعتدة، والإنفاق عليها والإهداء إليها، وما يحرم على المعتدة في الوفاة من الانتقال وأنواع الزينة جاء في مطلعها :

الحمد لله بغير عدة   وبعد فاسمع ما أتى في العدة.

---

(1) نفسه، ص 37.

(2) أبو القاسم سعد الله : **تجارب قي الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 97 – 105.

(3) الطاهر العبيدي : **النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية**، إشراف الطويل مسعود محمد، طبعة مصر، 1954،ص 07.

فمـــن تخص خمس سنين أو أقل تعتد بالإفراء إذا الطلاق حلّ.

كمـــرضع بعـــد انفصـــام تنتظر أو مستحاضة تميز ما انحدر.

- ثالثا : " **منظومة في أسباب التيمم** "، وتضم حوالي 50 بيتا، وقد جمع فيها كل أسباب التيمم سواء ما كان متعلقا بحال السفر أو الإقامة أو الصحة والمرض، وهي من الرسائل التي تسهل علـــى الطالـــب التـــذكر بسهولة وسرعة جاء في مطلعها :

حمـــدا لمن قد شرع التيمم مثل الوضوء الذي يعـــدم المـــاء.

وهـــو تعميمك وجها ويدين بالمسح مع نية أولى الضربتين.

لكن مـــا أسبـــابـــه كثيرة جـــمعتها في جمـــل يـــسيـــرة.

- رابعا : " **رسالة في كيفية العبادة** ".

- خامسا : **رسالة في الميراث** "[1].

- سادسا : " **رسالة رفع اللهو في كشف مسائل السهو** "، وهي نثرية جاءت في اثني عشرة صفحة، وهي مخطوطة بيده[2].

- سابعا : " **رسالة رفع الإبهام عن مسائل الصيام** "[3].

- ثامنا : " **رسالة في قبلة الصلاة** ".

- تاسعا : " **رسالة الحجة والعمرة وبيان كيفيتهما الشرعية** ".

- عاشرا : " **رسالة إنكفاف الدمعة لانكشاف مسألة الجمعة** ".

- الحادي عشر : " **رسالة تنوير الصلات في تطوير الصلاة** "[4].

---

(1) حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي "، ص ص 48 - 49.

(2) الطاهر العبيدي : **رسالة رفع اللهو في كشف مسائل السهو**، (مخ)، نسخة مصورة في مكتبة سيدي سالم الوادي، ص ص 01 – 14.

(3) أبو القاسم سعد الله : " مراسلات غريبة بين ابن باديس وأحد علماء سوف "، **المجلة التاريخية المغربية**، العددان 19 – 20، تونس، جويلية 1980، ص 258.

(4) حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي "، ص 49.

- الثاني عشر : " **رسالة الحيض والنفاس وأحكامها** "، وهي من أجمل ما كتب إذ يخيل إليك عند قراءها كأنك أمام رسالة طبية حديثة، وفيها يقول[1] :

فأول الحيــض دم وعن كدر   أو مصفرا وبالنفاي ندر.

وإن يكون عجــلة العــلاج   فــمالــه نــفع ولإنتاج.

أمــا إذا رفــعــتــه بــدوا   فــظــاهــر والكل سوا.

وهكذا يستمر في توضيحه لما وجب إيضاحه، فقد كانت رسالة وافية عن موضوع الحيض والنفاس.

- **الرسائل الأدبية، واللغوية** : حاول الشيخ الطاهر العبيدي الإبداع في هذا المجال وفق مســائل عديــدة كانت هي الأخرى عبارة عن نظم توخى فيها السهولة والدقة، وهي في آخر الحال تكون معروضة في شــكل أراجيز قصيرة بأسلوب سهل، ولغة مبسطة تساعد الطلاب على الفهم والتحصيل[2]، وقد ارتبطــت هــذه الرسائل دوما بالإسلام، فالشيخ لا يتوان في تذكير القارئ بواجب معرفة الدين عن طريق معرفة اللغة العربيــة وأصناف علومها، فلا يمكن فهم مسألة دينية دون معرفة اللغة، ومن هذه الرسائل نجد :

- أولا : " **رسالة الآمل في نظم رسالة العوامل** "[3]، وهي منظومة نحوية مرتبة على أسس تربوية صحيحة توخى فيها صاحبها الناظم الدقة والإيجاز جاء في بعض أبياها :

وبعد فاسمع أحسن الصواب   وأعلم بأن طالب الإعراب.

يلزمه معــرفة لمــائة شيء   وقــد جادت بها منظومتي.

- ثانيا : " **رسالة القطب للدردير في البيان** "، وهي منظومة في البلاغة، وأنواع التشبيه والمجاز، والاستعارة في وضوح وإيجاز جاء في بعض أبياها :

وهــذه رســالة لــطيفــة   فــائقة أتــرابها منيفة.

مــوضوعها التشبيه والمجاز   ثم الكتــابات بها تمتــاز.

---

[1] عبد السلام سليماني : المرجع السابق ص 75.

[2] نفسه، ص 76.

[3] أبو القاسم سعد الله : " مراسلات غريبة "، ص 258.

- ثالثا : " **رسالة تلخيص الأجرومية** "[1].

أما منظوماته الصوفية فيمكن جمعها فيما يلي[2] :

- أولا : " **النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية** " وقد طبعة سنة 1954 باشرف أحد تلامذة الشيخ الطاهر العبيدي وقد أقرضه فيهاكل من الشيخ عبد الحميد بن بلاديس[3] ، وعبد ربه بن سليمان بـــن محمد بن سليمان [4].

- ثانيا : " **جريان المدد في الاعتصام برجال السند** "، وهي في التصوف حوت 856 بيتا، أمـــا رجـــال السند فيعني بها هنا رجال التصوف، وليس رجال الحديث، وقد نهج في هذه المنظومة على نهج أحمد البوني في ألفيته " الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونه ".

- ثالثا : رسالة " **التخويف والتخوف على إيمان منكر الصوفية والتصوف** ".

أما المؤلفات الفلسفية التي ساهم بها الشيخ فقد أبرزت بعد نظره الثاقب في الإدلاء بآرائه الفلسفية، وهـــذا للردّ على كثير من الشبهات والأباطيل التي حاول الكثير منهم إبرازها لمعضلات، لكن مساهمة الشيخ كانت في مكانها، وهذه الرسائل هي[5] :

أولا : " **رسالة الجبر والاختيار والدليل عليهما** "، وهي منظومة وقد أعلن فيها على رأيـــه الصـــريح في مسألة الجبر والاختيار، حيث يذهب العبيدي مذهبا وسطا.

ثانيا : " **رسالة الطبيعة** " وهي منظومة صغيرة لا تتعدى السبعة والعشرين بيتا كتبهـــا الشيخ في الرد على الطبيعيين، حيث يدعوهم فيها إلى التأمل في خلق الله، وتوظيف العقل لأنه الحجة القاطعة لمعرفة الحقيقة ناكرا عليهم ادعاء تجاهلهم وإنكارهم لقدر الله يقول فيها :

هـــذه الطبيعـــة خلـــق الله خلقنـــا　　فلنـــدري هذا منقـــولا ومعقـــولا.

وانظـــر بعقـــلك فالبـــرهان متضح　　مـــن تـــرى الحق تقريعا وتأميـــلا.

---

(1) حسان الجيلالي : " الشيخ الطاهر العبيدي "، ص ص 48 – 50.

(2) نفسه، ص ص 50 – 51.

(3) الطاهر العبيدي : **النصيحة العزوززية**، ص 7.

(4) نفسه، ص 09.

(5) نفسه، ص 51 – 52.

إلى أن يقول :

لا يعـــرف الله إلا الله فـــاتـــبعـــن   نهـــج الرســـول وخلّ العقل معقولا.

أما مدحه للرسول فقد كان فياض العطاء في وصفه فائق التصوير، حيث تميزت مدائحه ومنظوماته بالجمالية ومتانة الأسلوب، وتماسكها العضوي، فالشيخ له مقدرة كبيرة وباع طويل في نظم مثل هذه المدائح، ويقول في إحدى قصائده :

ركـــن الظلال بنور أحمد زعزعا   والشرك من هذا الرسول تورعا.

كان الظلال قد استطال بطـــوله   وتـــزايدت أجنـــاده وتـــرعرعا.

إلى إن يقول :

نشـــروا الديانة والحضارة والمعارف   مثلما قصمـــوا طعامـــا الكعا.

فغدا بهـــم ديـــن النـــبي مـــحمـــد   من يعد خفض وانكسار ارفعا.

- الشيخ احمد العبيدي : هو احمد بن علي بن بلقاسم بن أعمارة ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله. ولد سنة 1307هـ[1] الموافق لـ 1888م بالوادي، وهو شقيق الشيخ الطـــاهر العبيدي وتلميذه، ليحفظ القرآن الكريم في زاوية سيدي سالم، وبعد إتمام تحصيله الأولي على يد أخيه الشـــيخ الطاهر بعث به إلى جامع الزيتونة. وعند عودته أمره شيخه الطاهر بالذهاب إلى جامعة بوادي ريغ ليستقر في إحدى قراهـــا وهي " تقديدين " معلما ومرشدا، ومؤدبا للصبية، حيث كان على درجة ومكانة من العلـــم الشيء الذي أهله للقيام بنفس المهام التي يقوم بها شيخه وأخوه الطاهر العبيدي في غيرها من المدن من وعـــظ وإرشاد، وتفسير وتعليم[2]. وهو صاحب تآليف عديدة[3]، منها[4] :

- " **نصيحة الشباب في علم الآداب** " وهي قصيدة جاءت في 22 بيتا، طبعة مرفوقة **بالنصيحة العزوزية** سنة 1954 جاء في مطلعها :

حمـــدا لمن قد جعل الدروس   نجني بها من العلاء غروسا.

---

(1) أبو القاسم سعد الله : **تجارب في الأدب والرحلة**، ص 100.

(2) الطاهر بن العبيدي : **رسالة الستر**، ص 06.

(3) أبو القاسم سعد الله : **تجارب في الأدب والرحلة**، ص 100.

(4) **لقاء** مع الشيخ المؤدب سيدي علي بوخزة يوم 29 جمادي الأولى 1425هـ / 17 جويلية 2004م، بزاوية سيدي سالم الوادي.

نكتسي بها جمالا وبهـــاء   يـــا فوز من كان نشيطا نبيها.

- " **تحفة المصلي في الصلاة على النبي الأجل** "، وهي منظومة مطولة وقد قيدها صاحبها في كراسة.

- " **الرســـالة الوفيـــة في نصـــرة الأوليـــاء والصـــوفية** "، وقـــد ذكر لي الشيـــخ علي بوخـــزة أن سبب تأليـــف هذه الرســـالة هو أن الشيـــخ أحمد العبيـــدي قال لي ذات يوم جاءني شخص بالمنام وقال لي : « أتدري لماذا قد رفع الله قدرك ؟ قلت لا أعلم قال بنصرتك للصوفية. »، وهـــي رســـالة منثـــورة ذات صفحات كثيرة.

- " **إغاثة اللهفان بالإغاثة برجال الحشان** "، وهي منظومة.

كمـــا كـــانت له مكتبـــة ضخمـــة تحـــوي العـــديـــد من المخطـــوطـــات والكتـــب، ويـــذكر انه في غضون ستة أشهر حفظ القاموس المحيط وهذا لحافظته القوية[1].

- الشيخ الميداني موساوي : هو الميداني بن محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى (موساوي) ولد ســـنة 1896 بالوادي، وما إن بلغ سن السادسة من العمر حتى توفي والده الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى سنة 1902، فكفله جده محمد الصالح بالرعاية، والتنشئة على حفظ القرآن الكريم. وبعد إتمامه حفظ القرآن باشر الشيخ في تحصيل العلوم الشرعية على يد تلامذة والده الشيخ محمد العربي الشيخ الطاهر العبيدي كما لازم الشيخ إبراهيم بن عامر، ليأخذ فيما بعد بنصيحة شيخيه، ويشد الرحال إلى جامع الزيتونة المعمـــور ليمكث به عدة سنوات ليتخرج بعدها في الثلاثينات، ويستقر بمسقط رأسه آخذا على عاتقه مهمـــة التوعيـــة والوعظ، والإرشاد، وذلك بمساجد عديدة[2].

غير أن الشيخ كان تواقا إلى التنقل من أجل نشر العلم، فبمجرد أن طلب منه شيخه الطاهر العبيـــدي أن يتنقل إلى بلدة " مقر "[3] ففعل، وكان يقضي بهذه البلدة شطرا من الخريف والشتاء، وفي آخر الربيع يعود إلى الوادي، فيمكث بها فصل الصيف مدرسا بمسجد جده دون كلل ولا ملل. وفي الثلاثينات وقع فراغ بالمسجد العتيق بالوادي، فأختاره فضلاء البلاد لكونه عالما جليلا، ومفتيا حجَّة فباشر عمله بالمسجد منذ سنة 1939.

---

(1) مراسلة للسيد سعدية العبيدي ابنة الشيخ احمد العبيدي 20 ربيع الأول 1425هـــ / 10 ماي 2004م.

(2) علي غنابزية : " وجوه من الذاكرة الشيخ الميداني موساوي الفقيه المتعفف "، **جريدة النبأ**، السبت 27 رجب 1420هــــ/06 نـــوفمبر 1999م.

(3) مقر تبعد عن توقورت بـــ 10 كلم شمالا.

وقد كان للشيخ الميداني وقار العلماء كما كان حجة في الفقه[1].

- الشيخ الحسين حمادي : هو الحسين بن على حمادي ولد عام 1900 بقرية النخلة، حفظ جزءا من القرآن الكريم على يد والده الشيخ " على حمادي " إمام مسجد النخلة. وفي سنة 1918 رحل إلى تونس، وهناك أكمل القرآن الكريم، ثم ما لبث أن التحق بالزيتونة. كما راودته فكرة الرحيل إلى الأزهر الشريف لإكمال دراساته العليا غير أن الظروف التي ألمت به حالت دون ذلك، مما جعله يقبع بالجنوب التونسي مدة من الزمن مدرسا للقرآن واللغة، والعلوم الشرعية إلى أن رجع إلى مسقط رأسه النخلة، ليتولى إمامة مسجدها بعد وفاة والده[2].

- الشيخ لزهاري الحرزولي : هو لزهاري بن صالح الحرزولي ولد سنة 1902 بالوادي حفظ القرآن الكريم بزاوية سيدي سالم، وأتقن الرسم القرآني بحفظ متون هذا العلم وهي المعروفة **بالمصباحي والمحمولي، والدنفاسي.** وفي سنة 1933 ألتحق بجامع الزيتونة لمدة سنة، ليعود إلى مسقط رأسه نتيجة ظروف قاهرة، ليمكث بالوادي يساعد والده صباحا في خياطة الألبسة، وفي المساء يدرس بالمساجد وزاوية سيدي سالم بالخصوص. كان الشيخ حجة في علم الميراث ويشهد له أهل العلم بذلك[3].

ج- حاضرة الزقم :

إن هذه الحاضرة تميزت عن غيرها بانحصار الطابع الطرقي بها، مما جعل شيوخها يتحررون من الطرق الصوفية، رغم تواجد الطريقة الرحمانية التي كان يبدو على أتباعها عدم التعصب لجهة دون أخرى من ناحية، وانعدام وجود زاوية من جهة أخرى بالاضافة تعدد الدارسين بالزيتونة، هذا بدوره ساهم في جعل الحاضرة أكثر استعدادا لفكرة الإصلاح دون وجود أي عائق يحول بين أبناء البلدة والدعوة للإصلاح ومن هؤلاء نذكر:

- الشيخ يونس معمري تولى منصب إمام مسجد العدواني منذ 1880، وهو شيخ علم متمرس في الدين ومصلح، ومدرسا ناجحا للقرآن الكريم. أشرف على مدرسة العدواني، حيث كان يقيم حلقات الذكر، والدروس العلمية والأدبية. كما كان يعمد في دروسه العامة على الوعظ والإرشاد[4].

---

[1] علي غنابزية : " وجوه من الذاكرة الشيخ الميداني موساوي الفقيه المتعفف "، مرجع سابق.

[2] علي غنابزية وآخرون : **مفكرة نهاية القرن العشرين**، المرجع السابق.

[3] علي غنابزية وآخرون، نفس المرجع.

[4] محمد المولدي سيشي : المرجع السابق، ص 21.

- الشيخ الساسي معامير : هو محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي الزقيمي السوفي "معامير"ولد سنة 1880 بالزقم[1]. حفظ القرآن الكريم، ثم واصل تعليمه إلى أن أصبح معروفا بالعلم، كما كان كثير التجوال، حتى وصف بالرحالة والمؤرخ. تناول في كتاباته التاريخية التعريف ببعض الأحداث المحلية، كما دون خلال رحلاته الكثير من الأحداث الهامة في تاريخ الجزائر[2]. له الكثير من المخطوطات، وقد طبع في حياته الكثير منها[3]:

- مشاهداتي بالجزائر. - مشاهداتي بقسنطينة. - مشاهداتي بوهران. - التقويم الجزائري العام لسنة 1345هـ - 1927م.

وقد جاء على غلاف الكتاب بعد ذكر العنوان تأليف محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي الزقيمي السوفي الجزايري. نشر المكتبة التونسية. تونس - مطبعة النجاح – تونس. وأهم محاوره[4] : القسم الفلكي والقسم الصحي. علم الزراعة والفلاحة وفضلها وترقيتها، وعلم النبات وأعضاء التغذية، وفصل في الصناعة، ثم فصل في التجارة، ليليه فصل في الاقتصاد والنهضة الاقتصادية والاقتصاد السياسي والمحاصيل، وفصل في الآثار القديمة والمتاحف ومحفوظاتها، والصور والتماثيل،والآثار المحمدية المباركة، وأول مكتبة عمومية في الإسلام وتاريخ الحرائق. وفصل في العلم والاجتماع، وتطوراتهما، ثم خصَّ الجزائر بقسم أطلق عليه اسم " القسم الجزائري " تناول فيه تاريخ الجزائر منذ التواجد البربري إلى فترة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، كما تناول جغرافية الجزائر، وقسم أخر خصَّ به الحديث عن منطقة سوف بشكل مختصر. وقد ضمنه العديد من القضايا في تلك الأثناء كانعدام التوازن الجهوي بين الشمال والجنوب، وقضايا عديدة تخص النشر، ومشاكله مع كل من جريدة **النجاح** ومجلة **الشهاب**[5].

- السيخ عبد الرحمان معمري : ولد 1898 ب حفظ القرآن الكريم على يد جده يونس إمام مسجد العدواني بنفس البلدة، لينتقل إلى جامع الزيتونة، حيث تحصل على شهادة التطويع ليعود إلى مسقط رأسه، ويزاول نشاطه الإصلاحي ومحاربة البدع والخرافات، ونشر العلم والمعرفة، ليتولى منصب إمام مسجد العدواني

---

[1] نفسه، ص 22.

[2] علي غنابزية : " مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920 – 1938 "، **مجلة البحوث والدراسات**، المركز الجامعي بالوادي ، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الأول 1425هـ / أفريل 2004م، ص 136.

[3] محمد المولدي سيشي : المرجع السابق، ص 22.

[4] علي غنابزية : " مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920 – 1938 "، **مجلة البحوث والدراسات**، ص 138.

[5] محمد الساسي معامير : المصدر السابق، ص ص 349 – 353.

بعد وفات جده يونس معمري[1].

- الشيخ مسعود عباسي: هو مسعود بن سالم ولد خلال 1893[2] بالزقم حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة فنشأ محبا للقرآن وأهله شغوفا بطلب العلم، ومجالسة العلماء، حتى أصبح فقيها بارعا ومعلما ناجحا، فشغل منصب إمام المسجد الأصفر بالزقم، وقسم يومه في العمل على ثلاث فترات من الصباح إلى منتصف النهار، وهي فترة لتحفيظ القرآن الكريم وما يتصل به من علوم كالرسم والقراءات، وهي الفترة الصباحية، والثانية من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، وخصصها لتحفيظ القرآن. أما الفترة الثالثة من المغرب إلى العشاء يتناول خلالها دروس الوعظ والإرشاد بالمسجد الأصفر، و لم يترك لنفسه ولأهله إلا الوقت اليسير الممتد من العصر إلى المغرب للتجارة، والاهتمام بالبيت ومستلزماته. كما كان مناهضا للاستعمار مما جعله محل المراقبة الشديدة، والتضييق عليه عند كل حادث قد يمس بأمن الإدارة الاستعمارية[3].

3 - ميادين ومجالات نشاطها :

إن الوضع الثقافي السائد بوادي سوف جعل حركة الكتلة المحافظة قبل العشرينات ذات نشاطات محدودة، غير متسعة أو متطورة مثل ما شهدته الحركة في مدن الشمال، حيث انحصر عدد المدارس الرسمية في ثلاث مدارس واحدة في العاصمة والثانية في تلمسان، والثالثة في قسنطينة، التي كانت في مجموعها تسعى إلى تجديد الدين الإسلامي، غير أن هذه المدارس كانت في حاجة إلى الوسائل الكفيلة لذلك[4]. لكن إقليم سوف يفتقر لأسباب العيش الضروري، فكيف يمكن لمجتمعه أن يستطيع في هذه الأثناء الارتقاء بمستوى الميادين التي يمكن أن تنشط من خلالها هذه الحركة التي ما تزال عالقة برواسب مخلفات القرن التاسع عشر، فهي بحاجة ماسة إلى الخروج من هذه الرواسب، لان الإسلام بكامله ما يزال في حاجة إلى مبرّر تاريخي كي يتجاوز سمات القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين كما هو الحال عبر مسار تطور حركات اليقظة القومية التي تراهن على تاريخ الأمة لتجعله نقطة الانطلاق لافتكاك حريتها من المستعمر الأجنبي[5]. وهذا لكون الزوايا والطرق الصوفية هي المحرك الأساسي للقيم الثقافية، والفكرية للمجتمع السوفي[6]، كما كانت هذه الزوايا ملتقى الكثير من الطلبة، وهذا ما كان يأخذ به الشيخ إبراهيم بن عامر لبلوغ أهدافه ونشر دعوته، وهذا لربط صلات وديَّة مع

---

[1] محمد المولدي سيشي: المرجع السابق، ص 22.

[2] لقاء بالشيخ عز الدين عباسي يوم 24 محرم 1424هـ - 27 مارس 2003م.

[3] محمد المولدي سيشي: المرجع البسابق، ص 22.

[4] عبد الكريم بو صفصاف : المرجع السابق، ص ص 55 – 56.

[5] نفسه، ص 56.

[6] علي غنابزية : " المعالم الثقافية والمظاهر الفكرية "، ص 11.

هذه الزوايا، والانتماء إليها دون تحيز أو تعصب، فكان يتردد على زاوية سيدي سالم الرحمانية بالوادي[1].

وهذا ما فعله كل من الشيخ محمد بن البّرية والشيخ محمد السايح اللقاني اللذان كانا يشتغلان بوظيفة التعليم في كل من زاوية تماسين، وقمار باعتبار الزاويتين تؤمان عددا معتبرا من الطلبة. أما الميدان الثاني فقد كان يتمثل في المسجد، وهذا بالنسبة لدور الشيوخ الدائم في تنشيط حركية دور المساجد خاصة في الفترة ما بعد صلاة المغرب رغم اشتغال بعضهم بوظائف قضائية، لكن المسجد كان دوما هو المرتع الذي يعود إليه الشيوخ باعتباره الميدان الأوسع والأرحب، والأشمل لضم كل من الطلبة والعامة، وهذا مثل مساجد قمار خلال الحرب العالمية الأولى[2]. أما الميادين الأخرى التي نشطت خلالها حركة الكتلة المحافظة فهي في عمومها منازل مخصصة للمسمارات الليلية قصد التسلية والترفيه عن النفس من جهة، والإطلاع على أحوال العالم الإسلامي من جهة أخرى. ومن هذه المنازل نجد مترل إبراهيم بن عامر[3]. كما شهدت قمار وجود نادي أدبي تمثل في ببيت القاضي عبد الغني، وهذا لإنشاد القصائد التي كان ينشدها الشيخ محمد بن البّرية[4] خاصة أيام المولد النبوي حيث يقول محمد بن البّرية : « كنا نجتمع للقصيد والمديح كما نتبارى في مديح القاضي فأنشأ مرة الشيخ محمد الصالح بن الخوصى قصيدة في مدح القاضي مطلعها :

نفحة الطيب عرجي نحو حي   وعليه مني السلامي فحي. ».

فقال الشيخ محمد الزبيري : وكان محمد الصالح لا يستعمل الغزل في مديحه أو في شعره، فقلت له أن الغزل في أول القصيدة كالملح في الطعام فأنشأ أول بيت في الغزل هو هذا :

على الصب فأعطف عنه منك بقبلة   بها يشتفي بحرقة بفؤاده.

ثم زاد :

لئن غبت عن ناظريه ببعدكم   جفاء فأنتم دائما بسواده. »

وهكذا اختلفت الميادين وتنوعت، حيث كان لكل ميدان منها جانب الفكر والعلم، بالإضافة إلى هذا كله نجد الزيارات المتكررة لبعض مشايخ الزيتونة مثل الشيخ محمد الخضر بن الحسين سنة 1321هـ /

---

[1] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص ص 212 – 213.

[2] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 173.

[3] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر**، ص 212.

[4] عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، ص 06.

1904م[1]، فكـــانت هذه المـــرة الأولى ليـــزورها مرة ثانيـــة سنة 1322هــــ / 1905م[2]، وقـــد شملت زيـــارته هذه عـــدة مناطـــق منها زاوية سيـــدي سالم وبلدة قمار حيث التقى ببعض شيوخها، كما قـــام بإلقاء مجموعة من الدروس، فكان لذلك أثر كـــبير على مجموعة من الطلبـــة الدارسين وجمع من العامة. ورغـــم ما كان لهذه الميـــادين من انحصـــار غير أنها أدت دورا هامـــا، وهذا نتيجة الوضع الثقـــافي العـــام السائد في تلك المنطقة.

كمـــا أن هـــذا الوضـــع لم يمنـــع من وجود حركـــة الكتلـــة المحافظـــة التي استطـــاعت المحافظة على اللغـــة العربيـــة من خـــلال تعليم القرآن الكريم ومبـــادئ اللغة العربيـــة مما ضمن حمايـــة البعد والانتماء الحضاريـــين للـــدين الإسلامي والأمـــة العربية. لكـــن مع هذا نجـــد أن بعض شيـــوخ المنطقـــة كـــانوا ينشـــرون بعض مقالتـــهم وقصائدهم في بعض الصحف والمجـــلات وهذا مثـــل محمـــد بن البّرية، حيـــث كـــان يكتب في جرائـــد عديدة كجريدة **البلاغ الجزائري**، وجريدة **النجاح**، كمـــا كانت بينـــه وبـــين بعـــض علماء تـــونس مراسلات خصوصا مفتي الديـــار التونسي الشيـــخ " البشير النيفر " وغيره[3]. كما حاول الشيـــخ إبراهيـــم بن عامر العمـــل على نشر بعض مألفاته في المطبعـــة التونسية خـــلال العقـــــد الأول من القرن العشرين[4].

ومـــن هنا نـــجد أن الميـــادين والمـــجلات لنشـــاط حركة الكتلـــة المحافظـــة كانت عديـــدة رغـــم الطـــابع العـــام الســـائد بالمنطقـــة، هذا لم يمنـــع الشيـــوخ من المســـاهمة في تقريب العلـــم إلى الطلبـــة والعـــامة انطلاقا من المساجـــد والزوايـــا والجـــرائد والصحف. وأمـــام هذا الوضـــع نجـــد أن هـــؤلاء الشيـــوخ كـــانوا واعيـــن لمـــا يحيـــط بهـــم من واقع استعمـــاري يحـــاول دومـــا طمـــس المعـــالم الحضـــارية للبـــلاد وتشـــويه الهـــوية العربيـــة الإسلاميـــة، بالإضـــافة إلى سيـــاسته التجهيليـــة، هـــذا كان دافعـــا قويـــا لرفـــع هؤلاء رايـــة التحـــدي ضد الجهـــل والخرافـــة، وهـــذا الوعـــي لدى هـــذه الثلـــة كـــان نابعـــا من علاقة هؤلاء الشيوخ بجامع الزيتونة الذي كان معلمـــا حضاريا مشعا يحلم كـــل واحد صـــار على طريق العلم أن يلتمس بصيص أمل للتحصيـــل به. فكان جمع الشيوخ الزيتونيين الـــذين تلقى على أيديهم هـــؤلاء دافعا للعودة إلى وطنهم وانتشـــال أبناء جلدتهم من وحـــل التخلـــف والجهـــل، والفســـاد الأخلاقي السائد في ربـــوع وادي سوف.

---

[1] محمد واعدة : المرجع السابق، ص 40.

[2] نفسه، ص 44.

[3] عبد الباقي مفتاح : " الزاوية التجانية بقمار "، ص 06.

[4] الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص 41.

4 – موقف حركة الكتلة المحافظة بوادي سوف مـــن الإدارة الاســـتعمارية والطـــرق الصوفية :

أ - موقفها من الإدارة الاستعمارية :

إن السياسة الفرنسية منذ الاحتلال كانت تعمل على تثبيت أركان الاستعمار من اجل إنجـــاح مشـــروع الاستيطان، وهذا تأكد منذ قيام الجمهورية الثالثة بفرنسا سنة 1871 التي سعت منذ الوهلة الأولى إلى تثبيت أركان الاستعمار بالجزائر محاولة إرضاء المعمرين وذلك من خلال سن مراسيم وقوانين ساعدت على تغـــيير نظام الحكم العسكري إلى حكم مدني بالشمال الجزائري، غير أن الجنوب ظل يسيّر عســـكريا مـــع مـــنح المستوطنين الأوروبيين كامل حقوقهم الوطنية الفرنسية، لكن رغم ذلك عرفت الجزائر على يد بعـــض مـــن الحكام العامين أنماطا، وأشكالا من السياسات الأقل حدة خاصة الحكام شارل جونار (1903 – 1911) الذي عرف عهده بعهد الاستقرار، لكنه استقرار جعل سياسة فرنسا نحو الأهالي تختلف عن ما حدث في فترة نابليون الثالث الذي تميزت فترته بالغموض والاضطراب حول موضوع وطبيعة حقوق الأهالي[1].

أما الوضع بوادي سوف كان أكثر بؤسا نتيجة الحكم العسكري السائد رغم تظاهر الإدارة الفرنسية بنوع من التسامح والدعوة إلى التعليم، هذا ما جعل علماء تلك الحقبة الزمنية يتخذون مواقفا مختلفة مـــن الســـلطة المحتلة، وثقافتها الفرنسية المسيحية، كان أهمها موقف الشيخ إبراهيم بن عامر الذي حاول الدفاع عن اللغـــة العربية والثقافة الإسلامية المهددة بالإهمال، والإعراض عنها من طرف الأهالي، وإقبالهم على التعليم الفرنســـي ضمن سياسة الاستعمار الهادفة إلى التنصير والتمسيح، فكان الشيخ دائم الترصد لهذه السياسة معلنا في الكثير من المرات خطرها، لكنه لم يتوقف عند هذا الحد بل نجده استعان في ذلك بكتاب الشيخ " يوسف النبهاني " **"إرشاد الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى"**[2]. فكان هذا الموقف موقفا عدائيا تجذر في نفوس الأطفال أيما تجذر حتى صار من أمور الدين أو الكفر. وهذا وقوفا عند شهادة الأستاذ حمـــزة بكوشة حينما وصف موقفه من التعليم الفرنسي قائلا : « وكنا نفر من قراءة الفرنسية فـــرار الســـليم مـــن الأجرب لأننا لقّنا أن قراءة الفرنسية طريق إلى الكفر، إن لم يكن الكفر عينه...[3] ». ممـــا جعـــل الســـلطة الفرنسية تفرض غرامة مالية على كل عائلة ترفض إرسال أولادها إلى المدرسة الفرنسية[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص ص77 – 78.

[2] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر**، ص 212.

[3] علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف**، ص 156.

[4] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر**، ص 212.

فكان هذا الواقع ينم عن طبيعة الصراع القائم بين الأهالي الذين كانوا مشحونين من هؤلاء الشيوخ والإدارة الفرنسية. أما الصدام المباشر كان غائبا تماما على الساحة نتيجة أن غالبية هؤلاء الشيوخ قد انخرطوا في سلك التوظيف إما في القضاء أو الإمامة. هذا ما جعلهم يتخذون مواقف حياد من أجل الحفاظ على مواقعهم الوظيفية. وعموما فإن العلاقة التي كانت قائمة بين الشيوخ والإدارة الفرنسية علاقة يغلب عليها طابع التجهم، فكل طرف يتخوف من الآخر لقدراته المادية والمعنوية التي يستطيع التأثير بها على الأهالي، فالإدارة الاستعمارية لديها السلطة العسكرية القمعية، والشيوخ لديهم العلم الشرعي الذي يؤهلهم إلى توظيفه تجاه المستعمر. ومن هنا ظل الموقف يشوبه الحذر والترقب الدائم دون الاستسلام للآخر أو الاطمئنان إليه باعتبار كل طرف له مشروع حضاري يدافع عليه ويريد تحقيقه فالإدارة الفرنسية سياستها تهدف إلى كسب ود الأهالي. أما العلماء فإنهم يجهروا بأصواتهم لمحاربة الفساد الذي أصبح ينخر في جسد الأمة، فكان الصوت عال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإصلاح ما كان فاسدا[1] ضمن خطط رسمها العلماء لأنفسهم مثل الشيخ إبراهيم بن عامر. علما أن بعض هؤلاء العلماء لم يكونوا معارضين للغة الفرنسية كلغة، بل كان بعضهم يسعى إلى تعلمها والحديث بها قصد استعمالها في ظروف محددة، وهذا ما كان يقوم به الشيخ إبراهيم بن عامر، حيث كان يستعين بأستاذ في بيته يعلمه مبادئ اللغة الفرنسية[2]، ومنه يتضح أن الموقف العدائي لم يكن من اللغة في حد ذاتها، بل هو موقف ضد السياسة الاستعمارية المنتهجة. وغاية ما هنالك أن التعليم الفرنسي يود الحصول على عمالة يستطيع من خلالها توظيف قدرات الشباب، لكون مراحل التعليم بالمنطقة محدودة لا تتعدى مرحلة الابتدائي. وهذا ما يتعذر على الأطفال مواصلة دراستهم بحرية، نتيجة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تعيق بدورها مواصلة مسيرة التعليم بالمدارس المتواجدة خارج إقليم سوف. لكن رغم ذلك حاول الكثير اختيار الهروب من ذلك الوضع، والالتحاق بالمدارس الفرنسية أو المعاهد الإسلامية كالزيتونة.

وخلاصة القول إن موقف العلماء من الإدارة الاستعمارية كان موقفا متباينا من مجموعة لأخرى، لكن مع ذلك لم يرق إلى الصدام الحقيقي الذي يجعل الإدارة الفرنسية تتخذ مواقف عدائية من هؤلاء أو إتباع سياسة الإبعاد التي تمّ الأخذ بها مع الشيخ إبراهيم بن عامر، كما سبق منذ العشرينات من القرن العشرين. وقد يكون السبب في تلك المواقف هو الطابع الصوفي الغالب على حركة الكتلة المحافظة، حيث نجد أن موقف الطرق كان موقفا يدعو إلى عدم التصادم. وهذا بعد حركات الجهاد الفاشلة التي خاضتها بعض الطرق مثل الطريقة الرحمانية والقادرية. مما جعل هؤلاء العلماء يفضلون الحياد والصمت من أجل تحقيق مصلحة عامة تقوم على تعليم الناشئة ومحاربة الفساد، والجهل من خلال مسالك التعليم دون الدخول في معارك قد تكون نتائجها دون

---

[1] إبراهيم مياسي: نفس المرجع، ص ص 211 - 212.

[2] الجيلاني العوامر : المرجع السابق، ص 38.

المستوى المرجو. وعليه كان موقف الحياد والصمت هو الوسيلة الأكثر؛ نجاعة تجـــاه التعامـــل مـــع الإدارة الفرنسية، لأن غالبيتهم موظفين لديها، فهم يمثلون الاتجاه المعتدل[1]. بالإضافة إلى الاستقرار النسبي الذي عرفته الجزائر على يد الحاكم العام شارل جونا الذي حثّ فيـــها على معاملة الجزائريين معاملة حسنة[2] انطلاقا من الحفاظ على تقاليدهم الوطنية، ونشر التعليم باللغة العربية، واحترام الشريعة الإسلامية وتوسيع حركة الصحافة العربية[3].

ب - موقفها من الطرق الصوفية :

إن الواقع الثقافي لوادي سوف كان يسوده الانتشار الواسع للطرق الصوفية من قادرية وتجانيـــة ورحمانيـــة (عزوزية)، وشابية وعلوية، هذا ما جعل الشيوخ يتخذون مواقف مختلفة إما التسامح مع الجميع دون إبـــداء التعصب لطـــريقة دون أخرى مثال ذلك الشيخ إبراهيم بن عامر، أو الالتزام بطريقة معينة مثل ما كان يقوم به شيوخ بلدة قمار مثل الشيخ محمد بن البّرية ومحمد الصالح بن الخوصى من خلال انتمائهم للطريقة التجانية. كما كان هناك طائفة أخرى من العلماء الذين حاولوا تجنب الطرق الصوفية في السعي والتحرك على مستوى التعليم والوعظ، والإرشاد، وهم علماء عديدون أهم علماء حاضرة الزقم، حيث كانت الطرق الصوفية أقـــل عنفوانا، بالإضافة إلى عمار بن الأزعر الذي كان صاحب موقف واضح من الطرق الصوفية التي كان يعـــدها من بين الأسباب الرئيسية في تكريس التخلف بالمنطقة، كما كانت بينه وبين محمد بن البّرية مشاحنات، حيث كان محمد بن البّرية مدافعا عن الطرق الصوفية، وهذا من خلال ما كتبه هذا الأخير من مقالات في الجرائـــد كجريدة " **البلاغ الجزائري** " وجريدة " **النجاح** " معاديا الشيخ عمار بن الأزعر[4].

لكن ما نلاحظ في هذه الفترة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى هو سيادة الطابع الطرقي مما جعـــل هـــؤلاء الشيوخ في موقف المساند والمحايد دون إبداء أي موقف نتيجة ما كان يعلم هؤلاء من عدم إمكانية تصـــحيح بعض السلوكات، والاعتقادات السائدة باعتبار التصدي لها قد يثير الفتنة لدى العامة التي كانت تعتبر شـــيوخ الطرق هم أولئك المبرؤون من الوقوع في الخطإ، وأن الطرق الصوفية هي الملاذ المخلص من الوقوع في الخطإ. وعليه فإن سيادة الطابع الثقافي الطرقي كان غالبا، هذا ما ألزم الكثير من الشيوخ اتخاذ مواقف قـــد يعـــدها البعض سلبية، كون التصدي لها مجلبة للفتنة أكثر من جلب المصلحة. وعلى هذا الأساس كان العلماء يتعاملون مع الواقع الثقافي السائد آنذاك بحذر شديد كي لا يستعص العامة عليهم. بل إن الكثير منهم كان منغمسا في

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص ص 30 – 32.

[2] أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 108.

[3] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر**، ص 211.

[4] محمد الطاهر تليلي : **من تاريخ وادي سوف**، ص 77.

التصوف انغماسا كبيرا يتعذر على العامة أن يتخلصوا من تبيعات الوضع، وهذا مثل محبة الشيخ إبراهيم للمتصوفة وتعلقه بهم، حيث يقول الاستاذ حمزة بكوشه في شأنه « هو كعلماء عصره قلّ أن تجدوا واحدا منهم لا ينتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية يحتمي بها، وتحتمي به، وينتسب إليها وتنتسب إليه سواء كان ذلك منه عن إيمان وإعتقاد أو عن تقية أو مجاراة للعوام الذين من أصول اعتقادهم أن من لا شيخ له فالشيطان شيخه »[1]. وانطلاقا من هذا المبدإ كان غالبية الشيوخ يتخذون من الطرق ملاذا رغم ما كان يساورهم الشك في كثير من المواقف من العادات والقيم غير الشرعية التي يقوم بها العامة نتيجة الجهل من جهة والاعتقاد الفاسد من جهة أخرى، وهذا لعدم إدراكهم لحقائق الأمور والأحداث الحاصلة أمامهم. ووادي سوف لم يكن الإقليم الوحيد الذي يعيش هذا الوضع المأساوي الذي يخيم عليه طابع الخرافة السائد بربوع الوطن، بالإضافة إلى السياسة الاستعمارية التي تسعى دوما إلى إثارة القلاقل عن طريق الجواسيس المندسين لدى شيوخ الطرق الصوفية كالتجانية والقادرية للسيطرة على الأوضاع العامة، وإبقاء الأهالي قابعين في الجهل والخرافة دون إسعافهم وإخراجهم من دائرة التخلف، وذلك لتنفيذ السياسة الاستعمارية في"الجزائر الفرنسية"[2].

ثانيا - الحركة الإصلاحية بوادي سوف ما بين (1919 – 1939م).

1– الحركة الإصلاحية بوادي سوف خلال العشرينات :

إن عقد العشرينات كان مرحلة تخمر الحركة الإصلاحية، وهذا منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، حيث كان الأهالي يأملون في مبادئ الحرية، والحقوق التي نادى بها الرئيس الأمريكي ولسن، والتي داعبت أحلام الشعوب المستعمرة، حيث أعتقد أن عهدا جديدا من الحرية والاستقلال سيطر فجره على العالم، وعليه سوف تظفر هذه الشعوب بكامل حقوقها[3]. ومن الشخصيات الجزائرية التي داعبتها هذه المبادئ والحقوق شخصية الأمير خالد[4] الذي حاول رفع صوت المطالبة بتحقيق المساواة التامة بين الجزائريين والمعمرين بالجزائر المستعمرة في جميع الحقوق السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، باسم " مطالب الأمير خالد العشرة "[5]. وأمام التجاهل الفرنسي للوفاء بالعهود ذهبت فرنسا إلى إقرار قيود مجحفة كان لها أثرها السلبي على الوضع الثقافي بالجزائر[6]. هذا ما جعل الكثير من المؤرخين يعتبر حركة الأمير حركة إصلاحية، وهي قد

---

(1) علي غنابزية : " العلامة إبراهيم العوامر "، ص 11.

(2) عبد الكريم بو صفصاف : المرجع السابق، ص 60.

(3) تركي رابح : **الشيخ عبد الحميد بن باديس**، ص 56.

(4) الأمير خالد هو خالد بن الهاشمي بن الحاج الكبير بن الأمير عبد القادر الجزائري.

(5) أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية** الجزائرية (1900 – 1930)، ج 2، ص ص 455.

(6) تركي رابح : **الشيخ عبد الحميد بن باديس**، ص 57.

ظهرت قبل أو واكبت حركة العلماء[1]. وعلى هذا الأساس وجد الجزائريون أنفسهم أمام تحدي حضـــاري جديد، وهو البحث عن سبل أكثر قدرة في رفع مستوى التحدي لإفشال السياسة الاستعمارية التي تودّ فرنسا تحقيقها على الصعيد الثقافي. هذا ما دفع بالكثير من الشيوخ وعلى أسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى رفع لواء الحركة التعليمية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وتطهير الثقافة الإسلامية بالبلاد من الانحطـــاط الـــذي وصلت إليه، فكان على هؤلاء العلماء التفكير في إيجاد آلية منظمة[2] تكون أكثر تكفلا برفع مستوى الثقافـــة الإسلامية بالجزائر المحتلة. فكان من بين هذه الوسائل إحياء البعثات الطلابية من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة، والذي لعب دورا هاما في إيقاظ همم الجزائريين، وهـــذا بعـــد أن عمدت السلطات الاستعمارية إلى تقليص المدارس العربية ومحاربة الثقافة العربية والدين الإسلامي، وإحـــلال اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاهد والمدارس[3]، وعلى هذا الأساس كانت ربوع الجزائر قاطبة تعـــيش حركة نهوض قصد الخروج من الانحطاط والركود الذي بات يؤرق غالبية المثقفين.

وخلال العشرينات شهدت وادي سوف عودة مجموعة من الطلبة الذين تخرجوا من جامع الزيتونة بعـــدة شهادات، فكانوا نبراسا أجاجا على محاربة الفكر المتعفن. ومن هؤلاء نجد الشيخ عمار بن الأزعر، والشـــيخ السايح اللقاني اللذان كانا قد نشطا بقمار، حيث لعبا دورا بارزا في تشجيع عدد من الطلبة بقمار لعزم علـــى الهجرة إلى تونس لمواصلة التعليم بجامع الزيتونة. غير أن الشيخين عمار بن الأزعر، ومحمد الســـايح اللقـــاني ضويقا من طرف السلطة الاستعمارية والطرقية، فما كان من أمرهما إلا اختيار الهجرة من جديد، فلجأ الأول إلى المدينـــة المنورة سنة 1358هـــ / 1937م، والثاني فضل العـــودة إلى تونس، حيث التحـــق بســـلك التعليم بالزيتـــونة دون أن ينقطع في التردد على قمار[4]، ومحاولة تقديم دروس للطلبة والعامة في بعض المساجد بقمار.

فكان هذا النشاط جدّ ناجعا، حيث ساهم في توسيع دائرة الهجرة إلى الزيتونة، ومن هؤلاء نجد : الطالـــب عبد القادر الياجوري[5] الذي انتقل إلى توزر بالجريد التونسي قصد حفظ القرآن الكريم، وتعلم بعض العلوم.

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 33.

[2] عبد الكريم بو صفصاف : المرجع السابق، ص ص 74 - 75.

[3] محمد الصالح الجابري : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ص ب.

[4] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 201.

[5] ولد الشيخ عبد القادر الياجوري بقمار سنة 1912 – ينظر أبو القاسم سعد الله : " مجاهد من نوع آخر "، **مجلة الثقافة**، العـــددان 105 – 106، الجزائر، نوفمبر - فيفري، 1994 / 1995، ص ص 53 – 77. - محمد الحسن فضلاء : **من أعلام الإصلاح في الجزائـــر**، ج 2، دار هومة، الجزائر، 2000، ص 76.

وفي سنة 1925 انتقل إلى جامع الزيتونة، ليتخرج منه بشاهدة التطويع سنة 1934[1]. كما نجد الطالب محمد الطاهر التليلي الذي كان مواظبا في الحضور لدروس الشيخ محمد بن السايح اللقاني منذ 1923 التي كان يلقيها في الزاوية التجانية، كما كان يحضر دروس الشيخ عمار بن الأزعر في بعض مساجد قمار، وعند بلوغه سن السابعة عشر[2] قصد تونس عن طريق الجريد وذلك سنة 1927[3]، حيث مكث بجامع الزيتونة سبع سنوات، فتحصل خلالها على شهادة التطويع وذلك سنة 1934[4]. والطالب علي بن سعد خيران[5] المعروف بخيران، وهو من تلاميذ الشيخ عمار بن الأزعر هاجر إلى جامع الزيتونة سنة 1928[6]، ومكث به أربع سنوات ليتحصل على شهادة التطويع سنة 1932، بالإضافة إلى الطالب الحفناوي هالي[7] الذي هاجر بدوره إلى تونس ليلتحق هو الآخر بالزيتونة لينال شهادة التطويع بعد سنوات مكث بها بالجامع. كما نجد الطالب حمزة بوكوشة[8] الذي التحق بتونس سنة 1923، وزاول دراسته بجامع الزيتونة[9] لمدة ست سنوات، ليتخرج منه بشهادة التطويع[10]، وقد كان ذلك سنة 1930[11]. وهكذا استمر التوافد على جامع الزيتونة من أجل مواصلة التعليم بتونس من أبناء المنطقة عبر كامل أنحائها وحواضرها لما كان لهذه العشرية من أثار بدءا من عودة بعض الشيوخ، وتباعا للسياسة الاستعمارية المتبعة في اضطهادهم. كما شهدت هذه العشرية حدثا هاما تمثل في إعلان أحد أقطاب الطرق الصوفية وهو الشيخ الهاشمي الشريف حبس أملاكه لسبيل العلم، وبعث أبناءه إلى جامع الزيتونة جاعلا لكل من يتحصل على شهادة التطويع الحق في الإشراف

---

[1] أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 49. (هامش رقم *).

[2] محمد الحسن فضلاء : نفس المرجع، ج2 ص ص 76 – 77.

[3] أبو القاسم سعد الله : " فقيد العلم والجزائر الشيخ محمد الطاهر تليلي (1910 – 2003) "، **جريدة الشروق اليومي**، عدد 950، الجزائر، 16 ديسمبر 2003.

[4] أبو القاسم سعد الله : نفس المرجع. – إبراهيم مياسي: " ذكريات عن العلامة الطاهر التليلي "، **جريدة البصائر**، السلسلة الرابعة، العدد 180، الجزائر، فيفري - مارس 2004.

[5] ولد الشيخ علي بن سعد سنة 1908، بقمار. – ينظر علي غنابزية : " مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920 – 1938 "، ص 05.

[6] محمد الحسن فضلاء : نفس المرجع، ج2 ص 18.

[7] ولد الشيخ حفناوي هالي سنة 1911 بقمار. – ينظر محمد الحسن فضلاء : **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج 1، دار هومه، الجزائر، 2000، ص 266.

[8] حمزة بوكوشة : هو حمزة شنوف ولد بوادي سوف سنة 1906 – ينظر محمد الصالح الصديق : " الشيخ حمزة بوكوشة "، **جريدة البصائر**، العدد 177، السلسلة الرابعة، الجزائر، فيفري 2004.

[9] محمد الصالح الصديق : نفس المرجع. - غير أن محمد الحسن فضلاء يقول سنة 1924. - ينظر محمد الحسن فضلاء : المرجع السابق، الجزء ج 2، ص 62.

[10] محمد الحسن فضلاء : نفس المرجع، ج2 ص 62.

[11] علي غنابزية : " مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920 – 1938 "، ص 02.

على زاوية من الزوايا القادرية. كما وضع مراقبين يتحسسون أحوالهم في الحضور، والغياب عـــن الـــدروس، بالإضافة إلى تخصيص راتبا شهريا يضاهي راتب مدرس من الطبقة الثانية بجامع الزيتونة لكل منهم، وقد قيـــد ميثاق هذا الحبس في كراس سنة وفاته[1]، وهذا يوم 23 سبتمبر 1923[2].

لكن ما يستدعي الوقوف عند هذا الموقف هو تحالف الفقهاء الجامدين، وشيـــوخ الطرق المدجلين علـــى تنفير النّاس، وتزهيدهم في الهجرة إلى جامع الزيتونة، لأن المتخرجين منه يقفون بالمرصاد للبدع والضلالات التي يعتقدها العوام، ويعملون على ترسيخها على أساس أنها سنن حميدة، وهي لا تمت للدين بصلة في شيء. كما كانت زاوية الشيخ الهاشمي ببسكرة قبل وفاته تقوم بتدريس الطلبة على يد الشيخ علي بن إبراهيم العقبي، ومن أهم طلابها نجد الأستاذ حمزة بوكوشة الذي كان أصغر الطلبة سنا بها بالإضافة إلى شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة والشيخ عبد العالي الأخضر وغيرهم[3]. ومن هذا نلاحظ أثر التطورات التي شهدها المغـــرب العـــربي خلال العشرينات نتيجة الهزات العنيفة التي فجرها التصادم مع المدّ الاستعماري وتغلغله في العالم الإسلامي[4]، وقد شملت هذه الهزات كل جبهة من جبهات المقاومة الوطنية ثورة مسلحة، أو انتفاضة سياســـية أو دعـــوة إصلاحية، أو تفجر فكري أدبي يبعث على مراجعة المسلمات، ويتجاوز الرتابة وينشد الثورة على السكون[5]. وبالفعل لقد كان للشيخ الهاشمي الشريف موقفا من المستعمر تجاه سياسة التجنيد التي عزم على تنفيذها بموجب قانون شهر جويلية 1917م ، والذي أدرجت من خلاله منطقة الجنوب التي أصبح أهاليها مطبـــق علـــيهم التجنيد، حيث كان التجنيد قبل هذا التاريخ لا يعني شبابهم، فما كان على الشيخ الهاشمي إلا مناهضة هـــذا القانون فدعا إلى انتفاضة يوم 15 نوفمبر 1918[6]. ومنذ تلك الحادثة تغيرت نظرة الشيخ لقضايا عديـــدة كان يشوبها كثيرا من الغموض ومنها تقريب وجهات النظر بين الطريقتين القادرية والتجانية، ومحاولة توســـيع زاويته وإنشاء فروع لها في البلاد[7]، وقد تجسد ذلك المسعى خاصة بعد عودة الشيخ عبد العزيز الشـــريف[8] الابن الأصغـــر للشيـــخ الهـــاشمي سنـــة 1923 من الزيتـــونة، وقد تحصـــل على شهـــادة التطويـــــع

---

[1] حمزة بوكوشة : " الهاشمي الشريف "، ص 07.

[2] عمار هلال : **أبحاث وأدراسات**، ص 223.

[3] حمزة بوكوشة : " الهاشمي الشريف "، ص 07.

[4] صالح الخرفي : **في رحاب المغرب العربي**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص37.

[5] صالح الخرفي : نفس المرجع، ص 37.

[6] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 564. - عمار هلال : **أبحاث ودراســـات**، ص ص 321 - 322. - إبـــراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر، ص 222.

[7] عمار هلال : **أبحاث وأدراسات**، ص 322. - إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر**، ص 222.

[8] ولد الشيخ عبد العزيز الشريفبعميش (البياضة).– أرشيف ما وراء24 H 9. نقلا عن عمار هلال : **أبحاث وأدراسات**، ص ص 321.

سنة 1922[1]. علما انه التحق بجامع الزيتونة سنة 1913م[2]، وهو قد صاحب ثلة من طلبة الزيتونة الذين كانوا نتاج البعثة الأولى التي سعى الشيخ ابن باديس لإرسالها سنة 1913لولا ظروف الحرب الــتي حالــت بينهم. لكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها عاودت هذه البعثة دراستها، فتخرجت سنــة 1924، فكانت ثلة من خيرة علماء الجزائر ومجاهديها، ومصلحيها من أمثال : محمد السعيد ألزاهري، وصالح بن يحي، ومبارك الميلي، ومحمد خير الدين، وغيرهم كثير[3]. وهم قد تزامنوا في وجودهم مع وجود الشيخ عبد العزيز الشريف مما يدل على وجود صلات ساهمت في دفع الشيخ عبد العزيز الشريفإلى تعيين الكثير منهم مدرسين بالزوايــا المتفرعة عن زاويته بعميش بوادي سوف، فعين الشيخ محمد السعيد ألزاهري بالأغواط في سنة 1926. كما حاول تعيين الشيخ مبارك الميلي بزاوية الأغواط[4]، غير أن معارضة الشيخ مبارك للطرق حــال دون تلبيــة العــرض[5]، وقد تنــاولت هذه العلاقة مجلة **الشهاب** في عددها 49 المؤرخ في 10 صفر 1345هـــ - 23 أوت 1926م[6].

كما كان الشيخ الصديق بن عريوة مدرسا بزاوية توقرت، والشيخ المدكالي مدرسا بزاوية بسكرة. وعلــى هذا الأساس نلاحظ أن هناك تمايزا بين وادي سوف، وغيرها من مناطق البلاد الأخرى، حيث عدّ هذا الفعل من طرف الشيخ عبد العزيز الشريفانقلابا عن المسار الطرقي من اجل تقويمه وإصلاحه من طرف الأب والابن، رغم ما كان يحيط بالحركة الإصلاحية في مهدها من عراقيل كان أصحاب الطرق الصوفية طرفا فيها. وهكذا كانت وادي سوف تنبض بالحياة معلنة بذلك عن دورها في المشاركة في هذه التقلبات من المواقف المعتدلة إلى الإصلاح مثل : الشيخ محمد بن السايح اللقاني الذي اجتذبته حركة الأمير خالد، والشيخ عمار بن الأزعــر الذي اعتنق المباديء الإصلاحية وجاء يبثها بين طلبة العلم بقمار[7]. كما وجد مجموعة مثقفة مرتبطة بالحركة الصحفية، حيث كان هناك مراسلين لبعض الصحف الوطنية، ومن هؤلاء نجد : سالم بن الطاهر بن ســلمي مراسل **الشهاب** سنة 1926، ومحمد بن خالد مراسل مجلة **الشهاب** سنة 1927، والطاهر محمد مراســل نفس المجلة سنة 1928[8]، وساعي (الزقم) وغيرهم كثير من أبناء المنطقة الذين حــاولوا مــن خــلال

---

[1] إبراهيم مياسي: " أضواء على الشيخ عبد العزيز الشريف المصلح الديني "، **الندوة الفكرية السادسة محمد الأمين العمــودي**، دار الثقافــة، الوادي، أيام 29 – 30 أفريل – 01 ماي 1993، ص 24.

[2] إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر**، ص 223.

[3] محمد صالح الجابري : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ص ص (ج – هــ)

[4] حمزة بوكوشة : " الشيخ الهاشمي "، ص ص 07 - 08.

[5] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 567.

[6] **الشهاب** : ج 1، م 1، مصدر سابق.

[7] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة** ، ص 201.

[8] **لقاء** مع الباحث محمد المولدي سيشي، مرجع سابق.

مساهمتهم هذه تفعيل الوسط الثقافي بالمنطقة. وهكذا عاشت المنطقة حالات من التأهب، والنهوض كغيرها من المناطق الجزائرية معلنة بذلك عن بداية عهد يتسم بملامح النهوض، والدفاع المستميت عن قضـايا تمثلـت في الثلاثينات في شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " الإسلام ديننا – والعربية لغتنا – والجزائر وطننـا "، فكانت هذه القضايا هي الشغل الشاغل الذي يؤرق مضاجع الجزائريين.

2 – ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف :

إن ظهور جمعية العلماء المسلمين بالجزائر كان نتاج جهد استغرق عقود عديدة، وهذا انطلاقا من الحركـة الصحفية التي شهدتهـا الجزائر من خلال **المنتقد** و**الشهاب** للشيخ عبد الحميد بن باديس، و**الإصلاح** للشيخ الطيب العقبي و**صدى الصحراء** لأحمد بن العابد العقبي الصادرتان ببسكرة[1]. فمن خلال هـذا التعـدد في صدور الصحف كانت الوثبة التي ثمنتها زيارات الشيخ عبد الحميد بن باديس لشخصيات عديدة مـن أبنـاء الوطن كان من بينهم : الشيخ الطاهر العبيدي. كما كانت الحركة التعليمية المتأججة والتي كانت وجهتـها جامع الزيتونة المعمور، والتي بدورها ساهمت في إبراز أقلام مصلحة راحت تبشر بالعهد الجديد الذي بـات الهاجس الوحيد والأهم للعديد من شباب وشيوخ البلاد، ومن خلال هذه الأصوات المتعالية، فما إن بزغـت الاحتفالات المئوية بمرور قرن عن استعمار الجزائر حتى طفت فكـرة تأسـيس جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائريين[2]، حيث جاء في مجلة الشهاب نصا كتبه محمد السعيد ألزاهري يصور من خلاله رغبة الجزائـريين التواقة لحضور المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي[3] : « وعقد المؤتمر في نـادي الترقي، وغصَّ هذا النادي بالوفود القادمين من أطراف البلد وتنازل الأعضاء من سكان العاصمة وضـواحيها عن أمكنتهم وكراسيهم لضيوفهم وإخوانهم الوافدين، واكتظ النادي، وامتلأت مدرجاته الفسيحة. واكتظ كل ما فيه من رحاب وأبهاء، وغرف وحجرات، واكتظت المماشي والممرات، وامتلأ السلم وكل ما يحيط بالنادي من المقاهي والساحات. وكان ضروريا الخضوع للأمر الواقع، واستعمال عدة مكبرات للصوت. ولو أنـت أحصيت كل هؤلاء الحاضرين لأحصيت منهم في الأقل خمسة آلاف ».

وقد كان حظّ علماء سوف وفيرا في الدعوة إلى الحضور لهذا الصرح، حيث نقل الدكتور أبو القاسم سعد

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص ص 254 – 255.

[2] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية (1930 – 1945)**، ج 3، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائـر، 1986، ص ص 81 – 102. Ahmed Sarri : **L'Association des Ulama musulmans Algériens et l'administration française en Algérie de 1931 à 1956**, Doctorat de l'Université de Provence, Aix - Marseille I, 1990, p p 40 -69.

[3] **الشهاب** : ج9، م 10، يوم الأحد 01 جمادي الأول 1353هـ - 12 أوت 1934.

الله عن المرحوم الشيخ الهاشمي حسني عام 1980 : « أن الدعوة وجهت للجميع من علماء الوادي منهم : الشيخ إبراهيم بن عامر والشيخ الطاهر العبيدي، وأخوه أحمد العبيدي والشيخ الميداني موساوي، فلم يحضـــر سوى الشيخ عمار بن الأزعر[1]. ». وقد كان الشيخ عمار بن الأزعر يقاوم الوضع الذي كان سائدا بسوف من تخلف، وفساد. وهذا منذ عودته من جامع الزيتونة سنة 1343هــ / 1925م، حيــث يقــول : « ثم عدت لابتداء صفحة أخرى من الجهاد المقدس في نشر عقيدة السلف والدعنـــوة إلى الرجوع إلى كتاب الله والسنة ومحاربة البدعة والضلالة وكنت أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين[2]. »، ولم يكن الشيخ عمار بن الأزعر وحده محاربا للبدعة والخرافة، بل وجد عددا من العلماء الذين حاولوا مقاومة الوضع وإن كانوا قد اختاروا الطرق الصوفية ملاذا للانطلاق في إقامة المشروع الإصلاحي.

كما أن وصول الجرائد والصحف التي كانت تأتي من حاضرة بسكرة كان عاملا مساهما في التعرف على أراء أعلام الإصلاح، وباعثا إلى روح الاعتزاز بها، فقد كانت هذه الصحف والجرائد تملأ الأفاق رحبا، خاصة كل من قمار والزقم باعتبارهما حاضرتان تؤمان خيرة أبناء المنطقة. وعلى هذا الأساس حضر مؤتمر تأســـيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كل من : محمد الأمين العمودي والشيخ عمار بن الأزعر، وحمزة بوكوشة. كما وصلت دعوات للعديد من الشيوخ قد حال بينهم وبين السفر العناء، أو لكون الفكرة لم تتخمر لـــدى الكثير منهم، وهذا ما قد صرح به حمزة بكوشة في قصيدته التي رثى بها شيخه إبراهيم بن عـــامر، أن شـــيخه أشاد وأثنى عن دور جمعية العلماء[3]، رغم عدم تلبيته لدعوى الحضور للمؤتمر التأسيسي للجمعية. هذا ما سمح للمنطقة أن تشارك بقسط وافر، رغم قلة السكان وبالنظر للنفوذ الواسع للطرق الصوفية خاصـــة التجانيـــة، والنظام العسكري الذي كان يسود البلاد، حيث كانت المناطق الجنوبية ذات نظام عسكري. هذا حال دون تمكن دعوة جمعية العلماء من التوغل بقوة إلى المنطقة إلا بعد عودة بعض طلاب المنطقة من جـــامع الزيتونـــة ابتداء من السنوات 1933 – 1934[4]. لكن رغم ذلك إلا أن الفكر الإصلاحي كان حاضرا بقوة، وفي وقت مبكر على يدّ كثير من الرواد من أمثال الشيخ عمار بن الأزعر الذي كابد في سبيل هذا الفكر الاضطهاد والتضييـــق، ثم مـــا لبث أن ضـــاق مرارة الاغتـــراب الذي احتاره على مضض[5]، وهـــو يصف الوضـــع قائلا : «... وكنت أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين ورئيسا لشعبتها في جنوب الجزائر.

وقد لقيت في نشر الدعوة في تلك الأيام ما يلاقيه أمثالي من جور الاستعمار وإخواني من الطرقيين يعـــرف

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **تجارب في الأدب والرحلة**، ص 102. (الهامش رقم 02).

[2] محمد سعيد دفتردار : المرجع السابق، 1105.

[3] **النجاح**: العدد 1338، مصدر سابق.

[4] أحمد صاري : عبد العزيز الهاشمي والإصلاح، ص 564.

[5] أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ص 174.

ذلك أهل تلك البلاد ... ودامت الصفحة من الجهاد أحدى عشرة سنة ثم أعقبت ذلك الهجـــرة إلى الـــبلاد المقدسة خوفا على الأهل والذريّة من الفتن وذلك سنة 1353هــ[1]. ».

ورغم الوضع المتعثر للحركة الإصلاحية بوادي سوف إلا أن بعض التقارير الإدارية كانت ترى أن هـــذه الحركة تشكّل موضوع قلق للسلطات الإدارية بالجنوب، ففي هذا الشأن نجد السلطات العســكرية بملحقـــة الوادي قد أعلمت القائد العسكري بمنطقة توقرت بتوزيع إحدى المنشورات وهي " شهادة " لصـــالح جمعيـــة العلماء المسلمين الجزائريين والتي كان من المفروض أن يمضيها أعيان المنطقة[2]. وقد كانت هذه الشـــهادات عبارة عن مساندة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أمضيت من طرف العديد من النواب خاصة نواب عمالة قسنطينة؛ قصـــد الدفاع عن الجمعية، ومحاولة ردّ التهم عليها التي وجهت لها إثر الاضـــطرابات الـــتي شهـــدتها الجزائر خلال سنتي 1933 – 1934[3]. كما وجدت مراسلات لسلطة المســتعمرة بالمنطقـــة (مارس 1935) قد أرسلت إلى الولاية العامة بالجزائر جاء فيها : «إذا كان نشاط رجال ابن جلول لا يشكل في الوقت الحالي خطرا يتعلق بالجنوب،فإن نشاط العلماء المصلحين السري يجب أن يلقى كل العناية[4]. ».

وهكذا اتسع نطاق الحسّ والتفاعل مع الحركة الإصلاحية بالجزائر، فكانت وادي سوف من المناطق المتأثرة، فتشكلت لجنة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد تكون الشعبة التي تكلّم عنها الشيخ عمار بـــن الأزعـــر حينما قال : «... وكنت أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين ورئيسا لشعبتها في جنوب الجزائـــر[5]. »، وقد تشكلت هذه اللجنة " الشعبة " من : الشيخ عمار بن الأزعر، وحمزة بوكوشة، وعبد الكامل بن عبد الله النجعي، والهاشمي الدراجي، والهاشمي بن حميدة (حسني)[6]، في حين كان تأسيس شعبة الوادي نتاج مساعي التاجر عبد الكامل النجعي[7]، حيث استطاع أن يلمّ حوله عددا من مؤيدي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم ذهب إلى إنشاء شعبة بالوادي، واستطاع الوصول إلى غرضه بعد مرور حمزة بوكوشة بالوادي في إحـــدى

---

[1] محمد سعيد دفتردار : المرجع السابق، 1105.

[2] أرشيف ما وراء البحار 14 H 9. – نقلا عن أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 565.

[3] Ahmed Sarri : Op cit, p p 127 -138.

[4] أرشيف ما وراء البحار 14 H 9. – نقلا عن أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 564.

[5] محمد سعيد دفتردار : المرجع السابق، ص 1105.

[6] علي غنابزية : " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بسوف (نشاط فكري وسياسي وتجارب واسعة) "، مرجع سابق.

[7] عبد الكامل بن عبد الله النجعي ولد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد دخل مدرسة الأهالي بالوادي،وكـــان قـــادري الطريقـــة، حيث كان مولعا بالمديح إلى أن وصل به الأمر إلى ترجمة بعضه للفرنسية، وفي العقد الثاني من القرن العشرين للميلاد التحق بمناجم الوانزة قصـــد العمل، ليعود في العشرينات من نفس القرن إلى الوادي ويشتغل بالتجارة. – **لقاء** مع الشيخ عبد الله النجعي ابن أخ عبد الكامل وهو من مواليـــد 1912م يوم 05 جمادي الثانية 1424هـــ - 03 أوت 2003م مساء.

زياراته لها[1]. وهكذا بدأت دائرة الإصلاح تتسع بوادي سوف خاصة في كل من وقمار، والوادي. وهـذا كله كان نتيجة عودة الكثير من طلبة الزيتونة إلى وادي سوف، ومباشرتهم للعب دور التعليم والتوعية، والدعوة إلى الإصلاح قصد مناهضة الاستعمار ومكابدة جرائمه المقترفة في حقّ الأهالي خاصة رجال الإصلاح بالمنطقة. لكن ما يلفت الانتباه أن كثيرا من الساعين في دعم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالوادي المركزي هم أولئك الذين اخذوا تعليمهم الابتدائي بالمدرسة الأهلية بالوادي، وقد تحصلوا في غالبهم على شهادة نهاية الابتدائي، ومن بينهم : عبد الكامل النجعي، والهاشمي بن حميدة (حسني).

وهكذا كان دور كل من محمد الأمين العمودي وحمزة بوكوشة، والشيخ علي بن سعد خيران، خاصة في مجال الصحافة خارج وادي سوف، حيث كان هذا الدور بمثابة المحفز لسعي المتبقين في المنطقة إلى استيعاب فكر جمعية العلماء المسلمين، ونشر أفكارها، وهذا أمام مواجهة كل من الطرقيين والسلطة الاستعمارية، حيث أن كل من اشتمت فيه رائحة الدعوة أو التعاطف، أو الاتصال بجمعية العلماء المسلمين، أو أحد ابرز أعضائها كان مصيره النفي والإبعاد، وهذا مصير جميع أقطاب الإصلاح بالمنطقة، حيث وجدوا متنفسا لهم في بسكرة الحاضرة الأكثر قربا من وادي سوف، أو حتى تونس مثل الشيخ محمد بن السايح اللقاني[2]، وهذا ما أقره الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال بعنوان : "«...وفي سبيل الله ما لقيت » اضطهاد جديد" حيث جاء في مقدمته : « يلقى أعضاء جمعية العلماء العاملون – وهم الطائفة القائمة على نشر تعليم الإسلام للصغار والكبار – ما يلقون من أنواع المعاكسة والاضطهاد، وأكثرهم في ذلك – والحمد لله – صابرون محتسبون، وأقلهم بالتقية معتصمون. فإذا طلبوا رخص التعليم أو غيرها من مصالحهم حسب القانون فوجئوا بالسؤال عن عقيدتهم وما تنطوي عليه صدورهم، وعن آرائهم وأفكارهم، وهل هم من جمعية العلماء ؟ وهل قرأوا على ابن باديس ؟ وهل قرأوا على بعض تلاميذه ؟ وهل عرفوه ؟ وهل هم مشتركون في "الشهاب"؟ وهل هم مشتركون في البصائر؟ فإذا عرفوا منه أو عنه شيئا من هذا تجهموا له ورفضوا طلبه وعرقلوا أعماله وعاكسوه في مصالحه الخاصة وكان عندهم من المبغوضين[3]. »، فكانت ثلة من جماعة الإصلاح بالمنطقة قد ساهمت في نشر حركة الإصلاح في العديد من حواضر الزّاب نتيجة العلاقة التي تربط هؤلاء بأصدقاء لهم في الدراسة بجامع الزيتونة المعمور بتلك المناطق.

وعلى هذا الأساس ظل أعضاء جمعية العلماء المسلمين يتزايدون من حين لآخر لتعم الجمعية أرجاء المنطقة بكاملها، وهذا وفق الإحصائيات التي قدمها الدكتور أحمد نجاح خلال دراسته للمنطقة - دون أن ننسى

---

[1] أرشيف ما وراء البحار 14 H 9. – نقلا عن أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 565.

[2] محمد الطاهر التليلي : **منظومات**، ص 08.

[3] **البصائر** : عدد 150 السنة الرابعة الجمعة 06 ذي الحجة 1357هـ - 27 جانفي 1939.

الوضع المعاش الذي دعا بالكثير منهم إلى التستر دون الإفصاح عن ميولهم، أو تعاطفهم مع جمعية العلماء المسلمين - حيث جاءت كالآتي : ففي حاضرة الزقم كانت نسبة قبول الجمعية لدى الأهالي البالغ عددهم 7000[1] ساكنا تزيد عن 99%، وفي قمار وصلت النسبة إلى 50% من أصل 10150 ساكنا – أي نصف سكان قمار -. أما في حاضرة الوادي فكانت النسبة أقل بالمقارنة للحاضرتين السابقتين، وكان أغلب أعضاء الجمعية بالوادي ينتمون إلى عرش أولاد أحمد، حيث كان عددهم في تلك الأثناء 600 ساكنا؛ أي 7.5% من سكان أولاد أحمد و0.05% من كامل سكان الوادي. أما بكونين والرقيبة فقد وجد فيهما القليل من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، وهذا لكون هاته المناطق متأثرة بالطرق الصوفية كالتجانية والقادرية، والعزوزية (الرحمانية)[2]. وهكذا أخذت الحركة الإصلاحية – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - تتوغل في أوساط الأهالي من أجل مناهضة الاستعمار من جهة، ونفض الغبار والاستهانة الذهنية من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس كانت المواجهات المتكررة بين الإصلاحيين، وأصحاب الطرق الصوفية، ومن بين هذه المواجهات اعتبار الأسر ذات الانتماء الإصلاحي أسر مغضوب عليها من طرف الأهالي، فيذكر الشيخ الهاشمي بن حميدة (حسني) أن بيتهم كان عرضة للمحاجرة، حيث كان المارة من الحي أو القادمون من عميش يحاجرونهم بدعوى الحصول على الأجر لأنهم " بني عصرون "، وهذا بإيعاز من بعض العوام من مريدي الطرق الصوفية[3].

وعلى هذا الأساس حاول الإصلاحيون السير بخطا متثاقلة في جهة، ومتسارعة في منطقة أخرى من ربوع وادي سوف، وهذا بحسب متطلبات الظروف المحيطة بكل منطقة قصد الوصول إلى مبتغى مفاده النهوض وتحقيق هدف نبذ الاستعمار، والجهل والخرافات معا. وقد تجسد ذلك عن طريق الصحف والجرائد التي كانت تتوافد على المنطقة باستمرار مثل : مجلة **الشهاب** وجريدة **البصائر**، وغيرهما[4] ويذكر الأستاذ حمزة بوكوشة منوها بقمار:« ورواج الصحافة العربية بهذه البلدة (قمار) أكثر منها ببلدان سوف، وبالأخص بلدة الوادي التي ابتلاها الله بنفر ممن ينفّرون الناس جهدهم من تناول الصحافة العربية على اختلاف مبادئها، ويتلون على ذلك قوله تعالى (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ**)[5]، وهذا هو التفسير بالرأي عياذا بالله منه[6]. »، لكن رغم هذا استمر صوت الإصلاح يرن في المناطق كلها حتى أصبح ذا شأن كبير عند إعلان

---

(1) Ahmed Nadjah : Op cit ; p 130.

(2) Ibid , p 130.

(3) **لقاء** مع السيد رشيد حسني، الابن الأكبر للشيخ الهاشمي حسني يوم 12 رجب 1424هـ / 08 سبتمبر 2003 ببيته مساء.

(4) Ahmed Nadjah : Op cit, p 129.

(5) **سورة البقرة**، الآية 249.

(6) محمد صالح الجابري : **رحلات جزائرية**،، ص 147.

أحد أقطاب الصوفية إنتماءه للإصلاح ألا وهو الشيخ عبد العزيز الشريف، وهذا بالإفصاح عن رغبته في الانتماء إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1937، ليكون لهذا الموقف شأنا عظيما بالمنطقة.

أ - ميادين ومجالات نشاطها :

إن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف كان يعتمد اعتمادا كبيرا على مجهودات الأفراد دون الاعتماد على النوادي أو مقرات ذات صبغة قانونية، وهذا نتيجة الوضع العام الذي كانت تعيشه المنطقة، مما شجع الكثير من الإصلاحيين بوادي سوف في العمل على ابتكار ميادين ومجالات لتنشيط حركية الإصلاح. ومن هذه الميادين والمجالات نجد محل التاجر عبد الكامل النجعي بسوق الوادي، حيث كان هذا المحل شبه مقر يؤمه الإصلاحيون في كل حين، بل كانت هناك لقاءات راتبة تجمع رواد الإصلاح بالمنطقة بنفس المتجر لكون صاحبه من مثقفي المنطقة وقدرته على المطالعة باللغتين العربية والفرنسية هذا كان كافيا لجعله قادرا على الإلمام بمجريات الأحداث نتيجة معايشته للواقع من خلال الصحف والجرائد وعلى هذا الأساس كان متجره محل لقاءات للعديد من الشخصيات من أهمهم : الشيخ الهاشمي الدراجي والهاشمي حميداتو، وغيرهم من أعضاء الإصلاح. كما كان يوفد عليهم حمزة بوكوشة كلما قدم إلى الوادي. وقد كانت السلطات الفرنسية تولي اهتماما بالسيد عبد الكامل النجعي لنشاطه الحثيث، حيث ضربت عليه محاصرة غير معلنة، فكان يخضع للتفتيش هو وجميع الركاب بالحافلة العازمين السفر لبسكرة قصد إلتقائه بشيوخ الإصلاح، وجلب جرائد الإصلاح كـ **الشهاب** و**النجاح**، و**البصائر** فيما بعد، لكن هذه المضايقات المتكررة جعلت السيد عبد الكامل يهتدي إلى وسيلة مفادها تكليف شخص يجلب هذه الصحف أسبوعيا من بسكرة، وهو السيد " بشير البهلي " من السيد " يوسف العمودي " أخ محمد الأمين العمودي.

أما خروجه من الوادي كان صوب تبسة نتيجة عدم اشتداد المراقبة العسكرية على الطريق لأنه أقل رقابة من طريق بسكرة، فكان سفره هذا من أجل الالتقاء بالشيخ العربي التبسي للتشاور معه في قضايا تهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1]. وعليه فإن متجر عبد الكامل النجعي كان بمثابة نادي يؤم رجال الإصلاح بالمنطقة، وهذا لكونه يتواجد بالسوق، فكان هذا الأمر مسهلا للقاءات الدورية رغم محاولات التستر الدائم واليقظة لكون أمر الإصلاح المتمثل في الجمعية منذ ظهوره بات أمرا مقلقا للسلطات الفرنسية.

أما بتكسبت فقد كانت ثلة من المصلحين الذين يطلق عليهم ببني عصريون يتخذون من أحد المنازل بالحي مقرا لهم للالتقاء به في الليل قصد الاجتماع فيه، والمذاكرة، ومن هؤلاء نجد عبد الحفيظ

---

[1] **لقاء** مع السيد عبد الله النجعي، مرجع سابق.

صالحي[1]، والطيب فرحات احميدة، والبشير بن بردي والحاج العربي فرحات احميدة، وهم يشكلون الأعضاء الأساسيون لشعبة جمعية العلماء بتكسبت، كما كان يحضر هذه اللقاءات السيد عبد القادر عليلة، حيث كان هذا البيت مكترى من طرف هؤلاء الأعضاء، ليستغل في الصباح كمدرسة حرة لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين علوم الدين واللغة[2]. غير أن ما يتسم به هذا العمل في اختيار الليل ملاذا، والحرص الشديد للسرية التامة قصد التكتم، وعدم الإفصاح نتيجة العــداء الذي كان يكنه الكثير من سكــان الحي لهــؤلاء الإصلاحيين، لتفشي الطرقية التجانية والقادرية. أما بقمار فقد كان لكثير من رجــال الإصلاح الرغبة الجامحة في الإفصاح علــى خلجاتهم الإصلاحية دون تلكك أو خوف، وهذا انطلاقا من الشيخ عمار بن الأزعر الــذي رفــع صــوت الإصلاح قبل بزوغ نجم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ليدعم فيما بعد بكوكبة من الشباب النبيل خريــج جامع الزيتونة، وهم كثر أهمهم: الشيخ عبد القــادر الياجوري والشيخ علي بن سعد، والشيــخ محمد الطاهر التليلي، رغم الوضــع الطرقي الذي كانت تعيشه قمار غير أن نسبة الإصلاحيين كانت تقدر بـــ 50% من سكان البلدة[3]. وفي بلدة الزقم كان للإصلاحيين دور فاعل في تنشيط الحركة الإصلاحية، وهذا نتيجة النسبة العالية التي تزيد عن 99% من مجموع سكان البلدة[4]، هذا بدوره جعل الحركة الإصلاحية بالزقم تعمل دون تكتم. وقد تمثلت هذه الكوكبة الإصلاحية في شخصيات عديدة من أهمها :

الشيخ عبد الرحمان معمري والشيخ مسعود عباسي، والحاج فرج ومحمــد أم الهنــاء والشــيخ الطــاهر معمري[5]، ولمقدم بن لخضر وإبراهيم كلكامي[6]، وقد تعددت أماكن وميادين نشاطاتهم، حيــث شملــت المساجد والساحات العامة والأزقة، والمقاهي والمنازل أمثــال: منزل بدر الديــن ومنزل حناني، فكانت هذه

---

[1] عبد الحفيظ : هو عبد الحفيظ بن العيد صالحي من مواليد 1899 بالوادي هاجرت أسرته إلى تونس هذا مكنه من الالتحاق بجامع الزيتونة، ليعود في العشرينات من القرن العشرين للميلاد إلى وادي سوف ليستقر بتكسبت، وقد احترف الخياطة لتكسب. في حين أخذ يــدرس القــرآن الكريم وبعض العلوم كاللغة والفقــه بالجامع العتيق بالحي نفسه وقد كانت له مكتبة قيمة، حيث يصف ابنه الأصغر أنه في أوائل الثورة وخوفــا من المداهمات أخذ هذا الأخير يحرق الكتب، وبعض الصحف والمجلات، فقد كانت مكتبة كثيفة العــدد ومــتنوعة العنــاوين ومتعــددة العلوم.- **لقــاء** بالسيد عبد الواحد صالحي الابن الأصغر لشيخ عبد الحفيظ يوم 17 جمادي الثانية 1424هـ - 15 أوت 2003م مساء.

[2] **لقاء** مع السيد عبد الواحد صالحي، مرجع سابق.

[3] Ahmed Nadjah : Op cit ; p 130.

[4] Ibid , p 130.

[5] وقد كان الشيخ الطاهر معمري يقيم الدروس العلمية، والحلقات القرآنية بالجامع الأصفر ليتول إمامة هذا الجامع بعد سجــن الشيخ مســعود عباسي بسجن توقورت أثر الأحداث الأليمة التي شهدها وادي سوف إثر زيارة القائم بالشؤون الأهلية سنة 1938م - ينظر محمــد المولــدي سيشي: نفس المرجع، ص 21

[6] إبراهيم كلكامي: هو إبراهيم بن سليمان كلكامي ولد سنة 1913 بالزقم ليحفظ القرآن على يد الشيخ مسعود بن محمد عباسي كما تلقى دروسا في علوم القرآن والفقه في المجالس العلمية التي كان يقيمها الشيخ الطاهر معمري، غير أن تفوقه وقدرته على اســتيعاب الــدروس أهلــه للالتحاق بجامع الزيتونة سنة 1934. ليتحصل منه إلى شهادة التطويع – ينظر محمد المولدي سيشي: نفس المرجع، ص 19.

المواقع محط إلقاء الدروس والمحاضرات ومختلف الأنشطة وإحياء المناسبات. وقد كانت هذه الأعمال تقام يوميا خاصة في الفترة مابين صلاتي المغرب والعشاء، حيث توصد الدكاكين والمقاهي ليخرج سكان القرية للحضور والمشاركة في تلقي الدروس خاصة دروس مسجد العدواني المسائية، مما زاد من توتر الأوضاع بالمنطقة وانزعاج السلطات الاستعمارية، فصبت جام غضبها على القرية والسكان[1].

أما المناطق الأخرى المترامية الأطراف فإننا وجدنا بعض المحاولات تكاد تكون محاولات انفرادية مثـــل دور الشيخ مصباح حويذق[2]، الذي كان يقيم دروسا مسائية يخصصها لعامة الناس، فكانت تنصب حول الوعظ والإرشاد بمسجد قرية الطريفاوي. وفي قرية الرقيبة معقل الطرقية نجد كل مـــن الشـــيخ أحمـــد بلخيـــاري (رضواني)[3]، والشيخ سي الهادي بالباد (الصخري) اللذان كان لهما دور كبير في الحركة التعليمية بالرقيبـــة، وقد وصفا هما الآخران ومن والاهما في المنطقة بالعصريين لمناهضتهم البدع والشرك وقد التحقا بجامع الزيتونة. وهكذا كانت وادي سوف تعج بالكثير من هؤلاء الإصلاحيين نتيجة اتساع دائرة الهجرة لتونس للتحصـــيل العلمي بجامع الزيتونة أو بإحدى معاهده المنتشرة بالجنوب التونسي. ليعاد تأسيس شعبة الوادي في شهر مارس 1937 قبل زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهـــذا بحـــوالي تســـعة اشهر[4]، وقد تكون مكتب هذه الشعبة من السادة[5]:

- الشيخ الأخضر شبرو[6] رئيسا.
- الهاشمي الدراجي نائبا للرئيس.
- محمد بن عيسى كاتبا عاما.

---

[1] محمد المولدي سيشي: نفس المرجع، ص 14.

[2] مصباح حويذق : هو مصباح بن الطيب ولد عام 1902 بالطريفاوي حفظ القرآن على يد والده الطيب عام 1917م ثم إلتحق بالزيتونة عام 1931م ليتخرج منه بشهادة التطويع وعلى إثرها عاد إلى مسقط رأسه ليشتغل بالتعليم فكان يدرس علم التوحيد والنحو والفقه وفي ســـنة 1937 انتدبه الشيخ عبد الحميد إبن باديس مدرسا بمعهد الحديث بتلمسان – ينظر علي غنابزية وآخرون : **مفكرة نهاية القـــرن العشـــرين**، المطبعة العصرية بالوادي، الوادي 1999 – 2000.

[3] أحمد بلخياري : هو أحمد بن علي رضواني (بلخياري) من مواليد 1894 بالرقيبة حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ليهاجر إلى تـــونس قصد الدراسة ليعود سنة 1928م. وعند رجوعه أخذ يباشر التعليم انطلاقا من حفظ القرآن الكريم واللغة العربية بالرقيبة الشرقية، وقبل وفاتـــه حبس بستانه ومكتبته وقفا لمسجد الرقيبة الشرقية (نزلة الرضوين) ليتوفى سنة 1942م. – **لقاء** مع السيد الطيب رضواني بن الشيخ أحمد يوم 19 جمادي الثانية 1424هـــ - 17 أوت 2003م مساء.

[4] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 346.

[5] سعد العمامرة والجيلاني العوامر : **شهداء حرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، بوزريعة، الجزائر، (د– ت)، ص 15.

[6] الشيخ لخضر شبرو من خرجي جامع الزيتونة أشتغل " باش عدل "بمحكمة قمار الشرعية. – ينظر إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 228.

- عبد القادر بن الطاهر نائبا للكاتب العام.

- عبد الكامل النجعي أمينا للمال.

- الأخضر قدور نائبا لأمين المال.

كمـــا تشكلت شعبـــة تكسبت قبـــل زيارة الوفد وهذا لكون أحـــد أعضائهـــا كان من مستقبلي وفد جمعيـــة العلمـــاء المسلميـــن الجزائرييـــن، وهو السيـــد الطيب بن السيد الحاج عبد القادر بن فرحات[1]. لتشكـــل فيما بعد شعبتي كل من قمـــار ووالزقـــم أثناء زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين[2] وشعبة الرقيبة في نفس الزيارة[3]، وقد تشكل مكتب شعبة أثناء اليوم الأول لزيارة وفد الجمعية ومرافقيـــه لينصـــب مـــن الأعضاء كالتالي :

- عبد الرحمان معمري رئيسا.

- إبراهيم كلكامي نائبا للرئيس.

- محمد حامد ابدير كاتبا عاما.

- العروسي احمودة نائبا للكاتب العام.

- مسعود عباسي أمينا للمال.

- العربي احمودة نائبا لأمين المال.

- محمد حامد محضي مراقبا.

- عبد الله احمودة عضوا مستشارا.

- محمد بن الحاج حميداني عضوا مستشارا.

- أحمد ساعي عضوا مستشارا.

- العزوزي تلية عضوا مستشارا.

---

(1) إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 228.

(2) عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 327

(3) محمد خير الدين : المصدر السابق، ص 281.

- بوبكر مومني عضوا مستشارا.

غـير أن الذي عُـرف عن شعبتي الـوادي وتكسبت هو التكتم والسـرية في العمـل نتيجـة وضـع المنطقـة التي تخضع للنظـام العسكري، لكن بعد تبني الشيـخ عبد العزيز الشريف الهاشمي فكـرة الإصلاح في شهر أكتوبر 1937م تغير الوضع لهاتين الشعبتين، وغيرهما من الشعب التي تأسست فيمـا بعـد هـذا التـاريخ[1]. وعليه فإن مجـالات ميـادين نشـاط جمعية العلمـاء المسلمـين بـوادي سـوف قـد تباينت من بلدة إلى أخـرى، ففي الـوادي نجـدها قد اتخـذت متجـر السيد عبد الكامل النجعي مقرا لها ثم ما لبث أن تحـول المقر إلى الزاويـة القـادرية بالـوادي بالإضـافة إلى استغـلال المنـازل مثـل مـا فعـل أعضـاء شعبـة تكسبت والزقـم في حين نجـدها في قمـار منـذ الوهلـة الأولى اسـتغلت المساجـد خاصة مسجـد الطلبة الذي أعتبر صرحـا من صروح الإصلاح ،فقد نـوه به الشيخ عبد الحميد ابن بـاديس قائلا : «... وقد كان أعظم مظاهر الإصلاح في قمـار حيث سعى المصلحـون وجـدوا في بنـاء مسجـد عظيم وتأسيس مدرسـة للتعليم ...[2] »، وقد كـان لهذا المسجد كغير مـن المسـاجد العديـدة بوادي سـوف دور فاعل في نشاط الحـركة الإصلاحية، ومن بين هذه النشطات إحياء يوم بدر من شهـر رمضان لسنة 1355هـ / 1939م، وقد كان هـذا الحفـل مسـاء يـوم 16 رمضـان 1355هـ، وقد نشط الحفـل كلا من السيد عبد القـادر الياجوري وهو صـاحب الفكـرة، ومحمـد الحفناوي الخضر[3].

وهكـذا تنوعت ميـادين ومجـالات نشاط الإصلاحيين حسب كل منطقة وتباعا للوضع السائد بهـا، حيث نلاحظ النشـاط الواسع والمكثف ببلدة الزقـم التي كانت تعجُّ بالإصـلاحيين بنسـبة تزيـد عـن 99%[4]، لكـن هذا كلفها الكثير من المضايقـات والتضييق على سكانها، وعلى العمـوم فـأن نشـاط جمعية العلمـاء المسلمين لم يعدم الوجـود لكـون وادي سـوف حاضرة ذات نشاط ثقافي، وهذا ما أقرت بـه الكاتبـة الفرنسية "سيللي ميللي"[5]، كما أن وادي سوف كانت حاضرة بثـلاث شخصيات من اثنين وسبعين شخصية حضـرت تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي رغم الظروف التي كانت تحياها منطقة وادي سوف.

---

[1] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 327

[2] **البصائر** : عدد 122، السنةالثالثة، الجمعة 17 جادي الأولى 1357هـ - 15 جويليت 1938م.

[3] **البصائر** : عدد 48 السنة الأولى الجمعة 11 شوال 1355هـ - 25 ديسمبر 1936م.

[4] Ahmed Nadjah : Op cit, p130.

[5] J . Scelles Millie : Op cit, p 24.

ب - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومواقفها السياسية بسوف :

إن حقبة الثلاثينات من القرن 20م كانت عقد التفاعلات الكبرى للجزائر باعتبارها فترة زمنية حاسمة شهدت ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا بدوره كان مساعدا لتفعيل الأحداث قصد الوصول بالمجتمع الجزائري إلى مستوى اليقظة والوعي السياسي لتحميله المسؤولية الحضارية تجاه ما هو حاصل، ولهذا كانت الصحافة نافذة من نوافذ الخوض في هذه المسائل، كي تصل جمعية العلماء المسلمين إلى تحقيق أهداف اشتركت فيها ألوان الصحافة الوطنية عبر مختلف مراحل الكفاح الإصلاحي وكان من أهمها :

- مناهضة الاستعمار الفرنسي؛ أي إبطال مزاعمه القائمة على فكرة الجزائر فرنسية.

- إظهار البعد الحضاري العربي الإسلامي للشعب الجزائري[1].

وعلى هذا الأساس نما الأدب الإصلاحي من أجل الوصول إلى الأهداف السابقة لإحداث تغيير على مستوى الفكر لدى الفرد الجزائري، وهذا لان الحركة الإصلاحية كانت تهدف في المقام الأول إلى إحياء المقومات الأصلية للشخصية الجزائرية، ونشر التعليم العربي في تراب الجزائر المستعمرة التي هيمنت عليها المدرسة الفرنسية، ومقاومة التمسيح والتنصير، والاندماج والتدنيس لذلك برز الأدب الإصلاحي في فنون الأدب المختلفة[2]، خاصة على مستوى الصحافة. لهذا كان تطلع الأهلي بسوف دائما مشرئبا إلى ما سيأتي من بسكرة من صحف وجرائد تفصح عن واقع الصراع القائم بين رجال الإصلاح والسلطة الاستعمارية، رغم السياسة التي اتبعتها فرنسا، حيث مارست كل أنواع الأساليب التعسفية تجاه الأهالي خاصة سكان الصحراء، مما أدى بالمصالح التجارية إلى التعطل، حيث أصبحت تحت نفوذ وسيطرة المستعمر الفرنسي، والموالين له. بالإضافة إلى الهجرة الجماعية التي كانت وجهتها نحو كل من تونس والمغرب، وبعض الدول الإفريقية[3].

غير أن منطقة وادي سوف وقربها من تونس ساعد على عدم اتخاذ الهجرة مبدأ يقضي بالانسحاب والاستسلام النهائي، بل ظلت محاولات التواصل قائمة باستمرار خاصة هجرة الطلبة [4] إلى تونس العاصمة حيث جامع الزيتونة المعمور. بالإضافة إلى فك العزلة النسبي لوادي سوف منذ العقد الثالث من القرن 20م،

---

[1] احميدة عميراوي: **أبحاث في الفكر والتاريخ (الجزائر وفلسطين)**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 152.

[2] محمد خان : " الأدب الإصلاحي في الجزائر (دراسة تحليلية لأدب حوحو) "، ج 2، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة محمد خيضر، العدد 02، بسكرة، جوان 2002، ص 32.

[3] محمد السعيد قاصري : " السياسة الإدارية الاستعمارية في الصحراء الجزائرية "، **مجلة دراسات أدبية وإنسانية**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 01، قسنطينة، صفر1425هـ - أفريل 2004م، ص 55.

[4] J . Pigoreau : Op cit, p 11.

وذلك بإقامة طرق معبدة كان أولها الخط الرابط بين الوادي وبسكرة، هذا ما شجع عن التنقل والحركة[1].

ورغم هذا الوضع المتردي كان نشاط الحركة الإصلاحية بوادي سوف قائما، وذلك من خـــلال الســـرية التامة في كثير من المناطق، لكن هذا لم يمنع بعض رجال الإصلاح من إبـــراز مـــواقفهم والتصـــدي للبـــدع والخرافات، وهذا من خلال موقف الشيخ عمار بن الأزعر المجاهر بالحق والمتصدي للأشخاص الذين يحولـــون بين الحق والناس، لهذا وجدناه متنقلا عبر مساجد عديدة من مساجد بلدة قمار معلنا مواقفه صراحة، مما كلفه المضايقة، والمحاصرة الدائمة فاضطر إلى اختيار الهجرة إلى البقاع المقدسة قبل قدوم وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في زيارته لوادي سوف.

فقد كان الشيخ محاربا للبدع والضلالات، والمفاسد الأخلاقية السائدة بالمجتمع، والأفكار الطرقية المنحرفة، والسياسة الاستعمارية المستبدة، وهذا ما جعله يترك في نفوس العديد من أهل قمار الأثر البالغ[2]، بل حـــتى مناطق أخرى من وادي سوف، وقد كانت هجرته نحو المدينة المنورة سنة 1937[3]. لكن بمجـــرد إعـــلان الشيخ عبد العزيز الشريف انضمامه إلى جمعية العلماء تغير الوضع عامة، وقد تعود أسباب هذا الانقلاب إلى :

- الثقافة العربية التي نهل منها الشيخ عبد العزيز الشريف بجامع الزيتونة المعمور.

- عـــلاقة الشيـــخ بقيـــادات الحـــركة الوطنيـــة التونسيـــة الذي استمـــر تواصله معهم دون انقطاع بعـــد تخرجـــه من الزيتونـــة، وهذا من خلال مراســـلاته لهم دون توقـــف وإبداء التعاطف معهم في كـــل ضائقة تلم بهم.

- صلتـــه الوثيقـــة بزملائه الزيتونيين الجزائـــريين الذين تزامنت فتـــرة دراستهم بفترة دراســـته بجـــامع الزيتونـــة المعمـــور، وتوطيـــد علاقاتـــه مع البعض منهم الذين بدورهم أصبحـــوا في عقـــد الثلاثينـــات من القـــرن العشرين زعمـــاء الإصـــلاح في الجزائـــر، حيث كان منهم الشيـــخ مبارك الميلـــي، والـــذي تربطـــه بالشيـــخ عبد العزيز الشريف علاقـــة حميمية جعلت الشيـــخ مبارك الميلي ينتقـــــل إلى الأغـــواط بوحي من الشيـــخ عبد العزيز الشريف ليشتغـــل فيها مدة زمنيـــة ما معلمـــا ومرشـــــدا، وداعيـــــة إلى إصـــلاح أمور المسلمين.

---

[1] عبد القادر فكاير : المرجع السابق، 01.

[2] علي غنابزية : " النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف "، **مجلة القباب**، العدد الأول، تصـــدر عـــن دار الثقافـــة بالوادي، الوادي، جوان 2004، ص 34.

[3] علي غنابزية : نفس المرجع، ص 34.

- التأجّج الذي عم مناطق الجنوب الجزائري بعد انعقاد المؤتمر الإسلامي[1]،قد يكون دافعا من الدوافع التي جعلت الشيخ عبد العزيز الشريف يترك الطرقية ويلتحق بالإصلاح. علما أن الشيخ عبد العزيز الشـــريف لم يكن مرتاحا لمشيخة الطريقة القادرية في سوف، وهذا ما تؤكده الوثائق بأنه أبدى نيته صراحة في التخلي عن مشيختها في سنة 1929، وهذا حسب ما صرح به لأتباعه : « أنـــه لم يعد يرغب في البقـــاء علـــى رأس الزاوية »، غير أن أتباعه ومريديه لم يوافقوه على هذا الأمر ونصحوه بالتراجع عن قراره هذا. كما أن رحلته إلى الحجِّ سنة 1936 جعلته يطيل البقاء لمدة استغرقت بضعة أشهر باحثا ودارسا، ومستفسرا عـــن أحـــوال العالم الإسلامي قاطبة، هذا ما جعله يتفطن للأمر الذي بات يؤرقه مرارا وتكرارا[2]. وأمام هذا الوضع ما كان على الشيخ عبد العزيز الشريف إلا أن يختار الانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائـــريين. وعلـــى هـــذا الأساس كانت لهذه التفاعلات آثار ومواقف سياسية تجاه الطرق الصوفية، والإدارة الاستعمارية، وهذا مـــن خلال عدة أحداث بارزة كان لها وقعها الفاعل على مجريات الأحداث المتعاقبة بوادي سوف، ومـــن أهـــم الأحداث :

- الانقلاب الإصلاحي لعبد العزيز وأثره على الحركة الإصلاحية بوادي سوف :

إن موقف الشيخ عبد العزيز الشريف المائل لصالح جمعية العلماء المسلمين واختيار التيار الإصلاحي السلفي لم يكن عبثا بل جاء بعد تأمل فاحص للشيخ عبد العزيز في مبادئ وأهداف جمعية العلماء المسلمين، فوصول الشيخ عبد العزيز الشريفإلى اقتناعه بالانضمام إلى الجمعية، فما كان عليه إلا أن راسل الشيخ عبد الحميد بن باديس في شهر أكتوبر 1937 ببرقية يفصح له فيها عن رغبته في الانخراط في جمعيـــة العلمـــاء المســـلمين الجزائريين[3]. فبادر الشيخ عبد الحميد بن باديس بالإسراع في الردِّ عليه بالمثل معينا إياه عضوا فاعلا في مكتب الجمعية مكلفا بمناطق وادي سوف وما جاورها، وهذا ما جاء على لسان الشيخ عبد الحميد بن بـــاديس في مقـــال بجـــريدة **البصـــائر** بعنوان " حول كارثة سوف الأليمة : الشيخ عبد العزيـــز الشـــريف الهـــاشمي والإصلاح " : « وفي السنة الماضية قبل الاجتماع العام كاتبني الشيخ عبد العزيز الشريفيرغب مني الانخراط في جمعية العلماء فأجبته بأن الجمعية مفتحة الأبواب لجميع المسلمين، وخصوصا لأمثاله من العلماء. وأحسب أني ذكرت له أن الجمعية تأسست وفي المؤسسين لها جمع كثير من شيوخ الطرق، وأن القانون الأساســـي الـــذي وضع باتفاق من الجميع ما زال معتمدا هو بنفسه فلما كان الاجتماع العام الماضي رشح للمجلـــس الإداري

---

[1] **البصائر** : عدد 23 السنة الأولى، الجمعة 22 ربيع الأول 1355هـــ - 12 جوان 1936م. – **البصائر** : عـــدد 24 الســـنة الأولى، الجمعة 29 ربيع الأول 1355هـــ - 19 جوان 1936م.

[2] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 321 - 324.

[3] أرشيف ما وراء البحار 24 H 9. - نقلا عن عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 326.

بصفته عالما وشيخ الطريقة القادرية فانتخب بما يقرب من الإجماع[1]. ».

وفي أول هذا المقال أعرب الشيخ عبد الحميد بن باديس عن هذا الموقف بالثنـــاء والتبجيل : « كان الشيخ الهاشمي شيخ الطريقة القادرية – رحمه الله – رجلا قويا ذكيا واسع الحيلة بعيد النظر، فأدرك بثاقب رأيه أن ما عليه الطرقية من الجهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلا في عصر العلم والنهوض، وأن المستقبل للعلـــم ولا محالة. فولى وجهه شطر العلم، وقـــدم أبناءه لجامع الزيتونة المعمور، وحبس أملاكه كلها على العلم، واشترط في حبسه أن تعمر زواياه بأهل العلم من أيمة ومدرسين ومتعلمين. واشترط في أبنائه لاحظ لأحدهم في الحبس إلا إذا حصل على شهادة العالمية (التطويع) من جامع الزيتونة، وجعل الإشراف على الحبس لنظارة جـــامع الزيتونة ... انتهى أمر الحبس إلى الشيخ عبد العزيز الشريف بن الهاشمي بمقتضى شرط المحبس بعد وفاة أخيـــه الأكبر، وتولى مشيخة الطريقة القادرية، ودخل معه في الحبس أخوه الشيخ محمد الصالح الشريف لتحصله على الشهادة، فكان الرجلان بما لهمـــا من العالمية بعيـــدين عن كل تلك الـــمواقف العدائية التي وقفها شيـــوخ الطـــرق الأخ، أو أوقفـــوا فيها ضد الجمعيـــة[2]. »، والشيـــخ عبد الحميـــد بن باديس يحاول أن يؤكـــد لنا عن الحيـــرة التي كـــان يعيشهـــا الشيـــخ عبد العـــزيز الشـــريف باعتباره زيتـــوني التحصيـــل، لهذا لم يكـــن موقفه تجـــاه جمعية العلمـــاء المسلميـــن الجزائـــريين موقف ضد أو اعتراض عليها. وعلى إثـــر هذا الموقف الذي أبـــداه الشيخ عبـــد العـــزيز الشـــريف الهاشمي من الجمعية وقبوله المنصب الـــذي منحـــــه إيـــاه مجلس إدارتها راح الشيـــخ عبد العزيـــز الشريف يكشف عن موقفه الإصـــلاحي دون تـــردد بل قد يكون معتمـــدا استفـــزاز الإدارة الفرنسية التي ثارت ثائرتها معتبرة الأمر خطيرا ويهدد أمن المنطقة ومنـــاطق الجنوب قاطبة.

وعلى إثر هذا الموقف وجدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نفسها بوادي ســـوف تنتشـــر انتشـــارا واسعا نتيجة السعي المكثف من طرف الشيخ عبد العزيز الشريف، والذي تمثل في تحويل جزء مـــن زاويـــــة عميش إلى مدرسة عصرية على طراز مدارس جمعية العلماء المسلمين[3]، وانتدب لها الشيخين عبـــد القـــادر الياجوري والشيخ علي بن سعد خـــران[4]. كما قـــام الشيخ عبد العزيز الشريف بفتح مدرســـة بـــالوادي وأنتدب لها من الشيوخ ما يحولها إلى معهد إسلامي يتوفر على الشروط الضرورية، وعلى إثر هـــذه المســـاعي

---

[1] **البصائر** : عدد 123، السنة الثالثة، الجمعة 24 جمادي الثانية 1357هـــ - 22 جوليت 1938م.

[2] **البصائر** : عدد123، نفس المصدر.

[3] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 326 - 328.

[4] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 328 – 329. – محمد الصالح بكوش : " الشيخ علي بن سعد خـــيران القمـــاري "، **النـــدوة الفكـــرية الثالثة للشيـــخ عبد القـــادر اليـــاجوري**، الجمعيـــة الثقافية للمركز الثقافي بقمار، الـــوادي، أيـــام 04 -05 – 06 جـــوان 2002، ص 02.

التعليمية طالبت الإدارة الفرنسية من الشيخ عبد العزيز الشريفرخصة التعليم فرد عليها الشيخ بأن الزاوية تقوم بدور التعليم من قديم الزمان بدون رخصة وهذا ما أقره الشيخ عبد الحميد بن باديس في المقال السابق، حيث يقول: « دعا الحاكم الشيخ عبد العزيز الشريف في شأن التعليم وطلب الرخصة وردَّ الشيخ بأن الزوايا من قديم الزمان تعلم بدون رخصة، وتكررت الدعوة وتكرر الأخذ والرد في الأمر، وفهم أن الإدارة مستثقلة لتلك الحركة العلمية ...[1] ». و لم يتوقف دور الشيخ عبد العزيز الشريف في دعم الحركة الإصلاحية، بل استمر إلى ابعد من هذا لأن موقفه من الإصلاح لم يكن من قبيل الصدفة أو التموقع في ريادة سادة أعيان المنطقة، بل من حرصه على القيام بالواجب تجاه الأهالي الذين أصبحوا ينظرون إليه بنظرة القائد المنوط بمسؤولية الذود عنهم والخروج بهم إلى بر النجاة.

– زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها على الحركة الإصلاحية والمنطقة :

إن فكرة زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين لوادي سوف كانت من بين انشغالات أعضاء الجمعية، وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهذا من خلال الزيارات التي كان يقوم بها وفود أعضاء الجمعية. وبمجرد إعلان الشيخ عبد العزيز الشريف انضمامه للجمعية حتى تمكّن علماء الجمعية من الدخول إلى مناطق سوف معززين مكرمين، وذلك خلال شهر ديسمبر 1937؛ أي بعد أقل من ثلاثة أشهر عن إعلان انضمامه ومساندته المادية والمعنوية لحركة الإصلاح ليس في وادي سوف فقط بل حتى في الجزائر قاطبة[2]. فكان أول وفد للجمعية بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد رافقه كل من الشيخ مبارك الميلي والعربي التبسي، ومحمد خير الدين وحمزة بكوشة[3]، فما كان من السلطة المحلية إلا إبداء التخوف منها وهذا من خلال ما أفصحت عليه مراسلة من طرف حاكم ملحقة الوادي "روبير تيري" وذلك يوم 25 نوفمبر 1937م إلى القائد العسكري لمنطقة توقرت بخصوص هذه الزيارة[4]. ومن خلال ما سبق يتبين التناقض في موقف السلطة المستعمرة لما كانت عليه من تخوّف من هذه الزيارة، وهذا لما كان يحض به أعضاء الجمعية من احترام وتبجيل ولو كان بنسب متفاوتة، لكن رغم ذلك يبقى لهؤلاء المصلحين مكانة مرموقة في نفوس الكثير من الأهالي.

كما كانت هذه الزيارة مرتقبة من طرف أعضاء الحركة الإصلاحية لما كان لها من تأثير على الأوساط المحلية، حيث وجد الشيخ عبد العزيز الشريف من خلالها متنفسا في مهاجمة الطرقية، والإفصاح على مواقفه

---

[1] **البصائر** : عدد 123، مصدر سابق.

[2] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 326.

[3] **البصائر** : عدد 92، السنة الثانية، الجمعة 20 شوال 1356هـ - 24 ديسامبر 1937م.

[4] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 568.

الصريحة، رغم محاولة أعضاء الوفد وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس طمأنة القائم العام بالملحقة من خلال القيام بزيارة مجاملة - وهذا العمل يحسب لصالح الجمعية من خلال الاستراتيجية الدعوية التي يعمل بها الشيخ عبد الحميد بن باديس – مطمئنا إياه بأن قدومهم مجرد زيارة للإطلاع على أحوال أهالي المنطقة[1].

أما المناطق التي زارها الوفد هي كل من : الوادي وعميش، حيث زار الوفد زاوية الهاشمي الشريف، كما توسط الشيخ عبد العزيز الشريف لدى الشيخ عبد الحميد بن باديس لزيارت الزقم، فما كان ردُّه إلا قبول الدعوة لدعم سكانها ومواساتهم ورفع معنوياتهم الجليلة اعترافا وتثمينا للمجهدات المبذولة من طرف إصلاحيي البلدة. فكان في استقبال الوفد في مدخل البلدة كل من شيوخها، وعلمائها وحشد غفير من الأهالي،وبراعم من الشباب أدت لهم أنشودة " اشهدي يا سماء "، ثم توجه الوفد صوب مترل احمودة وهو وسط البلدة، لقدرته الاستيعابية للحاضرين، حيث اعتلى المنصة السيد أحمد الغولي مرحبا بالضيوف، ليحيل الكلمة للشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، وكانت هذه الكلمة في شكل درس بعنوان **"ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب"**، ثم أخذ الشيخ عبد العزيز الشريف الكلمة تناول فيها سلبيات الطرقية، ومزايا جمعية العلماء كما حذّر من أهل التدجيل والشعوذة، ثم تدخل الشيخ العربي التبسي بدرس تحت عنوان **" الدين النصيحة "** ثم ألقى على أسماعهم الشيخ مصباح حويذق قصيدة بعنوان **" نشيد الترحيب بالزائر"** جاء في مطلعها :

أهـــلا وسهـــلا بالـــزائرين ومـــرحبا يا أســـود البـــشرى.

ذا نشـــؤكـــم أشبـــال العرين مـــجددا مـــا قـــد انـــدثـــرا.

فـــمـــرحبـــا يـــا حمـــاة الـــوطن ويا دعاة الهدى والكبـــرا.

فعاهـــدوا أن تصـــون حمـــاه وأن تكـــونـــوا لـــه نـــصـــرا.

إلى أن يقول :

عليكـــم من صميـــم الفـــؤاد تـــحـــية مـــع نسيـــم ســـرى.

مـــا إن دعـــا للحيـــاة منـــاد وشـــاد بالحـــق فـــانتصـــرا[2].

وعند الانتهاء من التدخلات توجت الزيارة بتنصيب الشعبة[3]، ثم عاود الوفد قافلا إلى الوادي. وفي مساء

---

(1) عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 327. – أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 568.

(2) **البصائر** : عدد 92، السنة الثانية، الجمعة 20 شوال 1356هـ - 24 ديسامبر 1937م، مصدر سابق.

(3) محمد المولدي سيشي : المرجع السابق، ص ص 15 – 16.

اليوم الموالي توجه الوفد صوب تكسبت، وقمار مرورا بكل من كوينين حيث توقف الوفد عند السيد " عبد الوهاب حمويا بن ناقا " الذي تبرع للجمعية بمبلغ 25000 فرنك[1]، لينتقل بعد ذلك إلى تاغزوت ليستقبل في زاوية الشيخ العيد التجاني[2]، وفي الغد توجه الوفد إلى قمار، حيث استقبل بترحاب كبير وسط حشد غفير أخذ الكلمة فيه كل من : الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد خير الدين، ثم تقدم الشيخ العربي التبسي لإلقاء كلمة، ثم الشيخ مبارك الميلي، ثم تلاه الشيخ عبد العزيز الشريف، فقال في معرض حديثه حاثا الحضور على التماسك والإخاء : « ... إن الطرق بدعة لا أصل لها في الدين فحسبكم التمسك بالكتاب والسنة. أنظروا أيّها الإخوان إلى الفرق بين العلماء وشيوخ الطرق، العلماء أتوكم مجتمعين لتبليغ العضات وشيوخ الطرق يأتونكم متفرقين في سباق لأخذ الزيارات...[3]. »، وبعدها قام الوفد بتنصيب مكتب شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لقمار، ومن قمار توجه الوفد صوب الرقيبة للوقوف عند المسجد الذي قسم إلى شطرين أحدها قادري والآخر تجاني. وهذا قصد إقامة صلح بين الفرقاء ، حيث يقول الشيخ محمد خير الدين : « ...فقد زرنا (الرقيبة) وهي بلدة صغيرة تتنازعها طريقتان هما : القادرية والتجانية، وقد بلغ الشقاق بينهما شأوا بعيدا فحرموا التعامل والتزاوج بينهما، وقسموا المسجد الجامع شطرين، أقاموا في وسطه جدارا فاصلا جعل من المسجد مسجدين مسجدا لهذه ومسجدا لتلك، وقد دعانا الشيخ عبد العزيز الشريف إلى هذه الناحية واستقبلنا استقبالا حافلا فألقينا الدروس وعقدنا الاجتماعات ونظمنا الشعبة ومضينا[4]. ».

كما ألقى الشاعر الهادي جاب الله قصيدة ترحيبية بالوفد الزائر جاء في شطرها الثاني قوله:

يا زايرين الرقيبة نستبشرو بلقاكم.

أنتم أسياد الشبيبة بالعلم ربي عطاكم.

للشيخ باديس هيبة في القطر شايد ثناكم.

نشكر العقبي حبيبة لمين خويا ثناكم.

امبارك الميلي نصيبة الشيخ بشير جاكم.

دزاير لكانت غريبة والجاهل هو الحاكم.

---

(1) أرشيف ما وراء البحار 10هـ 89. – ينظر إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 231.

(2) إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 231.

(3) **البصائر** : عدد 95، السنة الثانية، الجمعة 12 ذي القعدة 1356هـ - 14 جانفي 1938م.

(4) محمد خير الدين : المصدر السابق، ص ص 280 – 281.

بالعلـــم هزت الشيدة وعادت آنسة في ثراكم.

وحتى لقطـــار البعيـــدة يصنتـــو في نداكـــم.

في هـــذا الحيـــن مـــا نبقـــوش غـــافـــليـــن.

نـــحتـــاجو الدنيـــا والدين لنعيشـــو آمـــين.

مـــرحبـــا بالمصلـــحين أنصـــار الـــديـــن[1].

ومن خلال هذا المقطع نلحظ تركيز الشاعر على أهمية العلم في رفع مستوى البلاد، ودحر ظلمات الجهل، واستبداد الاستعمار، وهذا من خلال التلميح لذلك حينما قال : "والجهل هو الحاكم"، حيث يقصـــد بهـــا السلطة الاستعمارية[2]. كما أنه أشاح عن العداء الذي كان قائما بين الشيخ الطيب العقبي والأستاذ محمـــد الأمين العمودي حينما قال : نشكر العقبي حبيبة لمين خويا ثناكم.

وهذا لتأكيد أن العداء زال بزوال الوقت، و لم يعد له مكان بين رجال الإصلاح، لأن الصفح خصلة مـــن شيم العلماء خاصة إذا كانوا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا ما صرح به الشيخ عبد الحميد في العديد من مقالاته بجريدة **البصائر**. وهكذا انتهت الزيارة بنجاح، رغم ما شابها من دسائس حاول من خلالها البعض تعكير صفو الوفد، غير أن التعقل والهدوء الذي كان دوما مرافقا لعلماء الجمعية حال دون إفشال مـــا كانت تصبو إليه الزيارة، بل استطاع الوفد تحقيق نجاح باهر على حساب الإدارة الاستعمارية وأعوانها. كما تكللت الزيارة للمنطقة بتنصيب شعب عديدة منها شعبة وقمار، ورقيبة. كما كان لهذه الزيارة آثار بالغة في مسيرة تطور الحركة الإصلاحية بوادي سوف، غير أن الأثر الذي تركته هذه الزيارة على نفسية الشيخ عبـــد العزيز الشريف كان أبلغ يمكن حصره في الآتي :

- قيام الشيخ عبد العزيز الشريف بالتبرع لصندوق الجمعية بمبلغ 25000 فرنك، وهذا خلال الزيارة[3].

- حضور الشيخ عبد العزيز الشريف الاجتماع العام لمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بنادي الترقي يوم الخميس 02 ذي الحجة 1356هـــ / 03 فيفري 1938م، وإعلان الشيخ عبد العزيز الشريف استعداده للمساهمة ماديا في بناء " جامعة إسلامية " أو معهد إسلامي " تكون بسكرة المدينة المحتضنة له، وعلى

---

[1] أحمد زغب : " صدى الحركة الإصلاحية بوادي سوف "،**مجلة القباب**،العدد الأول، دار الثقافة بالوادي، الوادي، جوان 2004، ص 28.

[2] أحمد زغب : نفس المرجع، ص 28.

[3] أرشيف ما وراء البحار : 24 – 23 H 9. – نقلا عن عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 328.

إثرها قدم الشيخ مبلغا قدره 300000 فرنك على الأقل، وقد كان لهذه الفكرة الأثر الطيب لدى كثير من الصحف بعدما لقيت الترحيب الكبير لدى أعضاء الجمعية، بل وصل صداها إلى الإدارة الاستعمارية التي خصصت لها اهتماما بالغا، وهذا ما تؤكد عليه وثائقها[1]. وفي أواخر جانفي 1938م أعد الشيخ عبد العزيز الشريف زيارة للشيخ " الفضيل الورتلاني " إلى وادي سوف، وهذا ردا على الزيارة التي قام بها الشيخ "محمد الحافظ" (الأزهري) التجاني الطريقة قصد إلقاء دروس بمنطقة سوف بدعوة من شيوخ الطريقة التجانية كرد فعل على زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للمنطقة، وقد كانت الزيارة التي قام بها الشيخ الورتلاني بعد زيارته لبسكرة، حيث كانت يوم الثلاثاء23 ذي القعدة 1356هـ / 25 جانفي 1938م ليبقى مدة يومين في ضيافة الشيخ عبد العزيز الشريف[2]، وكانت جريدة الدفاع " **La Défense** " قد نوهت بهذه الزيارة كما اثنت على الشيخ الورتلاني[3].

أما في شهر مارس من سنة 1938 فقد عمل الشيخ عبد العزيز الشريف على إنشاء مدرسة بزاوية الوادي في شكل معهد يؤم الطلبة، ويؤمن لهم الإقامة الطيبة خاصة الطلبة الوافدين من أرجاء بعيدة، وهذا في الشكل النظامي العصري، حيث استعملت مناهج مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واستقدم إليها شيوخ كثر من أهمهم الشيخ علي بن سعد القماري والشيخ عبد القادر الياجوري[4]. أما عن تأسيس الشعب فقد نصبت شعب كل من كونين[5]، وجددت شعبة تكسبت، كما أسست شعبتا عميش والطريفاوي[6]. أما شعبة حاسي خليفة فقد تأسست إثر زيارة قام بها الشيخ عبد العزيز الشريفصباح يوم الأحد الرابع من المحرم 1357هـ[7] برفقة كل من : الشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ الأخضر بن الإمام، وقد نصبة الشعبة بعد التفرغ من صلاة الظهر، وبعد إلقاء كلمات وعظ وإرشاد قالها كل من الشيخ عبد العزيز، وعبد القادر الياجوري تمحورت حول عمل العلماء، ونبذ الخرافة والبدع والضلالات لينتهي اللقاء على الساعة الرابعة بعد الظهر[8]. وهكذا استمر الوضع في المنطقة ليتسم بالتوتر والحذر الشديد، غير أن حماس الشيخ عبد العزيز الشريف لم يقلل من عزم الحاقدين، بل زاد من تربصهم مع إشعال فتيل التوتر كل ما لزم الأمر وتوفرت

---

[1] أرشيف ما وراء البحار :24 – 23 H 9. – نقلا عن عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 328.

[2] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 569.

[3] **La Défense**, 02 Février 1938. – نقلا عن أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 569.

[4] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 328 – 329.

[5] **البصائر** : العدد 101 ، السنة الثالثة، الجمعة 08 محرم 1357هـ - 11 مارس 1938م.

[6] **البصائر** : العدد 103 ، السنة الثالثة، الجمعة 24 ذي الحجة 1356هـ - 25 فيفري 1938م.

[7] إن يوم الأحد حسب تقويم **جريدة البصائر** يكون 05 محرم، لأن العدد 101 صدر يوم 08 محرم، والرابع من محرم وارد في العدد 108 من **البصائر**. - ينظر **البصائر** : العدد 108، السنة الثالثة، الجمعة 14 صفر 1357هـ - 15 أفريل 1938.

[8] **البصائر** : العدد 108، المصدر السابق.

الذرائع لذلك نتيجة الحقد الذي يكنّه بعض الطرقيين للشيخ عبد العزيز وللحركة الإصلاحية بوادي سوف.

ج – زيارة مدير الشؤون الأهلية وأقاليم الجنوب لوادي سوف وأثرها على المنطقة :

إن تأجج الوضع بوادي سوف بين الحركة الإصلاحية، وعلى رأسها الشيخ عبد العزيز الشـــريف، والإدارة الاستعمارية بالتعاون مع الطرق الصوفية ظل قائما، فكان كل طرف يتوجس من الآخـــر نتيجـــة اخـــتلاف وجهات النظر بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين وما كانوا يسعون إلى تحقيقه من رفع الغبن عـــن الأهـــالي والوصول بهم إلى بر النجاة انطلاقا من محاربة الجهل ونبذ البدع والخرافات التي يستغلها ضعاف النفوس مـــن مريدي الطرق الصوفية، والإدارة الاستعمارية التي تسعى دوما إلى تكريس سياسة الاستيطان وإفشـــال كـــل محاولات التحرر من هذه السياسة من طرف الأهالي مستغلة الطرق الصوفية في تثبيت سياسة فرق تسد وذلك لتفتيت البنية الاجتماعية للأهالي، ليشتد هذا الصراع خاصة خلال زيارة مدير الشؤون الأهلية وأقاليم الجنوب السيد " لويس مييو " " Louis Milliol ، ليصرح الشيخ عبد العزيز الشريف خلالها بموقفه المعارض لمرســـوم 08 مارس 1938م، ويفصح عن الحالة الاقتصادية السيئة التي يعيشها أهالي المنطقة[1]. علما أن الشيخ عبد العزيز الشريف كان يحضر نفسه للسفر إلى باريس قصد إجراء عملية جراحية غير أن تأخر رخصة السفر من الوالي العام بالجزائر اضطرته للمعـــالجة ببسكرة ليتحصل على التأشيرة يوم 12 مارس 1938، لكنه فجأة ألغى السفر، وعاد إلى الوادي يوم 10 أفريل 1938، وهذا لإطلاعه بأمر زيارة مدير شؤون الأهالي وأقاليم الجنوب يوم 12 أفريل 1938، فعزم الشيخ عبد العزيز الشريف على تنظيم مظاهرة، ولهذا الأساس استدعي الشيخ عبد العزيز الشريف من طرف حاكم الملحقة محذرا إياه من مغبة الإقدام على تنظيم المظاهرة غـــير أن الشيخ ردّ عليه بالرفض، وأفصح له عن عزمه بتنظيمها[2].

وما إن حلَّ ظهر يوم 12 أفريل 1938، حتى أحتشد حوالي 1200 متظاهرا[3] يتقدمهم الشيخ عبـــد العزيز الشريف، ليظل المتظاهرون قابعون بأماكنهم عند مقر الملحقة إلى منتصف الليل مما اضطر بمدير شـــؤون الأهالي وأقاليم الجنوب إلى دعوة الشيخ عبد العزيز الشريف قصد استقباله والتحاور معه، وقد استغرق اللقاء قرابة ثلاث ساعات[4] قدم خلالها الشيخ عبد العزيز الشريف عدة مطالب [5]. كما انتقد القيـــاد، وأعـــوان

---

[1] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 569.

[2] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 331. – إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 234.

[3] إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 234.

[4] عمار هلال: **أبحاث ودراسات**، ص 331.– أحمـــد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 569. - إبراهيم مياســـي : **مـــن قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 235.

[5] أرشيف ما وراء البحار : 24 H 9. – نقلا عن عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 331.

الإدارة الفرنسية متهما إياهم بتعطيل مصالح الأهالي وتحميلهم أعباء أكثر من طاقـاتهم، خاصـة في الناحيـة الاقتصادية والاجتماعية، كما أطلعه على الحالة الاقتصادية المتدهورة للأهالي بسوف، وهذا البؤس الذي يعانيه الأهالي الجزائريون بصفة عامة، وأهالي مناطق الجنوب خاصة. فما كان على السيد لويس مييـو إلا التظـاهر بإبداء استعداده لرفع هذه المطالب للوالي العام بالجزائر العاصمة مع توعده بتقـديم مسـاعدات[1]. غـير أن الطرفان لم يتفقا حول الإمدادات الغذائية التي ستقدمها فرنسا، والتي قدرها مدير شـؤون الأهـالي وأقـاليم الجنوب بستة آلاف قنطار من القمح، في حين ألح الشيخ عبد العزيز الشريف على أن تكـون عشـرة آلاف قنطار، فما كان على لويس مييو إلا قبولها والإقرار بما تم الاتفاق عليه، ومن خلال ما سبق يلاحظ أن الشيخ عبد العزيز الشريف كان مدركا لما اقره من مطالب، كانت في بادئها عامة تخص البلاد برمتها لكون السـيد مكلف بشؤون الأهالي قاطبة، ثم تناول المطالب التي تخصّ وادي سوف، فهو بهذا يشعر السيد مييو بإطلاعـه عن أحوال الأهالي في كامل أرجاء الجزائر المستعمرة. ثم خرج الشيخ وطمأن الحاضرين وأطلعهم عن مجريات الحوار، هذا ما جعل السلطة تطمئن للوضع، غير أنه وفي اليوم الموالي؛ أي يوم 13 أفريل 1938 فوجئـت الإدارة باكتظاظ المتظاهرين، وتصاعد الاحتجاج، حتى أن المحتجين لم يكتفوا برفع أصواتهم، بـل اسـتعملوا الحجارة، وذلك برشق مقر الملحقة مع محاولات التحرش لمن فيها[2].

وما كان من السلطة إلا استدعاء القوات الخاصة من بسكرة، وتوقرت لمحاصرة المتظاهرين وربـوع وادي سوف بكامله مع محاولات فك الحصار على مقر الملحقة، كما تم اعتقال حوالي 32 شخصا من المتظاهرين، وأودعوا الحبس لتعود السلطة الاستعمارية للتفاوض مع وفد الأهالي، وكان يقوده الشيخ عبد العزيز الشريف، ليقدم هذا الوفد كراسة مطالب تمحورت نقاطها حول ما شملته نقاط اللقاء الأول، لكن كانت أكثر اهتمامـا بالمنطقة – أي مطالب خاصة بالجهة – وقدمت هذه المطالب مرة أخرى للسيد لويس مييو. ومرة أخرى يخرج الشيخ عبد العزيز الشريف ن اللقاء ليعرب عمّا توصل إليه. لكن الشيخ عبد العزيـز الشـريف راح يتوعـد السلطات بأنه سيعمل جاهدا على التشهير بما ترتكبه الإدارة الاستعمارية في حق الأهالي بوادي سوف علـى نطاق واسع، وبمجرد عودة الهدوء النسبي، والاستقرار نتيجة تفرق المتظاهرين بعث عبد العزيز برقية ثانيـة إلى السلطات العليا الفرنسية في كل من الجزائر وباريس يحتج فيها ضد السياسية التعسفية التي اتخذتها السـلطات الاستعمارية ضد الدين الإسلامي والمؤسسات التعليمية العربية في الجزائر، وهذا في نفس الوقت الذي بعث فيه برقية إلى زعماء الحزب الدستوري التونسي تضامنا معهم في كفاحهم ضد الاستعمار الفرنسـي في بلادهـم تونس، وفي نفس اليوم؛ أي يوم 13 أفريل وضعت السلطات الفرنسية يدها على قصيدتين شـعريتين تنتقـد

---

[1] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، 332.

[2] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 332 – 333. – إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص ص 235– 237.

السلطة الاستعمارية فاعتبرتها السلطات تحريضا صريحا على الثورة ضد فرنسا في الجزائر [1] جاء في إحداهما[2] :

نحيد عن عبد العزيز   الله ينور وجهه ويزيد.

أو قالوا تهز ثرت نفتش   في الفجج تمش من حار وفز.

لو يشورونا لقير والعسكر   ثار محرب سد عنا باب الطريق.

عْزَيّزِ تكلم بالحق   الله ينور وجهه وزيد.

أما الثانية فقد جاءت على لسان الشاعر الهادي جاب الله، ومما قال فيها[3] :

نشكر فعل العصريون   الرجالة أصحاب الفنون.

هما الرجالة   الي ما يحبو حتى شغلالة.

كل واحد يدفع من ماله   هذا شيء محتم عربون.

باش المسلم يسعد حاله   يرقى ما يبقاشي دون.

إلى أن يقول :

حيّ الجزاير   والوطن الشقيق النايرِ.

تونس كل من جاها زاير   يتلقى منها العلوم.

يحوز السعادة بالداير   يدخل حزب المصلحون.

نشكر فعل العصريون.

وعلى إثر نشر هذه القصيدة تعرض صاحبها للمداهمة لكنه استطاع الفرار إلى تبسة، حيث مكث هناك

---

[1] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 333 – 336.

[2] **لقاء** مع السيدة عائشة عوين بنت الطيب وقد ناهزت عن سن الثمانين يوم 19 ربيع الثاني 1425هـ - 09 جوان 2004م

[3] أحمد زغب : " صدى الحركة الإصلاحية بوادي سوف "، ص 29.

بضع شهور في ضيافة بعض أعضاء الجمعية منهم الشيخ العربي التبسي[1]، كما أنه أكد من خلال البيتين الأخيرين العلاقة القائمة بين الشيخ عبد العزيز الشريف وأعضاء الحركة الوطنية التونسية. أما بالبيت الذي سبق البيتين الأخيرين فإنه تصريح برغبته في أن تكون الجزائر بلدا مستقلا، لهذا عدت هذه القصيدة دعوة صريحة للثورة. وعلى إثر ذلك تحولت منطقة وادي سوف إلى منطقة محظورة قرابة الأسبوع ؛ أي من 13 إلى 18 أفريل 1938، حيث تعرض الأهالي خلالها إلى سيارات المعمرين والعسكريين في الطريق الرابط بين وادي سوف وبسكرة، بالإضافة إلى العمليات التخريبية التي مست أعمدة الهاتف، مما جعل وادي سوف في معزل عن الخارج[2]. ليعاود الشيخ عبد العزيز الشريف العزم على تنظيم مظاهرة، وذلك يوم 17 أفريل 1938، وعلى إثرها راح الشيخ يتنقل بين أطراف وادي سوف وضواحيها، ومنها تكسبت، كوينين، قمار، الرقيبة، سيدي عون، دريميني[3]، وغيرها من المناطق يدعو الناس للالتحاق به في اليوم الموالي بالوادي، فمن خلال ذلك ثارت ثائرة السلطة الاستعمارية ضد الشيخ عبد العزيز الشريف فألقت القبض عليه مع منعها للمظاهرة. و لم يتوقف الأمر عند حبس الشيخ عبد العزيز، بل طال مجموعة من أصحابه ذوي الصلة بالحركة الإصلاحية وهم : الشيخ علي بن سعد والسيد عبد الكامل النجعي[4]، حيث رحلا الأثنين ليلا يوم 17 صفر 1357هـ / 18 أفريل 1938م إلى سجن بسكرة، ثم إلى سجن قسنطينة[5]، ثم ألقي القبض على الشيخ عبد القادر الياجوري يوم 18 صفر 1357هـ / 19 أفريل 1938م من نفس السنة رفقة الشيخ الهاشمي الدراجي وعدد معتبر من مناطق مختلفة من وادي سوف في سجن الوادي، فوضع الشيخ عبد القادر في السجن الانفرادي، لبدأ استنطاق السجناء يوم الجمعة 21 صفر 1357هـ / 22 أفريل 1938م، وانتهى التحقيق يوم السبت، وفي صبيحة يوم الاثنين 24 صفر 1357هـ / 25 أفريل 1938م نقل الشيخ عبد القادر الياجوري بالسيارة إلى سجن قسنطينة، حيث يقبع الشيوخ الثلاثة[6]. وقد زجّ بكل من : الشيخ عبد الرحمان معمري والشيخ مسعود عباسي، وغيرهم كثير بسجن توقرت[7]، وعلى هذا الأساس لم تخلو أي شعبة من شعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف إلا وأعتقل عضو أو أكثر يكون على رأسهم رئيس الشعبة بالضرورة. وقد جاء في احد التقارير لقائد ملحقة الوادي يقر فيه بأن « عقوبات تأديبية قد

---

[1] أحمد زغب : نفس المرجع، ص ص 28 – 29.

[2] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 336.

[3] دريميني : قرية تبعد عن الوادي حوالي 25 كلم بالشمال الشرقي.

[4] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص ص 336 – 337.

[5] **البصائر** : العدد 164، السنة الثالثة، الجمعة 15 ربيع الأول 1358هـ – 05 ماي 1939م.

[6] **البصائر** : العدد 165، السنة الثالثة، الجمعة 22 ربيع الأول 1358هـ – 12 ماي 1939م.

[7] محمد المولدي سيشي : المرجع السابق، ص 18.

اتخذت ضد عشرين من مؤيدي عبد العزيز[1] »، في حين صدرت عقوبات بالسجن منها حكم بسجن لمـــدة شهر ومائة فرنك غرامة في حق الشيخ عبد الرحمان معمري إمام مسجد العدواني بالزقم[2]، وعبد الحفيظ بن العيد صالحي والبشير بن البردي من تكسبت، فالأول رئيس الشعبة تكسبت والثاني كاتبها، والحسين بن الهامل عضو بها، ونوار عبد الرحمان أمين مال شعبة قمار والعربي بن لغريبي وعلي بن خليفة من قمار[3]، وغيرهـــم كثير. وقد جاء وصف هذه الأحداث على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقـــال بعنـــوان " حـــول كـــارثة سوف الأليمة : ثم..سكوت.. " حيث يقول : « عجَّ وادي سوف يوم 18 أفريل بالجنود والعتـــاد، ورصعت رباه بالمدافع الرشاشة وأرعدت أجواءه بأزيز الطائرات، فأوشك أهله ونساؤه وأطفاله وبيوته ونخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء، فذهلت المراضع ووضعت نحو الثلاثين امرأة حملها.

أصبح الوادي على حين بغتة، وقد عطِّلت أسواقـــه، وســـدّت طرقاته، ومنع عنه الـــداخل والخـــارج، وضرب عليه نطاق شديد محكم من الحصار.

ألقي القبض على الشيخ عبد العزيز الشريف الهاشمي والشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر اليـــاجوري والسيد عبد الكامل بن الحاج عبد الله، وسيقوا إلى السجن بقسنطينة، وحشرت جماعات من الناس إلى المركز الإداري وزجَّ بهم في سجن لإيقافهم هنالك، ثم حكم على عدد وفير منهم بالنفي والسخرة، كل هذا والنّاس معتصمون بالصبر ومنتظرون للفرج[4]. ». وفي مؤتمر عام للجمعية وقف الشيخ عبد الحميد عند هذه الحادثة مذكرا بما ذاقه الكثير من العلماء والعاملين في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خطاب يوم السبت 29 رجب 1357هـــ بنادي الترقي جاء فيه : « ... وهؤلاء أهل " سوف " قد ذاقوا من التغريم والنفـــي والسجن ما ذاقوا، وروعوا في ديارهم وأهليهم أفظع ترويع ثم لم يثبت عليهم شيء مما رموا به إلا رغبتـــهم في العلم وطرحهم لسربال الطرقية الوسخ الثقيل. وهذا الشيخ عبد العزيز الشريف والشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر الياجوري والسيد عبد الكامل في ظلمات السجن إلى اليوم، وقد رمي الشيخ عبد العزيز الشـــريف بالثورة ضدَّ أمن الدولة وبالصلة الأجنبية فلم يثبت لدى البحث النزيه إلا أنه عقد مظاهرة بـــدون رخصـــة، وطلب النّاس فيها حرية التعليم والإعانة بالخبز، وشكوا من ظلم بعض القادة[5]. ». و لم تكتـــف الســـلطات الاستعمارية بها فقط، بل وصل الأمر بالحاكم العام بالجزائر العاصمة إلى إصدار منشور إلى رؤســـاء المنـــاطق الجنوبية يأمرهم فيه بتوقيف، وحبس كل شخص ينتمي إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويقوم في هـــذه

---

[1] أحمد صاري : " عبد العزيز الهاشمي والإصلاح "، ص 570.

[2] أحمد صاري : نفس المرجع، ص 570.

[3] **البصائر** : العدد 165، المصدر السابق.

[4] **البصائر** : عدد 121، السنة الثالثة، الجمعة 10 جمادي الأولى 1357هـــ - 08 جوليت 1938م.

[5] **الشهاب** : ج4، م 14، مصدر سابق.

المناطق وينادي لها وقد أكد الشيخ عبد الحميد في مقال بعنوان : " ماذا في الجنوب ؟ أنديجينا جديدة ! " بعد مائة سنة وثمان سنوات منشور من سمو الوالي العام إلى رؤساء الأوطان الجنوبية.

وجَّه سمو الوالي العام الرئيس الأعلى للأوطان الجنوبية يأمرهم بإلقاء القبض وسجن كل طالب منسوب إلى جمعية العلماء حال جولانه بمناطقهم، وقيامه بالدعاية لهذه الجمعية[1]. ». ورغم هذا التعسف، والاضطهاد إلا أن رغبة المواصلة في مسيرة الإصلاح ظلت قائمة لدى الكثير من الشخصيات، حيث نجد الشيخ عبد العزيز الشريف يراسل مؤتمر الطرق والزوايا بالجزائر[2] المنعقد ببسكرة أيام 20 إلى 25 مارس 1939[3]، وذلك من خلال الخطاب الذي ألقاه بالنيابة عنه أخوه الشيخ محمد الصالح الشريف، حيث تضمن الإشادة بالعنوان الذي حمله المؤتمر " جامع اتحاد الزوايا "، لكنه مع ذلك انتقد الطرقية لما تمثل من ركود وتخلف، وقد جاء الخطاب كاملا في حلقتين بجريدة **البصائر** بالعدديها 112[4]، و113[5]، وهذا للتأكيد على حضوره المستمر في هذه المحافل رغم العوائق العديدة التي يصطنعها الطرقيون والإدارة الاستعمارية. وهكذا عاشت وادي سوف أياما عصيبة نتيجة المواقف التي باتت تندرج تحت مظلة المواقف السياسية، مما جعل الإدارة الاستعمارية تنظر إلى الحركة الإصلاحية بوادي سوف على أنها حركة سياسية أكثر منها إصلاحية اجتماعية، وعليه بات من الضروري التضييق على أعضائها بشتى الأساليب والوسائل، حتى يتلاش وجودها بالمنطقة من خلال نبذ الأهالي لها جراء المضايقات التي أصبح يخضع لها الأهالي.

د - موقف جمعية العلماء المسلمين من أحداث سوف :

إن أحداث سوف كانت أحداثا ذات أبعاد اضطهادية، وهذا لما أقرته لجنة البحث والكشف عن مبررات الحوادث والإطلاع على حقيقة الوضع، والتي أحدثتها الإدارة الاستعمارية، غير أن الذي خلصت إليه هذه الأخيرة ؛ لجنة البحث والتقصي بعد مساعي حثيثة هي أن الأحداث لم تكن بحجم الثورة التي أقرت بها السلطة الاستعمارية المحلية بوادي سوف، وأن لا شيء دبِّر ضد الحكومة والأمن العام. فكان نتيجة ذلك فك الحصار المطبق على المنطقة وإطلاق صراح بعض الموقوفين[6]، وقد يكون هذا الإنصاف والنزاهة التي أبدتها اللجنة هو

---

[1] **البصائر** : عدد 113، السنة الثالثة، الجمعة 13 ربيع الأول 1357هـ - 13 ماي 1938م.

[2] وهو المؤتمر الثالث المنعقد في شهر ربيع الأول 1358هـ / 1939مباسم " جامع اتحاد الزوايا والطرق الصوفية " حضرته شخصيات عديدة من تونس والمغرب الأقصى والجزائر. - ينظر عبد الرحمن بن إبراهيم العقون : **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الثانية 1936 – 1946**، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 114.

[3] **La Voix Indigène** : N°475, Jeudi 13 Avril 1939.

[4] **البصائر** : العدد 112، السنة الثالثة، الجمعة 06 ربيع الأول 1357هـ - 06 ماي 1938م.

[5] **البصائر** : العدد 113، المصدر السابق.

[6] إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر، 237.

الصدى الذي لقيته هذه الأحداث في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من جهة، خاصة وقضية الشيوخ الذين سجنوا بسجن الكدية وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الشريف الهاشمي وزملائه الثلاث الشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر الياجوري والسيد عبد الكامل النجعي، ومن جهة أخرى نجد أن الجمعية قد كلفت الشيخ محمد خير الدين للسعي إلى توكيل محامين للدفاع عنهم وتخليصهم من السجن، وهذا ما صرح به الشيخ محمد خير الدين نفسه، حيث يقول : « وكلفت من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالسعي للدفاع عنهم وتخليصهم من السجن فاستعنت بالمحامين والحقوقيين للدفاع عنهم، وزودهم بما يحتاجون إليه في سجنهم من نفقات لرعايتهم ورعاية أسرهم، وقد بقي الشيخ عبد العزيز الشريف عاما كاملا في السجن[1]. ». كما سبق وأن نوهنا بدور صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد خصصت للأحداث عدة مقالات كانت على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس خلال عامين متتاليين من 1938 إلى 1939 لم تتوقف جريدة **البصائر** عن التذكير بهذه الحوادث خاصة، حيث تناول الشيخ عبد الحميد ما لا يقل عن سبع مقالات كافتتاحية للجريدة حول هذه الأحداث وطبيعتها وما نتج عنها، وقد كانت هاته المقالات كالآتي :
المقال الأول : جاء تحت عنوان "ماذا في سوف ؟ بعد الاعتقال الضغط والاضطهاد"[2] وقد تناول فيه الشيخ بن باديس الحديث عن طبيعة الحدث مع إلقاء اللوم على السلطة الاستعمارية، والتشهير بدور الوشاة من أبناء جلدتهم، حيث كان يقصد بعض مريدي الطرق الصوفية والمتعاونين من أبناء المنطقة مع الإدارة الفرنسية، كما بين موقف الجمعية الذي تميز بالتعقل وعدم الاستنكار، لكون الجمعية متيقنة بأن القضية آيلة ليد العدالة، لذلك فضلت الصمت داعية الأطراف المتضررة بالتحلي بالصبر والتعقل والدعوة إلى الهدوء، ثم ما لبث أن هنأ أهالي سوف لصبرهم عن البلاء. أما المقال الثاني فكان بعنوان " ماذا في الجنوب ؟ أنديجينا جديدة! بعد مائة سنة وثمان سنوات "[3]. حيث حاول الشيخ بن باديس التذكير بقانون الأنديجينا، رغم ما تدعيه فرنسا من تخليها على هذا القانون الجائر الذي ألغته بموجب مشروع بلوم فيوليت[4]، لتتوقف جريدة **البصائر** عن الحديث في أحداث سوف لمدة شهرين لتعود الجريدة وعلى لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس للحديث عن وادي سوف تحت عنوان " حول كارثة سوف الأليمة : ثم.. سكوت.. " حيث يعد هذا المقال المقال الثالث[5]، فالشيخ عبد الحميد بن باديس يحاول أن يصور لنا حالة الفزع والترويع التي مارستها الإدارة الفرنسية على الأهالي،

---

[1] خير الدين : المصدر السابق، ص 281.
[2] **البصائر** : عدد 112، المصدر السابق.
[3] **البصائر** : عدد 113، مصدر سابق.
[4] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية (1930 – 1945)**، ج 3، ص ص 18 – 19. - أحمد حماني : **صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام عبد الحميد بن باديس،** ج 2، ط 1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1405هـ / 1984م، ص 245.
[5] **البصائر** : عدد 121، مصدر سابق.

مذكرا الرأي العام بالقضية محاولا التشهير بالسياسة المتبعة من طرف الإدارة التي حاولت التستر عن المجـــرمين الحقيقيين الذين كانوا سببا في تهويل الأمور فأوقعوا الحكومة وجنودها في الأتعاب والخســـائر، والأهـــالي في الهلاك والفضائح معتبرا هذه الأحداث ما هي إلا فتنة عمياء. أما المقال الرابع فقد عنون بعنوان "حول كارثة سوف الأليمة : سوف قبل الإصلاح وبعده"[1]، وقد افتتحه الشيخ عبد الحميد بن باديس بالتنويه على أهــــل وادي سوف، وهذا باعتبارهم أهل دين وقيم وخصال سمحة، ثم أخذ ينوه بالرجال الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدين الإسلامي وخدمة الأهالي كما نوه بدور أبناء ســـوف الذين كانوا في طليعة دعوة الإصلاح، وما أبلاه هؤلاء من بلاء حسن في تأييد كتاب الله وسنة رسوله [ع] ومحاربة البدع والضلالات، وما كـــان عليـــه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، والخلف الناصح من أئمة المسلمين، ومـــا أراد تحقيقـــه هؤلاء والوصول إليه، مما حمل الكثير من الأهالي إتباع نهجهم، فتزايد عددهم فكان هذا كافيا لتحامل بعـــض الوشاة إلى إيقاع المنطقة في هذه الكارثة والتحامل عليها بادعائهم أن رجال الجمعية قد دعوا إلى ثورة، فمـــا كان على المصلحين إلا الصبر، والجلد والثبات، حتى برؤوا من كل ما حاول الكائدون ادعاءه. في حين جـــاء المقال الخامس[2] بعنوان " حول كارثة سوف الأليمة: الشيخ عبد العزيز الشريف الهاشمي والإصلاح وقد أثنى فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس على دور الشيخ الهاشمي وموقفه من التعليم خاصة التعليم الزيتوني، ثم وقـــف منوها بدور الشيخ عبد العزيز الشريف من التعليم، وموقفه من تأسيس مدرسة حرة بزاويته، فما كان حـــضُّ الشيخ ورفاقه الذين آزروه في مشروعه كالشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ علي بن سعد خيران إلا السجن لأنهم تعالوا بمشروعهم عن السياسة الاستعمارية.

أما المقال السادس فقد جاء بعد السكوت الذي دام سنة للحديث عن قضية عبد العزيز ورفاقه بعنوان"حول مساجين علماء هل في سجن ‹‹الكدية›› ما يذكرنا بـــ (الباستيل)؟..."[3]، حيث حاول الشيخ عبد الحميـــد بن باديس الربط بين يوم الحرية 14 جوان 1789[4] الذي اسقط فيه سجن الباستيل، حيث جـــاء المقـــال مناسب للاحتفال بمرور 150سنة عن سقوط هذا السجن، لكن رغم ذلك فإن هناك من يئن تحـــت طائـــل الظلم والانتهاكات المماثلة للظلم الذي ناهضه الفرنسيون منذ 150 سنة، وهو يقصد الشيخ عبـــد العزيـــز الشريف ورفاقه في سجن "الكدية" بقسنطينة، فالمقال أشبه بمحاولة إثارة الرأي العام الفرنسي مدغـــدغا بـــه شعورهم، ومذكرا إياهم بالثورة الفرنسية، وما جاءت لتحقيقه، داعيا إياهم بإنصاف هؤلاء الشيوخ والذهاب بهم إلى المحاكمة إذا ما أردتم نصرة العدل والحرية. علما أن كل هذه المقالات تصدرت الصفحة الأولى مـــن

---

[1] **البصائر** : عدد 122، مصدر سابق.

[2] **البصائر** : عدد 123، مصدر سابق.

[3] **البصائر** : عدد 178، السنة الرابعة، الجمعة 24 جمادي الثانية 1358هـــ - 11 أوت 1939م.

[4] عبد الفتاح حسين أبو عليه وإسماعيل ياغي:**تاريخ أوربا الحديث والمعاصر**، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية،1979،ص 285.

جريدة **البصائر**.

ومن خلال ما تقدم يتبين أن الشيخ عبد الحميد بن باديس حاول استفزاز السلطة من خلال الإشادة بعيد الحرية مع تبرئة الشيوخ وذلك من خلال التذكير بما قد قام به هؤلاء العلماء أعضاء الجمعية، وهو دور اعتادوا القيام به، حيث يعد واجبا من وجباهم، وعليه فإن هؤلاء العلماء الأربعة مظلومون من خلال حجزهم دون محاكمة. علما أن هذا المقال جاء بعد عرض مفصل للأحداث بمناسبة مرور حول عن الأحداث التي وقعت بالمنطقة بإمضاء محب لوطنه[1]، حيث يقول : «هذه فذلكة عن حوادث جسيمة حطت بكلكلها على ناحية من هذا القطر المسكين[2]. »، ليكشف عن سبب التنكر فيقول :« وإني أعتذر سلفا لإخواني الذين يرغبون في معرفة اسمي بأن بضعة عوامل خاصة هي التي اضطرتني إلى عدم التصريح – وفيهم من يعرفها – وقد اتخذت سبيلا وسطا...[3]. »، وقد تناول هذا الموضوع في خمس حلقات رغم محاولة الاختصار الذي أخذه على نفسه[4]، فجاءت الحلقات الخمس في الأعداد الآتي : العدد 164. - العدد 165[5]. - العدد 167[6]. - العدد 168[7]. - العدد 169[8]. أما المقال السابع للشيخ عبد الحميد بن باديس فجاء بعنوان "مساجيننا : العلماء الأحرار المفكرون يسجنون مع المجرمين !" ومن خلاله طالب الشيخ ابن باديس معاملة هؤلاء العلماء معاملة خاصة لا أن يعاملوا معاملة المجرمين، مبديا من خلاله استغرابه من عمل الآباء البيض في الجنوب حيث يعملون بحرية وآمان في حين يعامل العلماء معاملة سيئة تتميز بالاضطهاد والسجن[9].

أما في غير جريدة **البصائر** فإننا نجد الخطاب الذي ألقاه الشيخ عبد الحميد بن باديس بنادي الترقي خلال المؤتمر العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم السبت 29 رجب 1357هـ، حيث ضمنه الشيخ الحديث عن التعسف والاضطهاد الذي يلقاه أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جراء السياسة الاستعمارية، ليواصل الشيخ التذكير بالشيوخ الذين هم في قفص الاتهام أو في سجون الاستعمار ومن هؤلاء

---

[1] وهو حسب تخميني الشيخ محمد الطاهر التليلي، وهذا من خلال ما ضمنها صاحبها من مصطلح فذلكة التي يتداولها الشيخ التليلي في الكثير من كتاباته.

[2] **البصائر** : عدد 169، السنة الرابعة، الجمعة 20 ربيع الثاني 1358هـ - 09 جوان 1939م.

[3] **البصائر** : عدد 169، المصدر السابق.

[4] **البصائر** : العدد 164، المصدر السابق.

[5] **البصائر** : العدد 165، المصدر السابق.

[6] **البصائر** : العدد 167، السنة الرابعة، الجمعة 06 ربيع الثاني 1358هـ - 26 ماي 1939م

[7] **البصائر** : العدد 168، السنة الرابعة، الجمعة 15 ربيع الأول 1358هـ - 02 جوان 1939م

[8] **البصائر** : عدد 169، المصدر السابق.

[9] **البصائر** عدد 179، السنة الرابعة، الجمعة 02 رجب 1358هـ - 18 أوت 1939م.

الشيوخ نجد كل من : الشيخ الطيب العقبي والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ عمر دردور والشيوخ المساجين وهم الشيخ عبد العزيز الشريف والشيخ الياجوري، والشيخ علي بن سعد والسيد عبد الكامل النجعي، وهو هنا يذكر بالظلم الممارس في حقهم دون إجرام مقر، وهذا لكون هؤلاء يحملون رسالة يودون تبليغها للأهالي. ومن خلال هذه المقالات يتبين الدور الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تجاه أحداث وادي سوف رغم اعتباره دورا معنويا أكثر منه ماديا، لكن ما قد كلف به الشيخ محمد خير الدين من تنصيب محامين للدفاع عن شيوخ سوف كان موقفا ذو بال، فهي لم تتوان عن الدفاع عنهم من خلال المقالات التي أقرها الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال لهجة الخطاب الصريحة، والمحددة لمسؤولية كل طرف مع تحميل السلطة الفرنسية المسؤولية. وهكذا تكون وادي سوف وشيوخها من بين القضايا التي أولتها جمعية العلماء اهتماما بالغا لما كان يمثله هؤلاء من دور بارز، وما كانت تقدمه وادي سوف من أجيال متعاقبة تجندت باستمرار لتلتحق بصفوف الحركة الإصلاحية رغم الواقع الطرقي المناهض للحركة، وهذا من أجل المساهمة في ميادين عديدة كانت الجمعية تراهن عليها لتحقيق أهدافها. ومن بين هذه النماذج نجد مساهمة كوكبة من أبناء المنطقة في حقل الصحافة، فنجد كلا من : الأستاذ محمد الأمين العمودي والأإستاذ حمزة بوكوشة، والشيخ علي بن سعد وغيرهم كثيرون. وفي حقل التعليم حيث لم يخل إقليم من أقاليم البلاد إلا وحضي بمعلم من وادي سوف. وعليه فإن العوائق الطبيعية لم تكن حائلا أمام أهالي المنطقة للمشاركة في ركب الإصلاح، رغم العوائق المتمثلة في مساعي السلطة الاستعمارية بالتعاون مع بعض المغرضين لمحاصرة رجال الإصلاح، والتضييق عليهم. هذا بدوره جعل غالبية هؤلاء يضيقون ذرعا بهذه التصرفات مما يضطرهم إلى اختيار الهجرة عن قناعة ورضا، أو عن مضض، دون أن يقاطعوا وادي سوف تماما بل ظلوا في تواصل مع الأهالي، لما تربطهم بهم من علاقات اجتماعية.

هـ ـ موقف الإدارة الاستعمارية والطرق الصوفية من أحداث أفريل 1938 بسوف :

إن الإدارة الاستعمارية في كل إقليم من الجزائر المستعمرة كانت تمثل السلطة الفرنسية التي كانت منذ الاحتلال تسعى إلى تكريس القرارات والمراسيم، والقوانين الداعية إلى اعتبا الجزائر إقليم فرنسي سياسيا واقتصاديا وثقافيا لا ينبغي التفريط فيه. فانطلاقا من هذه الأبعاد الاستعمارية كان للإدارة الاستعمارية موقفا

واضحا منذ بداية أحداث أفريل 1938 بوادي سوف على أساس أن ما حدث بالمنطقة هو عمل باعث على التمرد وإحداث الثورة، لزعزعة الأمن والاستقرار بالإقليم، وهذا من خلال الأعمال المرتكبة في حق الأهـــالي خاصة أعضاء جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، رغم إنصاف لجنة البحث والتحقيق باعتبار مـــا حـــدث بالمنطقة لا يدخل في نطاق الثورة أو التمرد عن الإدارة الفرنسية، لكن مع ذلك ظل الشيخ عبد العزيز الشريف ورفاقه ماكثون بالسجن مدة زمنية معتبرة، وهذا دلالة واضحة عن الموقف المتحامل من الإدارة الاســـتعمارية على أعضاء جمعية العلماء المسلمين، محاولة منعهم بأي شكل من مواصلة مشروعهم الحضاري الذي تسعى من خلاله الجمعية والمتمثل في مشروع التعليم، لربط الأجيال بالحضارة العربية الإسلامية وتفنيد مـــزاعم الجزائـــر فرنسية. أما الطرق الصوفية التي تعد طرف محرضا للإدارة فإن موقفها من الأحداث كان متحـــاملا باعتبـــار نشاط أعضاء الجمعية كان دوما يمثل عائقا أمامهم، وهذا كان واضحا من خلال مواقف الشيخ عبد العزيـــز الشريف خاصة الخطابات التي كان يتوجه بها للأهالي من خلال إبراز موقفه من الطرق الصوفية كان آخـــره خطابه في حاسي خليفة حين قام بتأسيس الشعبة[1]، فكانت هذه التصريحات بمثابة الصواعق التي كانت تشكل باستمرار حالات تنافر وشقاق بين الجمعية والطرق، لذلك كان من الواضح أن تقف الطرق موقفا قريبا مـــن الإدارة الاستعمارية.

وخلاصة القول أن وادي سوف هو أحد المعابر التي ظلت ردحا طويلا من الزمن تحمل رايـــة التواصـــل السياسي والاجتماعي، والاقتصادي عموما، والثقافي بالخصوص بين الجزائر والبلدان المجاورة لها وهي كل من تونس وليبيا. كما أنها همزة وصل بينهما وبين مدن ومناطق الجزائر المتاخمة لها. أم على المستوى الإصلاحي فقد تباين الأمر من فترة إلى أخرى، حيث نجد في مطلع القرن العشرين برزت الحركة من خلال دور ثلة من علماء المنطقة الذين كانت تربطهم بالإدارة الفرنسية علاقة الوظيفة، وذلك من خلال وظائفهم إما أئمة بالمساجد أو عدول بالمحاكم الشرعية، هذا ما جعلهم يتخذون في كثير من الأحيان مواقف حيادية للحفظ عن وظائفهم فهم يمثلون الكتلة المحافظة، ومع ذلك برزت شخصيات كانت منذ الوهلة الأولى تصدع بالإصلاح، وذلـــك مـــن خلال مناهضة الطرق الصوفية باعتبارها سببا رئيسا في التخلف والانحطاط، وذلك منذ الحرب العالميـــة الأولى

---

[1] **البصائر** : العدد 108، المصدر السابق.

من خلال شخصية الشيخ عمار بن الأزعر. أما خلال عقد العشرينات من القرن 20م بدأت ملامح الإصلاح تتبلور في المنطقة انطلاقا من توافد الصحف والجرائد التي كانت تجلب من حواضر تونس، أو من أرجاء البلاد خاصة التي كانت تصدر ببسكرة. بالإضافة إلى موجات الهجرة المتدفقة على تونس، والتي من أهمها الهجـــرة التعليمية للجنوب التونسي من خلال زاوية الشيخ المولدي بو عرقية القادرية بتوزر، وزاوية الشيخ مصطفى ابن عزوز الرحمانية بنفطة، وإلى جامع الزيتونة عبر الفترات المتعاقبة خاصة خلال العشرينات مـــن القـــرن 20م، حيث برزت موجة عارمة، وهذا نتيجة الوضع الذي عرفته الجزائر قاطبة وتحركات العلماء قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. أما بعد تأسيس الجمعية كانت وادي سوف من بين المناطق المشاركة في تأسيسها، فكان ذلك إفصاح واضح من طرف الكثير من أبناء المنطقة الذين رحبوا بالجمعية، وذلك من خلال الانضمام في صفوفها أعضاء أو عاملين بشعبها أو معلمين ومدرسين بمـــدارسها بالمنطقة أو خارجهـــا. بالإضـــافة إلى موقف الشيخ عبد العزيز الشريف الذي استطاع توظيف الطريقة القادرية بما تمتلكه مـــن إمكانيـــات ماديـــة ومعنوية على المستوى المحلي، والدعم المادي الذي ساهم به الشيخ عبد العزيز الشريف على المستوى البلاد قبل انضمامه لجمعية العلماء وبعد الانضمام لها. لكن ما لوحظ عن الحركة الإصلاحية بالمنطقة أنها اختلفـــت في مواقفها تجاه الطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية في فترة الكتلة المحافظة، حيث كانت المواقف تتسم بالحيـــاد والصمت مع بروز محاولات مناهضة للسياسة الاستعمارية والتخلف، وذلك من خلال بعض الشيوخ كالشيخ إبراهيم بن عامر. أما منذ العشرينات؛ أي بعد الحرب العالمية الأولى برزت ملامح التصادم والصراع خاصة بين الشيخ عمار بن الأزعر والطرق الصوفية المتمثلة في الطريقة التجانية وذلك من خلال الشيخ محمد بن البريّـــة الذي كان يمثل القلم المدافع عن الطريقة التجانية، ليستمر هذا الوضع على ما هو عليه، لتظهر جمعية العلمـــاء منذ 1931، لكن ظهورها في البداية اتسم بمظهر الاحتشام نتيجة الوضع السائد بالمنطقة، وانعـــدام وجـــود شخصية مؤيدة ذات مكانة معتبرة إلا في سنة 1937، حينما أعلن الشيخ عبد العزيز الشريف انضـــمامه إلى الجمعية، مما جعل الجمعية تعرف انتشارا واسعا من خلال تأسيس الشعب. بالإضافة إلى مواقف أعضاء الجمعية الحادة من الطرق الصوفية والإدارة الفرنسية خاصة خلال زيارة مدير الشؤون الأهلية وأقاليم الجنـــوب ســـنة 1938 التي شهدت خلالها وادي سوف حالة من الإضراب السياسي جعلت الجمعية بالمنطقة تدخل مرحلة

جديدة من النشاط. وهكذا انتهت مرحلة تميزت بالكثير من التطورات استطاعت المنطقة من خلالها أن تواكب التطورات التي شهدتها الجزائر قاطبة خلال هذه الفترة التاريخية.

الخـــاتمـــة :

إن الموقع الجغرافي الذي يحتله وادي سوف جعله يلعب دورا بارزا من خلال التواصل الحضاري بين كل من الجزائر وتونس، وليبيا، وهذا نظرا للحدود المتاخمة بين وادي سوف ومنطقة الجريد التونســـية، وبـــين وادي سوف وغدامس الليبية. بالإضافة إلى التواصل الاجتماعي والاقتصادي بين هذه المناطق، حيث لعبت المنطقـــة أدوارا متفاوتة خلال المقومات الشعبية، لما كانت تتمتع به المنطقة من حدود طويلة كان من الصـــعب علـــى المستعمر مراقبتها، حيث كانت معبرا للإمدادات، وهذا من خلال قبائل الشعانبة التي كانت تجلب الذخيرة من تونس وليبيا، فكانت وادي سوف نقطة عبور. هذا ما جعل السلطات الفرنسية تسعى لمحاولة إدخال المنطقـــة ضمن دائرة استعمارها، لما كانت تسببه من خطر وقلق دائمين، فجاءت المحـــاولات الأولى لاحتلالهـــا ســـنة 1854، غير أن الاحتلال النهائي لم يتم إلا سنة 1882، وهذا نتيجة المقاومة الشعبية التي قام بهـــا أهـــالي المنطقة من جهة وصعوبة المنطقة جغرافيا من جهة أخرى، ليتم لها الاستقرار التام إلا ســـنة 1887، حيـــث دخل وادي سوف نطاق الاحتلال في إطار مناطق الجنوب.

ومنذ ذلك الحين عرفت المنطقة وضعا سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا وثقافيا مغايرا لما كانت عليـــه، ففـــي الجانب السياسي حاولت السلطة الاستعمارية القضاء النهائي على كل محاولة تمرد، وهذا من خـــلال إقامـــة حاميات عسكرية في ضواحي عديدة من المنطقة كحامية الدبيلة وحامية الوادي وغيرهما. أما على المســـتوى الاقتصادي فقد اهتم المستعمر بالنخلة لما كانت تمثله من ثروة غذائية هامة لدى الأهالي، والمستعمر بالخصوص من خلال نوع دقلة نور، وما شهدتـــه هذه الثروة من احتكار من طرف مرابين أوروبيين، ومانتج عن ذلـــك الوضع من تأزم. ليظل الوضع الاقتصادي مترديا نتيجة السياسة الاستعمارية المتبعة في حق الأهـــالي. كمـــا حاولت الإدارة الاستعمارية الاهتمام بجانب التمهين من خلال فتح مراكز للتكوين المهني قصد إيهام الـــرأي المحلي بالأهمية البالغة للتمهين نتيجة الحرف الصناعية السائدة بالمنطقة، وإعداد يد عاملة مؤهلة تخدم مصـــالح المستعمل بالدرجة الأولى.

أما على مستوى التنظيم الإداري، فحاولت السلطة الاستعمارية الاعتماد على نظام يمكنها مـــن احكـــام

قبضتها على المنطقة باعتبار وادي سوف منطقة صحراوية مفتوحة، والتظاهر أمام الأهالي بملامـــح التحضـــر، فعمدت في سنة 1934 إلى العمل بالتسجيلات الإدارية للحالة المدنية لعرش أولاد سعود، لتنتهي من هـــذه العملية لعرش طرود في نهاية عام 1937 وبقية القبائل الأخرى. هذا بالإضافة إلى عمليات الإحصاء الدورية لكل ما يخص المنطقة من إنسان وحيوان والمزروعات، قصد الاهتمام والرعايـــة لتحســـين مســـتويات الأداء لاستغلالها باختلاف ميادينها.

أما الميدان الثقافي فإن أعلام المنطقة حاولوا باستمرار رفع لواء الثقافية العربية المتأصلة في أبناء وادي سوف، وهذا انطلاقا من دور المساجد والطرق الصوفية التي اختلفت عن غيرها من الطرق في مناطق أخرى، حيث لم تخل أي زاوية من كتّاب خاص بتحفيظ القرآن الكريم، والكتاتيب القرآنية الأخرى. بالإضافة إلى الدور الذي لعبته كل من الطريقة القادرية والرحمانية في حثّ الطلبة على مواصلة دراستهم في الجنوب التونســـي بمنطقـــة الجريد. أما الطريقة التجانية فقد حوّلت زاويتها بقمار إلى مدرسة استجلبت لها المؤدبين والعلماء. كما كانت تحضا بالزيارات المتكررة لكثير من العلماء خاصة علماء تونس باختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، حتى أن هنـــاك العديد منهم كانوا شيوخا بجامع الزيتونة، وهو ما أوجد وضعا ثقافيا متميزا عن غيره من المناطق الأخرى من أرجاء البلاد، ومع ذلك لم يكن هذا الوضع الثقافي خاليا من الخرافة والبدع التي كانت سائدة على مســـتوى قاعدة المريدين الواسعة. وهو ما دفع بالكثير من شيوخ المنطقة المحافظين منهم والإصلاحيين إلى مناهضة هـــذا الوضع حسب وسائل كل فئة منهما. أما في عقد الثلاثينات من القرن العشرين، فقد شهدت المنطقة قـــدوم مجموعة من الطلبة المتخرجين من الزيتونة، وقد تأثروا بالحركة الإصلاحية التي شهدها العالم الإسلامي، بل نجد غالبيتهم قد تفاعلوا مع الأحداث الحاصلة بتونس، ليظل هذا التفاعل قائما لديهم، حـــتى بعـــد اســـتقرارهم بالمنطقة، وهذا نظرا للعلاقات الحميمية التي ربطت العديد من أبناء المنطقة بكثير من رواد الحركة الإصـــلاحية والحركة الوطنية بتونس، وانطلاقا من مشاريع إصلاح التعليم بالزيتونة وصولا إلى التغييرات السياســـية مـــن خلال نشوء الأحزاب السياسية خاصة الحزب الدستوري الحر بتونس. وقد كان لهذه الحركة الإصلاحية دور بالمنطقة من خلال مساجد قمار منذ الحرب العالمية الأولى، حيث تركت أثر في نفوس بعض الشخصيات التي شاركت بالمؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كما أن محاولات السلطة الاستعمارية الداعية لبعث حركية التعليم المحتشمة انطلاقا من تأسيس مدرسة الأهالي بالوادي، ثم بكوينين لتنتهي بتأسيس مدرسة قمار الأهلية في مطلع القرن العشرين، لم يثبط العزائم نتيجة مستوياتها التعليمية الابتدائية المحدودة، بل فرض على الكثير من النخبة المثقفة ضرورة البحث عن مجالات تعليمية أكثر تحصيلا، بالاضافة إلى العداء الذي أبداه الكثير منهم تجاه التعليم الفرنسي باعتباره تعليما محدودا، هذا بدوره جعل غالبية المتحصلين منهم على الشهادة الابتدائية يرتمون في أحضان التعليم الزيتوني أو يحاولون المواصلة في التحصيل عصاميا. وهو ما ساهم في شحذ هممهم ودفعهم قدما لمساندة الحركة الإصلاحية بخلاف ما نتج في المدن الشمالية، نتيجة أن النخبة المفرنسة في وادي سوف كان لها تحصيل محدود يتمثل في طابعه الابتدائي، وتكوين تحضيري أولي يمر بالأساس على حفظ القرآن الكريم، وعدم وجود طبقية اجتماعية تجعل البعض يتأثرون مثل أولئك الاندماجيين. بالإضافة إلى الحدود المتاخمة للمنطقة والمتمثلة في حواضر تونس المختلفة المستويات في التعليم، هذا كان كافيا لدفع شريحة واسعة إلى الاقتناع بضرورة النهل من جامع الزيتونة المعمور والمعاهد المتواجدة بالجنوب التونسي، مما ساهم في رفع مستوى الإصلاح بالمنطقة، رغم التباين الذي كانت تشهده قرى وحواضر المنطقة دون أن ننسى الدور الذي لعبه كل من الشيخ الهاشمي الشريف من خلال أمر الحبس الذي تمثل في وقف الإشراف على الزوايا، وما تستحوذ عليه من أملاك لكل من تحصل على شهادة التطويع من أبنائه، هذا في وقت كان الكثير من الشيوخ أو المدعين للمشيخة يصرخون عاليا بعدم السماح لأبناء المنطقة بالهجرة إلى جامع الزيتونة، وعدم النهل منه نتيجة الصراع الذي أصبح يلعبه هؤلاء الشباب العائدون بعد إكمال مراحل تعليمهم. كما عرفت المنطقة الموقف الانقلابي الذي قام به الشيخ عبد العزيز الشريف بن الهاشمي ضد الطرق، فكانت مساهمة جادة في دفع حركية الإصلاح من خلال تواجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رغم ما تميز به الشيخ عبد العزيز الشريف من روح اندفاعية لمناهضة الجهل ومجابهة الاستعمار ومحاربة التخلف الذي تمارسه الطرق الصوفية. فهذه المواقف وإن كانت جريئة في اندفاعها إلا أنها كشفت عن الحقيقة التي كانت خافية عن الكثير، ألا وهي السياسة الاستعمارية وتعاملها مع قضايا الأهالي، فكانت الأحداث بمثابة الصرخات المنادية لليقظة والتفطن لنوايا المستعمر لولا مداهمة الحرب الكونية الثانية التي خففت من حدة الأحداث.

وعليه فإن منطقة وادي سوف كانت حاضرة بمختلف الأنشطة والفعاليات، مما جعل حركية الإصلاح ينبثق عنها نشاط ثقافي، وتدافع بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتحامل من طرف المستعمر على أعضاء الجمعية، وهذا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث كان صدى الأثر قد طال المناطق المجاورة لها

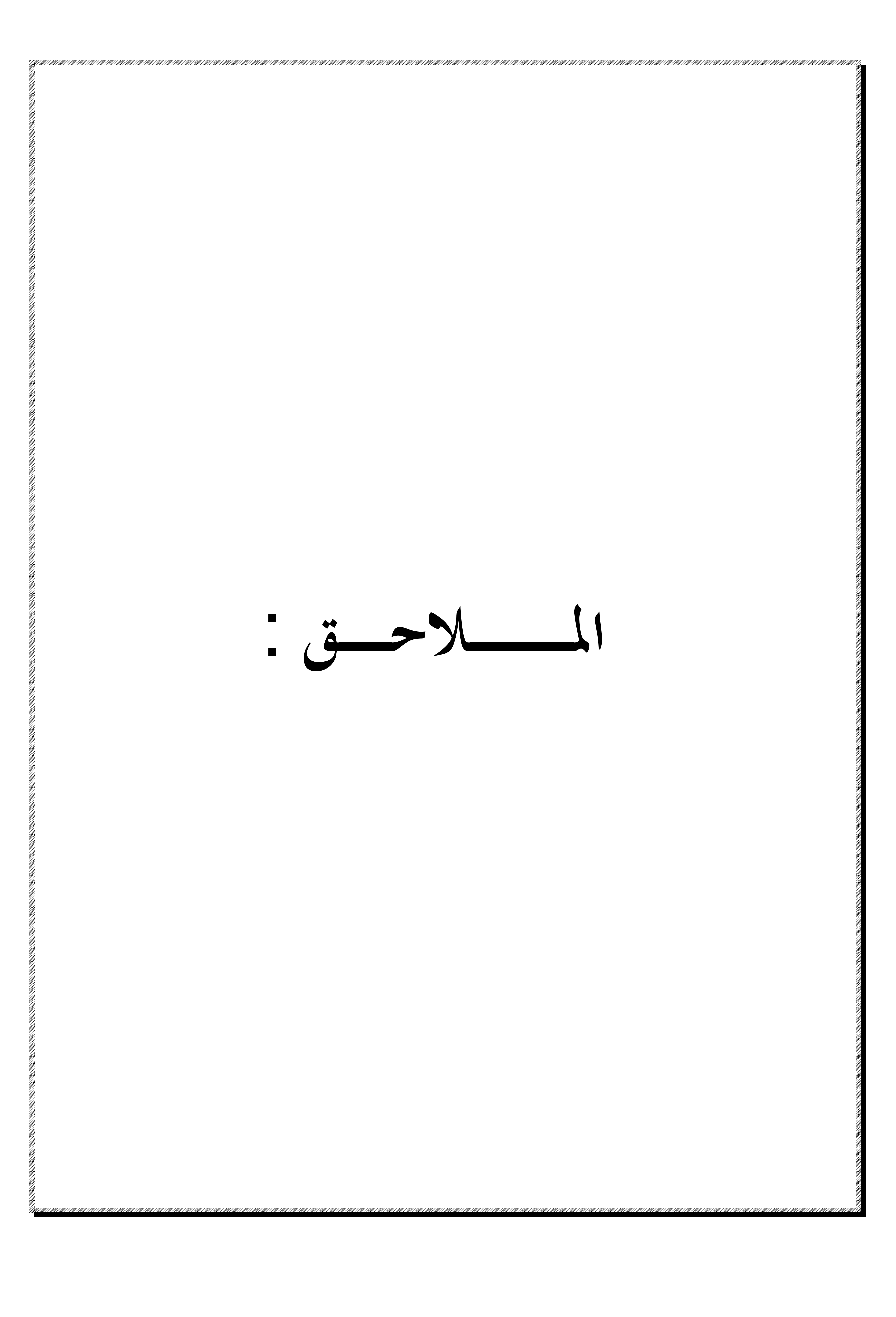
كوادي ريغ وتوقرت، وقد تكرس هذا الصدى قبل نشوء جمعية العلماء المسلمين من خلال كل من الشيخ الطاهر العبيدي وشقيقه أحمد والشيخ المدني موساوي، وهم امتداد لشيوخ سابقين كالشيخ العربي بن موسى (موساوي) والشيخ عبد الرحمان العمودي في أواخر القرن التاسع عشر.

وبهذا كان وادي سوف إقليم متدفق العطاء ليس فقط بالنسبة للمنطقة بل لأرجاء أبعد، وهذا دلالة على التواصل الحضاري الذي قام على أبعاد ثلاثة : الإسلام والعروبة والجزائر. وهذا من خلال الدور الثقافي الذي لعبته مختلف النخب، خاصة أعضاء الجمعية نتيجة إيمانهم بضرورة تحمل المسؤولية النابعة من أبعاد الدين الإسلامي الحنيف انطلاقا من الشعار الذي اعتمدته جمعية العلماء المسلمين :

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد الآية 11.

ومن خلال ما سبق فإن الإجابة عن الإشكالية المطروحة في المقدمة تكمن في كون الحركة الإصلاحية لم تنحصر في أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بل تحملها آخرون من غير أعضاء الجمعية وذلك من خلال دور كتلة النخبة المحافظة التي ساهمت بقسط في رفع الغبن عن الأهالي من خلال دورهم التعليمي المناهض للتخلف والفساد الاجتماعي، لكن هذا لم يمنع من وجود تدافع بين الطرق الصوفية وأعضاء جمعية العلماء المسلمين من جهة وتحامل المستعمر على الحركة الإصلاحية عبر مراحلها المختلفة، وهذا لما كانت تحمله من أفكار تناهض التخلف الذي يسعى المستعمر إلى تكريسه من أجل إبقاء الجزائر مستعمرة استيطانية.

وعلى هذا الأساس فإن بحثنا المتواضع يمثل دراسة غير كافية للكشف عن دور المنطقة بل نرى أنه من الضروري تكثيف البحوث التي تتناول مواضيع عديدة تخص المنطقة، حتى نستطيع من خلالها الكشف عن دورها المحلي من جهة، ودورها في التواصل بين الجزائر والبلدان المجاورة لها كتونس وليبيا من ناحية أخرى.



المـــــلاحـــق :

الملحق رقم : 01.

شعب جمعية العلماء المسلمين في

بلدات وقرى وادي سوف :

- شعبة قمار لسنة 1356هـ :

- الشيخ عبد القادر بن الحاج عمار (هو الشيخ عبد القادر الياجوري) (إمام بقمار) رئيس.

- محمد السايح بن عبد الله نائبه.

- محمد الصغير بن الحاج علي كاتب عام.

- إبراهيم بن الحاج عبد القادر نائبه.

- عبد الرحمان بن علي نوار أمين مال.

- الحاج محمد الصغير دادة نائبه.

الأعضاء : - الحاج محمد الرحيل – سليمان بن الحاج إبراهيم – محمد بن علي البني – علي ابن خليفة – معمر بن أحمد بن الطاهر – مسعود بن عبد القادر – حسين بت علي – الصادق ابن الحاج الطاهر – علي بن الساسي.

وثائق الحركة الوطنية : **نصوص أساسية ووثائق من** 1350 **إلى** 1363**هـ** (1931 – 1944)، مطبوعات مديرية الوثائق لولاية قسنطينة، ط 2، رقم : 07 – 08 – 09، 1982، ص 22.

- شعبة كوينين :

الرئيس نزلي الطاهر.

نائبه حمادي الطاهر.

كاتب عام ديّه محمد عمارة.

نائبه فاضل محمد الصغير.

أمين المال لرباعه الطاهر الشريف.

نائبه نزلي العيد.

مراقب علي بن مبارك.

أعضاء مستشارون : - نيل الصادق – حـــرار محمد – صلوح العربي – صخـــري مســـعود – عــــــزه العروسي - كريمه الطاهر – خلف الله حمادي نجار العروسي – نزلي الهادي – نيل مصطفى.

البصائر : العدد 101 ، السنة الثالثة، الجمعة 08 محرم 1357هـــ - 11 مارس 1938م.

شعبة تكسبت :

- عبد الحفيظ بن العيد (صالحي) رئيس.
- الطيب بن الحاج عبد القادر نائبه.
- محمد بن البشير البردي كاتب عام.
- علي بلقاسم البردي نائبه.
- محمد الطاهر البردي أمين مال.
- الحسين الهامل نائبه.

أعضاء : - العيد بن نصر – عمارة بن البشير الصادق عموري – العربي بلعيد – بشير بـــن درويـــش- الصادق مريقة.

البصائر : العدد 103 ، السنة الثالثة، الجمعة 24 ذي الحجة 1356هـــ - 25 فيفري 1938م.

- **شعبة عميش** :

- الشيخ لخضر بالمام رئيس.
- الصادق بن الجديد نائبه.
- البشير بن عبد القادر بن البكوش أمين المال.

- الطيب بن غريسي نائبه.

- الطالب عبادي بن عبد القادر نائبه.

أعضاء مستشارون : - عبد القادر بن دحة – الهادي بن العيد – أحمد بن خليفة بوراس – البشير بن الظومي – أحمد بن الشيحي – عبدين الحاج لخضر – عمارة بن سعد – لخضر بن محمد بن بكار – محمد بن أحمد بن خليفة – المولدي بن الحاج علي – الطاهر بن لخضر داحه الهادي بن محمد بن الصيد – عبد القادر بن الحاج علي موسى – عمار بن أحمد مسعود.

(**البصائر : العدد** 103.)

- **شعبة الطريفاوي :**

- المكي بن حبى رئيس.

- العزوزي بن صالح بن عبيد نائبه.

- البشير بن إبراهيم بن الخليل كاتب عام.

- عبد الله بن حبي نائبه.

- العيد بن عون أمين المال.

- البشير بن الحاج مبارك نائبه.

أعضاء مستشارون : - إبراهيم بن الطاهر – الطيب بن سي علي. - بلقاسم بن عون - إبراهيم بن مزيو – الهاشمي بن البهلي.

(**البصائر : العدد** 103.)

- **شعبة حاسي خليفة :**

- السيد الحاج محمد بن غانم رئيس.

- عبد القادر بن الحاج علي موسى نائبه.

- الحاج العيد بن غنايم أمين المال.

- عمر بن محمد الصغير بنوبلي نائبه.

-بلقاسم بن علي السياف كاتب عام.

-عثمان بن علي بن محمد نائبه.

- محمد بن الطاهر بن السلمي مراقب.

أعضاء مستشارون : - الهادي بن الحاج علي موسى – حامد بن غنايم – العيد بن أحمد موسى الطاهر ابن السلمي – العربي بن أحمد قدور.

البصائر : العدد 108، السنة الثالثة، الجمعة 14 صفر 1357هـ - 15 أفريل 1938م.

- **شعبة الرقيبة** :

- الهادي بن محمد بن لباد رئيس.

- الهادي بن جبا الله نائبه.

- أحمد القندوز كاتب عام.

- البشير بن عبد القادر بن بكار نائبه.

- الطاهر بن زروق أمين المال.

- البشير قديري نائبه.

أعضاء مستشارون : - البشير بن الزرقي – محمد الأحميم – محمد الصالح بن دلايل – الحاج الأخضر ابن بلقاسم – بلقاسم بن لبزة – العرابي بن الزاوي – عبد القادر بن عمارة.

البصائر : العدد 109، السنة الثالثة، الجمعة 14 صفر 1357هـ - 22 أفريل 1938م.

- **شعبة قمار** :

في 18 محرم من السنة الحالية (1357هـ) وقع تغيير ما في شعبة جمعية العلماء بقمار بسبب انتقال

رئيسها الشيخ عبد القادر الياجوري إلى عميش بصفة معلم بالزاوية القادرية بها.

وهذه قائمة أعضاء الشعبة بعدد التغيير :

- محمد الطاهر(هو محمد الطاهر التليلي) بن بلقاسم رئيس.

- محمد الحفناوي بن الأخضر (هو محمد الحفناوي هالي) نائبه.

- محمد الصغير بن الحاج عيسى كاتب.

الاغريبي محمد بن السايح نائبه.

- عبد الرحمان نوار أمين مال.

- البني محمد بن علي نائب.

أعضاء مستشارون : - علي بن الساسي – الصادق بن الحاج الطاهر – علي بن الحاج إبراهيم – إبراهيم بن الحاج عبد القادر – محمد السايح بن عبد الله – معمر بن أحمد بن الطاهر.

(**البصائر : العدد** 109)

الملحق رقم 02 :

نص الخطاب

الذي ألقاه الشيخ محمد الصالح بن الشيخ الهاشمي

في مؤتمر الطرقية نيابة عن أخيه الشيخ عبد العزيز.

- ١ -

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أيها الإخوان المحترمون : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحيّة من عند الله وبركاته تحيّة طيّبة، شرعها الله لتكون عنوانا على الأخوة ودليلا على الأمان. ومجلبة للبشر والإيناس وطاردة للوحشة والوسواس. واستئذانا من القلوب على القلوب بعد ما تلاقى الأجسام بالأجسام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. شعار الإسلام الصادق. وعلمه الخافق. ورمزه الناطق. أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بإفشائه بيننا لتفشو الرحمة والمحبة. وبتعميمه ليعم التعاون وتتحقق الحكمة. فالسلام عليكم أيها الإخوان ورحمة الله وبركاته عودا على بدء.

أيّها الإخوان وحسبي في هذا المقام مخاطبتكم بيا أيّها الإخوان. فإن المعنى المعظم الجامع بيننا هو الأخوة في أسمى معانيها – أخوة الدين وما أدراكم ما أخوة الدين الحبل المتين. والعورة الوثقى. والصلة المتينة التي ترث الحبال ولا ترث. وتزول الجبال ولا تزول.

إن العقلاء لا ينظرون من اجتماعكم هذا إلا أنه اجتماع أخوي ديني. إذ هذا هو الذي تعطيه ظواهره وتنطق به أخباره وإعلاناته فلنجتهد أن يكون ما بطن منه موافقا لما ظهر. وأن يعلم الله من سرائرنا وأن يتحقق من نتائجه في بعث الأخوة الإسلامية ونشرها بين الغائبين عنه. أضعاف ما تحقق في الحاضرين فيه.

أيها الإخوان : ليس العجيب من أمركم أن تجتمعوا وإنما العجيب أن تتفرقوا. وليس الغريب أن يتفق المسلمون على الخير بل الغريب أن يختلفوا على الشر. ولقد – والله – اختلفنا وتفرقنا وتقطعت روابطنا وتباعدت قلوبنا وتشتت شملنا فأبدل الله قوتنا ضعفا وعزنا ذلا وكثرتنا قلة. وأصبحنا سخرية الساخر. ولعنة الأول والأخر. وما ظلمنا الله ولكن الحجة البالغة لله علينا.

أيها الإخوان لقد سررنا – يعلم الله – بالعنوان من اجتماعكم هذا قبل أن نقرأ الكتاب. وابتهجنا بالكلمات قبل أن نفقه المعني وفرحنا بالمقدمات قبل أن نرى النتائج ثم أرد الله فشاركناكم فيه بأبداننا والسنتنا

عسى أن نسمع كلمة خير ترضي الله فننتفع بها أو نقول كلمة حق فنؤدي بها واجبا مع الله ومع عباده المؤمنين – ولقد قرأنا يوم قرأنا عنوان (جامعة اتحاد الزوايا) ففرحنا من جهة. وحزنا من جهات.. خفقت قلوبنا خفقة الفرح لكلمة (جامعة) ولكلمة (اتحاد) لأننا نعلم أن حياة الأمم تنبني على أساس هاتين الكلمتين وأننا معشر المسلمين أولى الأمم بالاجتماع والاتحاد.

وحزنا كثيرا لقصور هذا الاتحاد – إن تحقق – على طائفة من المسلمين دون طوائف وودِدنا لو كان هذا العنوان عاما في مدلوله شاملا للمسلمين كلهم ولو كان هذا الشعور بضرورة الاتحاد كاملا في معناه. ولو كانت هذه الأفكار التي استخدمت لتكوينه متسعة في تفكيرها ولو كانت هذه العزائم التي سعت فيه مجتهدة في تعميمه – إذ لكان السرور عاما والفرح شاملا والنتيجة كلها خيرا وبركة. وإذا لا رضى العاملون ربهم ونبيهم ودينهم. وإذا لا رغموا شياطين الإنس وشياطين الجن العاملين على تفريق الأمة الدائبين في تمزيقها.

أيها الإخوان : كما أننا لا نختلف في فضل الاجتماع والاتحاد يجب أن لا نختلف في شيء آخر. وهو أنه ليس العبرة بالاجتماع الأجوف الذي تحشد فيه أفواج الخلائق وتلقى فيه الخطب المحبرة. ولا بالاجتماع الذي تثور فيه الحقود وتنمو بسببه الضغائن من طائفة من المسلمين على طائفة أخرى – وإنما العبرة بآثار الخير الملموسة ونتائج النفع المحسوسة التي يثمرها الاجتماع وتعود على الأمة بالرحمة والخير والفلاح.

وأنه لا قيمة لاجتماعنا هذا إلا إذا كان معارضا للحقائق تجلى فيه بكل صراحة. وملجأ لكلمة الحق تلقى فيه بكل حرية،

وأنه لا مكافأة لما صرفه الاخوان الحاضرون من وقت ومال في سبيل هذا الاجتماع. إلا ما يسمعونه من حقائق يتبادلونه من نصائح دينية وإرشادات ويقومون به جميعا من واجب التواصي بالحق والتواصي بالمرحمة والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر – فإن لم يكن هذا فلنعلم أننا غششنا أنفسنا وغششنا المسلمين وأسخطنا الله ورسوله وصالحي المؤمنين.

إن هذا الاجتماع سوق أقمناه ومعرض نظمناه فكان من أول عيوبه ونقائصه ما في اسمه من تخصيص النسبة وقصور الإضافة، - ثم دعونا الناس إليه ليتماروا ويختاروا فلننظر لعل مؤمنا موفقا رباه كتاب الله وهذبته سنة نبيه صلى الله عليه وسلم – ينبذ ولا يختار وينكر ولا يعرف - ولننظر بم يرجع هؤلاء الاخوان الحاضرون وبم ينقلبون إلى أهلهم؟ أبغنائم جديدة. وذخائر مفيدة، أم بتفرقة أخرى شديدة وأخلاق مبيدة. ؟

أيها الاخوان لو كان هذا الاجتماع دنيويا عقد باسم الدنيا ولغرض من أغراض الدنيا – لكان للتخصيص فيه معنى. ولا كان للطائفية فيه عذر مقبول وغرض معقول. لان الناس فرقت بينهم أسباب الدنيا ومصالحها

واختلفت بسببها آراؤهم واختصاصاتهم في صناعته لا يشاركه فيه الفلاح مثلا.

ولكن هذا الاجتماع ديني في معناه ومبناه وبأسبابه ودواعيه. وليس في الدين حرفة ينفرد أهلها بـــرأي ولا تجارة ينفرد أصحابها ببضاعة. وانما هو كتاب الله منه المبدأ واليه المصير. وعليه قامت سنة نبينا صلى الله عليـــه وسلم. وعليه استقام هدي سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وبهذه الثلاثة قامت الحجة علينا وبهذه الثلاثة ندين ربنا وعلى هذه الثلاثة يجتمع شملنا وتتفق كلمتنا والى هذه الثلاثة يجب أن تكون دعوتنا جهارا بـــلا أســـرار، وجمعا بلا تفرق، فما أحق هذا الاجتماع بان تكون دعوته الجفلى وأن يكون باسم الأمة الإســـلامية كلـــها لتجتمع على الكلمة الجامعة من كتاب ربها وسنة نبيها وما أحقه أن يزدان بحضور علماء الوطن الجزائري الذين هم زينته ومفخره.

- **البصائر** : العدد 112، السنة الثالثة، الجمعة 06 ربيع الأول 1357هـ - 06 ماي 1938م.

بقية الخطاب

الذي ألقاه الشيخ محمد الصالح بن الشيخ الهاشمي

في مؤتمر الطرقية نيابة عن أخيه الشيخ عبد العزيز

- ٢ -

أيها الاخوان : لا يختلف عاقلان أن معظم ما أصاب هذه الأمة من البلاء إنما جاءها من تفرق الأهواء برؤسائها الدنياويين. ومن تفرق النسب برؤسائها الدينيين. ولا ثالث لهذين وقد طال على هذا البلاء الأمة حتى استعصعى على العلاج. — فالواجب على كل من في قلبه مثقال ذرة من الرحمة بهذه الأمة أو الشفقة عليها أن يعين على إزالة أسباب هذا البلاء. وإن أحق الناس بالدعوة إلى هذا هم العلماء وقد كانت هذه الدعوة وكانت صارخة مستفزة فثقلت على النفوس وقوبلت من بعضها بالاشمئزاز والتنفير. ومن بعضها بالرد والصد. ولا نخفي الحق إذا قلنا إن الاجتماع أثر من آثار تلك الدعوة.

لكن الحق يجب أن يقال في هذا المقام هو أن تلك الدعوة في ذاتها حق لأنها تدعو إلى كتاب الله وهو حق والى السنة رسوله وهي حق والى هدي السلف وهو حق. والى هدم البدع التي لابست الدين وهي موجودة حقا وكثيرة حقا وكلها شر حقا وباطلة حقا — والواجب على كل مسلم هدمها حقا.

ومن الحق الذي يجب أن يقال في هذا المقام إن ثقل تلك الدعوة على بعض النفوس ليس من طبيعة تلطك الدعوة وانما هو من طبيعة تلك النفوس والواجب علينا قبل كل شيء أن نفرق بين ما هو حق من حقوق الدين. وبين ما هو حظ من حظوظ النفس وأن نربيها على الاتساع والإذعان والرجوع للحق. وأن نربي آذاننا على سماع كلمة الحق. والسنتنا على النطق بها.

أما والله أما والله لو أننا رضنا أنفسنا قليلا على هذا الأخلاق الدينية لكان حقا من الدين عظيما ومكاننا من رحمة الله ونصره قريبا. ولكان اجتماعنا اليوم للحصاد لا للزرع وللتحلية لا للتخلية وللأعمال الايجابية لا للوسائل السلبية ولتحصيل ثمرات الاجتماع. لا لتقرير أسباب الخلاف والتزاع.

أيها الاخوان : أنا طرقي ورائه وابن زاوية عريق في نسبه الزاوية والطرقية إلى بضعة أجداد في التاريخ. وعندي من العلم ما أفرق به بين الحق والباطل على الأقل. أومن بلقائه بان لا طرقية في الإسلام ولا زاوية في الإسلام ولا طائفية في الإسلام. وبأنه إن كان في هذه الزوايا وهذه الطرق خير فان شرها يذهب بخيرها وبان من آثارها النفسية التي لا ينكرها إلا أعمى البصيرة أنها فرقت كلمة المسلمين لا أتكلم عن غائب ولا عن

مجهول وانما أتكلم عن مشاهدة وعيان وأعبر عن وجدان لا تزال آثاره في نفسي التي بين جنبي لو لا أن عصمني الله بما وفقني إليه من العلم وأنني أدين الله أيضا بان هذه الحركة القائمة إنما هي ضد البدع المحدثة في الدين وإنها إن أتت بإذن الله محفوظ بحفظ الله.

وإني فهمت ولا زلت أفهم من أقول القائمين بها وأعمالهم ومراميهم أنها ليست موجهة لهدم الزوايا وإنما هي موجهة لإصلاحها.

أيها الاخوان إن موقف الأمة الجزائرية في حاضرها موقف الممتحن المرهف. لم تبتل من قرون بمثل البلاء الذي تعانيه الآن – لا أقول العسر والمجاعة والقحط والغلاء وإنما أريد مضايقة الحكومة لها في دينها ولغتها فانتم تعلمون سلسلة هذا البلاء من اقفل المساجد في وجوه العلماء إلى قرار ٨ ارس الماضي فهل أنتم مدركون لمغزى هذه القرارات؟ إنها حرب لدينكم ولغتكم. وإنها فتنة ستقضي على التعليم الديني والعربي بهذا الوطن. وانه لا تخص فريقا دون فريق. وان الأمة من ورائكم ترقب أعمالكم في هذا الاجتماع وموقفكم من هذه المسألة الخطيرة التي هي مسألة الأمة كلها. وكلمتكم الفاصلة فيها. فانظروا ما أنتم فاعلون فيها وما أنتم قائلون.

إنه لا دافع لهذا البلاء النازل إلا بتضامن الجهود على دفعه واجتماع الكلمة لتفريقه وتناسي الأغراض والحزازات. وإحياء سنة السلف في الاتحاد وتراص الصفوف إذا نزلت بالإسلام كارثة أو حز به أمر.

أيها الاخوان إن الآية المرفرفة على اجتماعكم هذا هي قوله تعالى :

(فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خير وأحسن تأويلا). وإنها فصل الخطاب في هذا الباب فانظروا هل هي حجة لكم أو عليكم. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

عبد العزيز بن الهاشمي.

- **البصائر** : العدد 113، السنة الثالثة، الجمعة 24 جمادي الأول 1357هـ / 22 جويليت 1938م.

الملحق رقم 03 :

للحقيقة والتاريخ

ذكرى

مرور الحول على حوادث سوف الأليمة

قراء " البصائر " على علم بالحوادث القديمة التي وقعت بسوف في مثل هذا الشهر من السنة الماضية التي مبدؤها اعتقال الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد الهاشمي وصحبه الكرام. ولقد تتابعت حلقات تلك السلسلة يجر بعضها بعضا وطوقت قرى سوف الآمنة بسياج من الضغط والإرهاب وحفظا للحقيقة وتسجيلا للتاريخ وإحياء للذكرى التي هي عنوان الشعور الذي هو مادة حياة الشعوب نذكر هنا خلاصة عن هذه الحوادث ليطلع بقية الشعب الجزائري خاصة والأمة العربية عامة على ما جرى – ويجري – بهاته البقعة النائية من صحراء الجزائر.

ولعلمي بضيق مجال هاته الجريدة أحاول – جهدي – الاختصار وإن لم أنجح في إرضاء الشيخ المدير فعذري أنها حوادث جسيمة وأيامها طويلة وأسبابها كثيرة ونتائجها عظيمة. والعذر عند كرام الناس مقبول. (المدير لا يسوءه إلا الإلحاح المنبيء عن عدم الثقة والتصريح بإساءة في الظن عنايته بكل كاتب).

أسباب الحادث

لا سبب في الواقع لكل حدث – رغم ما أشيع – سوى أن طائفة المستغلين راعها ما شهدته من نشاط حركة الإصلاح وازدهارها وعلمت أنها ستجتاح باطلها وترهاتها وتقضي على ما بقي لها عند الأمة من سمعة نفوذ فسعت لدى الأمة لصدها تارة بالوعود وطورا بالرعود. فلم تجد سامعا فضلا عن مستجيب فجمعت فلولها المهزومة وتقاسمت بالآباء والأجداد على ارتكاب كل ما تصل إليه عقولهم من بهت وكيد لعلهم بذلك يبلغون لغاياتهم ويصلون لبغيتهم فسعوا لدى الحكومة هنا وهنالك و كذبوا ولفقوا ما استطاعت أفكارهم وأوحاه لهم شيطانهم وتولت زعامتهم إحدى (اللحيتين الطويلتين) فعكروا صفاء الجو بين الحكومة ورؤساء الحركة وصوروا لها المصلحين بصورة الثائرين على النظام الساخرين بالقوانين العاملين على هدم النفوذ الفرنسي بتلك الديار وقالوا : « فضت أفواههم » إن المصلحين يتلقون الإعانة من دولة أجنبية ويعملون لحسابها. فوجدوا عند الحكومة – مع الأسف – الأذن السامعة، فلم يكد مدير شؤون الأهالي يحل بالواد ويتقدم له وفد من الأهالي ببعض المطالب التي لا يمنعها قانون مهما كان قاسيا لأنها تتعلق بالدين ولغته، والجوع وشدته حتى كان ذلك كافيا له لتصديق وشايات المغرضين

بداية الحوادث

فلم يكد يستقر بجناب المدير المقام في الجزائر حتى نزل جيش جرار يبلغ عدده الخمسمائة جندي شاكي السلاح تام المعدات متجها إلى سوف تتقدمه ثلاث طيارات. وبينما سكان سوف الوديعون في غفلة عما أريد بهم يباشرون أعمالهم كعادتهم إذا بأزير الطيارات يملأ الفضاء والطيارات تجوب جو البلاد طولا وعرضا وتقرب من سطوح المنازل كلها مؤلفة من الطابق الأرضي فقط. واحتار الناس في تعليل الأمر. فلم تطل حيرتهم حتى وصل رتل من السيارات العسكرية تبلغ خمسا وعشرين مثقلة بالجنود وعددهم واستمر في سيره إلى المركز وهو الواد. فلم يجد في القرى التي في طريقه إلا الراحة والهدوء، وعند وصوله للواد نصب مدافعه على تل يشرف على البلدة ثم دخل ونزل الجند بالثكنة فوقع توزيعهم على طرقات البلدة وساحاتها يمنعون كل داخل أو خارج وضرب نطاق شديد من الجند حول دار الحكومة وعلى الطرق المؤدية إليها وذلك في يوم الاثنين ١٧ صفر ١٣٥٧هـ ١٨ – ٤ – ٣٨م وكان الشيخ عبد العزيز غائبا عن الواد في رحلة إلى شمال سوف، فأسرع بالرجوع عندما بلغه الخبر وقطع رحلته وعلم أنها مؤامرة دبرها الكائدون، وبمجرد رجوعه « في التاريخ أعلاه » وقع اعتقاله هو والشيخ علي بن سعد والسيد عبد الكامل ابن الحاج عبد الله – الذي كان بمتجره عندما استدعاه الحاكم فأغلقه وأخذ المفتاح معه لأنه لم يكن يتصور هاته النتيجة، وعندما أرخى الظلام سدوله حملوا في سيارة إلى سجن بسكرة ومنه إلى السجن المدني بقسنطينة الذي مازالوا به الآن.

وسرى النبأ وبلغ كل الجهات في لمح البصر ففهم الناس ما كانوا في حيرة منه، ووقع الخبر عليهم كالصاعقة فوجفت الأفئدة وشاهت الإبصار وعنت الوجوه للحي القيوم، وانطلقت الألسنة بالدعاء والابتهال وبلغت القلوب الحناجر و(هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا)

يتبع.

- **البصائر** : العدد 164، السنة الثالثة، الجمعة 15 ربيع الأول 1358هـ – 05 ماي 1939م.

للحقيقة والتاريخ

ذكرى

مرور الحول على حوادث سوف الأليمة

٢

إن المستغلين صوروا للمراجع العليا سوف في صورة الثائر المتمرد فتمكنوا من جلب ذلك العدد الجسيم من الجند. وظنوا أن القبض على الشيخ ورفيقيه سيدفع الأهالي إلى شغب وتشويش يوجبه تعلقهم بالشيخ وحبهم له إلا أن أثرت فيهم تربية جمعية العلماء فلم يخرجوا عن النظام و لم يخالفوا القانون اعتمادا منهم علـــى الله ثم على العدالة ولعلهم بأن ذلك ما يريده أعداؤهم ليقيموه دليلا على دعواهم. ولكنهم فشلوا في هاته المرة فشلا ذريعا.

وتتابع بعد ذلك سيل الاعتقالات من كل الجهات بعد نصب حالة الحصار على عموم الـــبلاد. وراجـــت سوق الوشاية والبهت وغدت للمستغلين – بنوعيهما – الكلمة المسموعة في حظوظ المصـــلحين فيكفـــى أن يقولوا عن المصلح أنه مشوش وأنه من شعبة الجمعية أو من المتصلين بالشيخ عبد العزيز حتى يكون ذلك كافيا لإلقائه في غياهب السجن من غير أن يطالبوا على ذلك بحجة أو دليل.

وطفق أعوان الحكومة يجسون خلال الديار شاكي السلاح للقبض على من يؤمرون بالقبض عليه. وكل من جلبوه يدخل لسجن الواد وكثيرين وضعوا في السجن الانفرادي المضيق من غير بحث أو سؤال. فاعتقل يـــوم الثلاثاء ١٨ صفر الشيخ عبد القادر الياجوري المدرس بالزاوية القادرية باعميش وأودع الســـجن الانفـــرادي وكذا السيد الهاشمي بن الدراجي نائب شعبة الواد. ويوم الأربعاء القي القبض على جماعة من اعميش وآخرين من الواد وقمار. ويوم الخميس على جماعات من تكسبت والزقم والرقيبة وبعض القرى. هذا الطيارات لا تفتأ تتردد عن القرى المرات العديدة في اليوم أزيزها يملأ الفضاء ويدخل الهلع على قلوب النساء والصبيان وكم من حبلى وضعت حملها من الرعب. ومع ذلك فعلة تردد الطيارات هي أن تراقب السكان متى يشرعون في ثورتهم المزعومة...... فيا للسخرية...!!! ويوم الجمعة ٢١ صفر ابتدأ الحاكم يبحث كل فرد المسجونين بحثا يـــدور على الأسئلة الآتية بعد اخذ الحالة الشخصية.

١– هل أنت عضو بشعبة بلدتك؟

٢– ما الغرض من تأليف الشعب؟

٣– هل تعرف الشيخ عبد العزيز؟

٤ - هل تعلم لماذا قبضت عليه الحكومة؟

٥ - أتحضر اجتماعاته؟

٦ - ما يقول لكم في الاجتماعات؟

٧ - ألا يدعوكم للجهاد والثورة على الحكومة؟

٨ - هل حضرت للواد يوم أن أتاه المدير العام للشؤون الأهلية؟

٩ - هل أنت مشارك في البصائر؟

١٠ - ما تستفيده من مطالعتها؟

١١ - إنك تشوش على السكان

وانتهى البحث يوم السبت. و لم يقع ما يستحق الذكر في يوم الأحد. وصبيحة يوم الاثنين ٢٤ منه نقل الشيخ عبد القادر الياجوري بالسيارة إلى سجن قسنطينة. وبه تربع المثلث ومازال مربعا.

وصباح الثلاثاء ٢٥ جلب الحاكم لمكتبه جميع المسجونين وأدخلوا عليه فردا فردا واثنين اثنين وأصدر على كل منهم الحكم الذي رآه مناسبا رغم أن البحث لم يثبت إدانة أي أحد... !!

فحكم على خمسة من اعميش بشهرين سجنا ومائتي فرنك غرامة وهم السادة ١–محمد القماري بن العربي ٢– إبراهيم علي بن سعد(طاعنين في السن) ٣–ثالثا بن محمد الغولي ٤-بالقاسم بن المسعود الواسع ٥-احمد بن العبيدى بن لقبج (اعرج الرجلين)

وحكم على ثمانية بالسجن شهرا واحدا ومائة فرنك غرامة وهم السادة ١–عبد الحفيظ بن العيد رئيس شعبة الجمعية بتكسيت ومعلم بها ٢–لبشير بن البردي كاتب شعبة تكسبت ٣–الحسين بن الهامل عضو بها ٤-امعمري عبد الرحمان رئيس شعبة الزقم وإمام جامعها الكبير ومعلم بها ٥-عباسي المسعود بن محمد أمين مال شعبة الزقم وإمام احد جوامعها ومعلم به ٦-نوار عبد الرحمان امين مال شعبة قمار ٧-العربي بن الغريبي ٨-علي بن خليفة. كليهما من قمار. وكان في جملة هؤلاء السيد العيد بن عبد القادر بن اعمر من العقلة باعميش ثم عفي عنه بعد يوم لهرمه وعجزه عن العمل.

وحكم على سبعة بالسجن خمسة عشر يوما وخمسين فرنك غرامة وهم السادة ١-الطالب عبادي بن عبد القادر ٢-الطالب الصغير بن احمد موسى ٣-الطيب بن احمد اغريسي ٤-احمد بن خليفة بـــوراس ٥-عبـــد القادر ابن داحة – خمستهم من اعميش ٦-امراح احمد بن ساعي ٧-بلخضر يوسف بن المكي – كليهما من الزقم

وحكم على واحد بثمانية أيام سجنا وهو البشير بن احمد بن غربي – من اعميش –

وابقي السيد محمد حامد بدير كاتب شعبـــة الزقم في الإيقاف رهن البحث. وأطلق سراح السادة :

١- الهاشمي الدراجي نائب رئيس شعبة الواد

٢- الطيب ابن احميدة متجول الليالي سابقا

٣- العربي بن الحاج محمد البوليسي

٤- الصادق بوكوشة – كلهم من الواد

٥- الطالب البشير بن عبد القادر

٦- احمد بن الشيحي

٧- الطالب صالح ابن الحاج احمد

٨- البشير بن بكار بن ميدة

٩- البشير بن البكوش – كلهم من اعميش

١٠- عون بن صالح - من الرقيبة -.

ويوم الأربعاء جلب للسجن السيد الطاهر الترلي رئيس شعبة اكوينين وبات ليلة ثم أخلي سبيله

يتبع.

- **الصائر** : العدد 165، السنة الثالثة، الجمعة 22 ربيع الأول 1358هـ – 12 ماي 1939م.

ذكـرى

مرور الحول على حوادث سوف الاليمة

٣

وبعد زوال يوم الحكم – الثلاثاء اخرج المحكوم عليهم للعمل كالمجرمين العاديين واستمروا على ذلك صباحا ومساء. فيخرجون صباحا عند الساعة الخامسة فأكثرهم يرفع الرمل على ظهوره في قفة من بستان الحـــاكم ويلقيه خارجه على مسافة ٢٥٠ ذراعا ولا يفوتنا أن نلاحظ أن ن فيهم العاجز والهرم ومن لم يتعود بـــذلك حتى في أملاكه... وكل هذا من بركانه.. !!!.

والباقي يديرون الآلات التي تخرج الماء من الآبار إلى الساعة ١١ أي قبل الزوال بساعة فيرجعون إلى السجن ويتسلم كل منهم قوته الذي يتألف من رطل ونصف من خبز الفرينة الرديئة ورطل من تمر تـــوقرت والجـــزء العشرين من ليترة الزيت كل هذا للغذاء والعشاء. وبعد يخرجون عند الساعة الأولى بعد الزوال إلى عملـــهم كالعادة حتى الساعة السادسة فيعودون للسجن وتغلق خلفهم الأبواب ويجلسون للاستراحة. وبعـــد أكلـــهم العشاء وأدائهم العشاء ينامون متفرشين الغبراء وملتحفين الزرقاء حتى يأتي الله بخير الصباح فيقومون للصلاة.

وان انس فلا انس منظر تلك الصفوف المتراصة وقت الصلاة يجمعها عقد واحد ويحدو بها حاد واحـــد إلى رب واحد. ثم هي في تلك المحنة وذلك الابتلاء يجتمع منها القلب واللسان – عن فهم وإيمان – على كلمـــة واحدة فتردد الله أكبر. الله أكبر. انه لمنظر يملأ الجنان ويطلق اللسان. ولو اتسع ببصائرنا الميدان.

وعند الساعة الخامسة يخرجون للعمل كما تقدم وهكذا دواليك

وشاء ربك أن ينمي أجورهم، فكان الحر شديدا لا يطاق في اليومين ونصف اللذين بقوهما في الواد. وكان طريقهم أثناء العمل أكمة من الرمال تزيد نار الشمس اشتعالا. فتحرق أبدانهم وتشوى على الأخص أرجلهم. كل هذا والويل لمن تباطأ قليلا في العمل أو لم يملا قفته كل الملء فذلك يصب عليه الشتم واللعـــن انصـــبابا ويهدد بالزيادة في مدة العقاب.

وفي صباح يوم الجمعة ٢٨ صفر قبل الساعة الخامسة استدعاهم الحاكم لمكتبه وطلب منـــهم الاســـتعداد للسفر لأن ثلاثة عشر منهم سيسافرون و لم تبين لهم الجهة التي سينقلون إليها. فاستعدوا ووقفوا أمـــام مكتبـــه فنادى على ثلاثة عشر منهم بأسمائهم – وهم المحكوم عليهم بشهرين وشهر – وأخذوا إلى الثكنة العســـكرية

التي هي بجوار إدارة الحكومة واركبوا في سيارتين كبيرتين من المخصصة لنقل الجنود. ومعهم أربعة عشر من جنود القومية شاكي السلاح. وسارت بهم إلى وجهة غير معلومة لهم لكنهم في النهاية وصلوا إلى سجن تفرت.

وعلة نقلهم هي أن متصرف [حوز] توقرت طلبهم ليشتط في تعذيبهم. فلاقوا منه فور وصولهم الأمرين. فقد كلفهم بتعبيد إحدى الطرق [بالمكدام] ومع وجود الطريق تحت قرص الشمس الوهاج وصعوبة العمل وطول مدته فجنابه يمنع عنهم منعا باتا شربة الماء التي يبلون بها اللهاة. ولا يفتأ يتردد عليهم لصب وابل من الشتم والسب من غير سبب ولو لا أن تداركهم طائف من رحمة ربك فانزل عليه سقما أعيا الأطباء علاجه واستوجب نقله بالطيارة إلى قسنطينة، لقضوا نحبهم عنتا وعطشا

يتبع.

- **البصائر** : العدد 167، السنة الرابعة، الجمعة 06 ربيع الثاني 1358هـ - 26 ماي 1939م

والتاريخ

ذكرى

مرور الحول على حوادث سوف الأليمة

٤

أما في سوف فقد أطلق صراح السيد محمد حامد بدير كاتب شعبة الزقم –الذي بقي موقوفا رهن البحث- يوم السبت ٢٩ صفر بعد إعادة بحثه مرتين. وعلمنا أن الحاكم ابلغه ثلاثة أوامر طلب منه إبلاغها لرفقائه وهي :

١- أن الاشتغال بالسياسة ممنوع على الجميع

٢- الاتصال بالعلماء محظورا أيضا

-٣ جميع الشعب محلولة ولا يجوز تجديد تأليفها. كما علمنا أنه أجاب على هاته الأوامر بما ينتظر من مثله. وصدرت الأوامر إلى جميع مشائخ القرى إعلاما لهم بحل شعب الجمعية ووجوب مراقبة أعضائها مراقبة تامة مع إنذار من يقصر في ذلك بتحميله جميع المسؤولية. وكلما خرج فوج من المسجونين تجدد لهم الأمر بتشديد المراقبة وتقديم التقارير عن أعضاء الشعب إلى حاكم ملحقة الواد.

وفي اليوم المذكور – السبت ٢٩ صفر – قبض على أربعة من الزقم من أجل كتابتهم مكتوب شهادة ببراءة الشيخ عبد العزيز ورفقائه من كل قول وعمل يخالف القانون موجهة نسخة منه إلى حاكم ملحقة الواد وأخرى إلى حاكم التراب العسكري بتوقرت وثالثة إلى الرئيس بن باديس. ورغم الضغط والتخويف فقد وقع كل نسخة منه ما يقارب المائة والخمسين من الزقم وحدها في أمد لا يتجاوز اليومين. و لم يستطيعوا إرساله لمعاجلتهم بالاعتقال وبحلية شريفة تمكنوا من النجاة من العقاب وأخلي سبيلهم في نفس اليوم وهم السادة :

١- محضي محمد بن حامد مراقب شعبة الزقم

٢- حمودة العروسي نائب كاتبها

٣- حميداني محمد ابن الحاج عبد الله عضو بها ورفيق باديس في صباه

٤- محمد البشير الأبراهيمي من الشباب الناشط.

ويوم الثلاثاء ١٠ ربيع الانور – ١٠ – ٥ – ٣٨ – أتى إلى الواد وكيل الجمهورية لدى المحكمة العسكرية بقسنطينة وقاضي البحث بتلك المحكمة والكاتب (لافريف) لأجراء بحث على العين واستدعي للشهادة لديهم جم غفير مزيج من قائل حق وشهاد زور وظهرت السبح الحمراء الطويلة المنورة بالحرير الأحمر – والحمرة عندي شعار جهنم – تعلو الصدور، ورمى هؤلاء الشيخ عبد العزيز وصحبه بكل بهت وإفك. وبرأهم الآخرون من كل مخالفة وجرم. والحق الذي نصرح به أن المتولي للبحث كان يناقش الجميع الحساب فيذهب الباطل جفاء ولا يستقر إلا الحق البراح ولحق يوم الأربعاء اثنان من وكلاء الشيخ عبد العزيز (لادميرال) و(سيسبان) ومعهما أخو الشيخ محمد الصالح. فأطلق سراح السادة السبعة المحكوم عليهم بخمسة عشر يوما وخمسين فرنك غرامة في مساء ذلك اليوم بعد أن مضى عليهم في السجن اثنان وعشرون يوما و١٦ يوما من يوم الاعتقال على اختلافه. و١٦ يوما من يوم الحكم مع أن العادة المتبعة مع غيرهم من المسجونين هي أن تحسب أيام الإيقاف من المدة المحكوم بها،

واطلع الوكيلان على مجرى البحث. فلما رأوا كثرة شهود النفي [فاقتبلهم] وبحثهم يوم الخميس وسافر بعد ذلك الباحث والوكيلان.

وفي آخر ربيع الانور أطلق سراح السادة الثمانية المحكوم عليهم بشهر ومائة فرنك بعد أن قضوا شهرا كاملا بسجن توقرت و١٢ يوما بين سجن الواد والطريق. ونلاحظ أنهم في إيابهم أرجعوا على إبل ألزموا بدفع كرائها من جيوبهم كأنهم هم الذين طلبوا تنقلهم إلى توقرت للتفسح... آخر ربيع الثاني خرج من بقي بسجن توقرت وهم الخمسة المحكوم عليهم بشهرين ومائتين وفعل معهم كإخوانهم من زيادة ١٢ يوما في أمد السجن

ودفعهم كراء الإبل.

ومن التحدث بنعمة الله أن نقول أنه كلما خرج فوج من المسجونين كانت أيامه أياما عند الأمة. فــرغم التخويف والتهديد تندفع الخلائق إلى استقباله اندفاعا يوحيه القلب ويحذوه الشعور المشترك فالجميع متحد في المحنة والابتلاء سواء من دخل السجن أو بقي

- **البصائر** : العدد 168، السنة الرابعة، الجمعة 15 ربيع الأول 1358هــ - 02 جوان 1939م

للحقيقة والتاريخ

ذكــرى

مرور الحول على حوادث سوف الأليمة

٥

بعض نتائج :

لا يجمل بنا ونحن نتتبع سير هاته الكارثة أن نغفل ذكر بعض نتائجها فمن ذلك عزل ثلاثة من أيمة المساجد واحد بقمار هو الشيخ محمد الطاهر ابن بلقاسم إمام جامعها الحر الذي بنته الأمة من خالص مالها. والمدرس به فقد منع من الإمامة والتدريس لمجرد أنه رئيس شعبة جمعية العلماء نتلك البلدة. واثنان ب هما الشيخ معمـــري عبد الرحمان الإمام الخطيب بجامعها الكبير ومعلم به. والشيخ عباسي المسعود بن محمد إمام احـــد الجوامـــع الأخرى ومعلم به أيضا فمنع كل منهما من الإمامة والتعليم لكون الأول رئيس شعبة الجمعية والثاني أمين مالها وأمرا بالمنع بعد خوجهما من السجن

ثم إن هاته الحوادث قد أجلت للناس حقيقة عارية لا مواربة ولا تدليس وهي قوة هذا المبدأ الملحوظ بعناية الله ومدى ثبات أتباعه عليه واحتمالهم في سبيله. فلم نجد بعد هذه الحواث من رجع عنه أو تستر في الانتساب إليه. بل جرفت له الحوادث فلول المترددين فتيقنوا أحقيته وصاروا من أتباعه المخلصين.

أما الذين كانوا يتسترون بالإصلاح ليتصلوا بالصلحين ويتجسسوا عليهم لأعدائهم – وكنا من قبل نعرفهم بأسمائهم – فقد افتضحوا شر فضيحة عرفها النفاق حتى الآن. وان الألسن لتردد احتقارهم جهارا نهـــارا لأن جرأتهم على دينهم وقومهم عظيمة لا تغتفر. فبكيدهم ودسهم ملئت السجون بالأبرياء وانحط على الأمة ذلك الكابوس الثقيل ومازال إلى الآن. وخويت دروس العلم وقد كانت عامرة وكم أرشدت من ضال وعملت من

جاهل وفي يسير من الزمن أخرجت لنا بلابل تغرد في المحافل العامة بالعلم وتترنم متحمسة بالشعر. وما يدريك كيف يكون الختام اذا كان هذا المبدأ الجميل.

والمصلحون في كل ذلك يعلمون أن ما أصابهم إنما هم ابتلاء واختبار نتج عنه ما ينتج عن كل ابتلاء من التمييز والتمحيص ولا يفترون عن ترديد : (وليبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وفي كل آن يتواصون بالحق والصبر (والتواصي تضامن وجهاد سلمي). و لم يكن قولهم إلا (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)

هذه فذلكة عن حوادث جسيمة حطت بكلكلها عن ناحية مهمة من هذا القطر المسكين جلوناها على الناس لأنه لا يجدر بها أن تبقى مدفونة وهي صفحة ذات بال من سجل تاريخ الجزائر الفتاة. فإن أطلت في سردها فما الذنب ذنبي بل ذنب الذين أطالوا أيامها وأوسعوا دائرتها. وذكرت الحوادث في الغالب مجردة من التحليل والتعليق ورغبت ف الاختصار. وأن في نفس الحوادث ما هو أبلغ من كل تحليل وتعليق ولعل أن تسنح لي الفرص – وقليلا ما تفعل – للكتابة فيها في ميدان آخر

وإني أعتذر سلفا لإخواني الذين يرغبون في معرفة اسمي أن بضعة عوامل خاصة هي التي لاضطرتني إلي عدم التصريح – وفيهم من يعرفها – وقد اتخذت سبيلا وسطا... فتسترت بحجاب لعله شفاف.. وزادني ترغيبا في عدم التصريح علمي بأن بعض الجهات ستجتهد في البحث عني فقلت لأتعبنها في التنقيب ولا أدلها على نفسي بسهولة. وان كنت جازما بأن نظرها يقع أول وهلة علي وبعد البحث والتنقيب لا يستقر إلا علي ولكني لا أبالي بعلمها أو جهلها :

(خوف الورى شرك بحا * لقهم وصولتهم صنم)

الإمضاء : محب لقومه

- **البصائر** : عدد 169، السنة الرابعة، الجمعة 20 ربيع الثاني 1358هـ - 09 جوان 1939م.

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع .

أولا – المصادر والمراجع العربية:

- المصادر.

- المراجع.

ثانيا – المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

- المصادر الأجنبية.

- المراجع الأجنبية.

قائمة المصادر والمراجع العربية :

المصادر :

- القرآن الكريم.

1 - **المصادر المخطوطة :**

- ابن محمد الصالح، محمد بن عزوز : **التعريف بزاوية سيدي سالم**، مخ، بمكتبة زاوية سيدي سالم.

- التليلي، محمد الطاهر : **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، (مخ)، مكتبة النادي السياحي، قمار.

- التليلي، محمد الطاهر : **من تاريخ وادي سوف**، (مخ)، مكتبة علي غنابزية المترلية، الوادي.

- العبيدي، الطاهر : **رسالة رفع اللهو في كشف مسائل السهو**، (مخ)، نسخة مصورة في مكتبة سيدي سالم الوادي.

- العوامر، إبراهيم : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، (مخ)، ج 2، نسخة أحمد مفتاح.

- العوامر، إبراهيم : **متن ست و ستون عقيدة وشرحه**، (مخ)، مكتبة زاوية سيدي سالم.

- خراز، أحمد : **تقاييد**، (مخ)، بمكتبته المترلية، الوادي.

- سالمي، مصطفى : **الدر المصفى في تقاييد سيدي مصطفى**، جمع وتحقيق علي غنابزية، (مخ)، زاوية سيدي سالم، الوادي.

- مفتاح، أحمد : **تقاييد**، مخ، مكتبة ابنه (مفتاح) عبد الباقي المترلية.

2 - **المصادر المطبوعة :**

- **أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس**، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، ط 1، ج 1، دار اليقظة العربية، الجزائر، 1388هـ - 1968م.

- الأمير، عبد القادر : **ذكرى العاقل و تنبيه الغافل**، ص 1، طبعة دمشق، سوريا، (د – ت).

- الحفناوي، أبو القاسم : **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991.

- الزاهري، محمد الهادي : **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، ج 1، ط 1، المطبعة التونسية، تونس، 1345هـ / 1926م.

- الزبيري، محمد العربي : **مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- التونسي، خير الدين : **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- العدواني، محمد : **تاريخ العدواني**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

- العوامر، إبراهيم : **البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريقة سيدي محمد الصالح**، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1323هـ.

- العوامر، إبراهيم : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تعليق الجيلاني العوامر، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977. - المدني، أحمد توفيق : **كتاب الجزائر**، ط 2، نشر دار الكتاب، البليدة، الجزائر، 1963.

- بالحاج، عبد الرحمان : **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وبن عزوز**، مطبعة النجاح، قسنطينة، 13 شوال 1350هـ.

- بلحميسي، مولاي : **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- تشرشل، شارل هنري : **حياة الأمير عبد القادر الجزائري**، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

- خير الدين، محمد : **مذكرات**، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ت).

- دونوفو، ادوارد : **الإخوان (دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر)**، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، 2003.

- معامير، محمد الساسي : **التقويم الجزائري العام لسنتي 1345هـ / 1927م**، نشر المكتبة التونسية، مطبعة النجاح بتونس، تونس، 1345هـ / 1927م.

- حماني، أحمد : **صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام عبد الحميد بن باديس**، ج 2، ط 1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1405هـ / 1984م.

3 - **سجلات المحاكم الشرعية والحالة المدنية :**

- **سجل المحكمة الشرعية بالوادي (1851)**، مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعـرة، موثـق بالوادي.

- **سجل المحكمة الشرعية بكوينين (1873)**، مكتب التوثيق للسيد عبد المالك رزاق بعـرة، موثـق بالوادي.

- **سجلات الحالة المدنية لسنة 1934 بلدية الوادي.**

- **سجلات الحالة المدنية لسنة 1937 بلدية الوادي.**

4 - **القصائد والرسائل :**

- ابن عزوز، محمد : " رسالة إلى سي علي بالليل وسي الحاج أبي بكر "، **مجموع رسائل**، مخ، بالزاويـة العثمانية، طولقة.

- الشريف، إبراهيم : **قصيدة بعنوان " النور "** ، خطت بالاغواط بتاريخ 1904 منسوخة على الأصل بزاوية ابنه محمد الطيب الشريف بالرويسات.

- العبيدي، الطاهر : " قصيدة رثاء للشيخ محمد العربي بن موسى (موساوي) "، **من ديوانـه**، (مـخ)، نقلت بخط حفيده الأستاذ محمد المدني عبيدي بتوقرت بتاريخ 18 / 08 / 2000.

- العوامر، إبراهيم : " قصيدة في مدح الشيخ المولدي بوعرقية "، **ديوان في الشعر الصوفي**، (مخ)، توجد نسخة منه بمكتبة علي غنابزية.

5 - **الصحف و الجرائد :**

- **البصـــائر** : الأعــداد : 23 – 24 – 48 92 - 95 – 101 – 103 – 108 – 112 – 113 – 122 – 123 – 150 – 164 – 165 – 167 – 168 – 169 – 178 – 179.

- **الشهاب** :م 1، ج 1، 13 صفر 1345هـ - 23 أوت 1926.

- **الشهاب** : ج9، م 10، 01 جمادي الأول 1353هـ - 12 أوت 1934.

- **النجاح** : العدد 1338، السنة 13، الجمعة 02 ربيع الأول 1351هـ / 05 أوت 1932م.

- **جريدة خالص صدق مسلمي إفريقيا لأم أوطانهم الأمة الفرنسوية**، جلالة مولاي يـوسف سـلطان المغرب الأقصى، حضرة محمد الناصر باي، الدين النصيحة، 5 محرم 1333هـ / 10 نوفمبر 1914م.

- **صوت وادي سوف**، جريدة تصدر باللغتين (الفرنسية – العربية) عن المكتـب الفرنسـي الخـامس، بالوادي، عدد 02، 1958، مرقونة.

المـراجـع :

1 - الكتب :

- ابن أبي بكر، أبو زكريا يحي : **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العـربي، ج 2، ط 2، ديـوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

- ابن أبي زيد، القيرواني : **الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، تحقيق الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، مطبعة المنار، تونس، (د - ت).

- ابن خلدون :**كتاب العبر وديـوان المبتـدأ والخبـر في أيـام العـرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج 6، دار البيان، (د – ب)، (د – ت).

- ابن ماجة : **سنن ابن ماجة (207 – 275هـ)**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج 1، دار إحياء التـراث العربي، (د – ب)، 1395هـ / 1975م.

- أبو العباس، أحمد الدرجيني : **كتاب طبقات المشائخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، ج 1، مطبعة البعـث، بقسنطينة، 1974.

- أبو زكرياء، يحي بن شرف النووي : **كتاب الأربعين نووية**، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1423هـ / 2002م.

- أبو عبد الله، محمد بن عثمان السنوسي : **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تحقيق وتعليق محمد الشاذلي النيفر، ج 1، ط 1، المقدمة، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس،1983.

- أجريتو، مارسيل : **الوطن الجزائر**، ترجمة عبد الله نوار، سلسلة كتب سياسية رقم 114، القاهرة، 1959.

- إسماعيل، عز الدين وآخرون : **غومة المحمودي فارس الصحراء**، دار العودة، بيروت، 1975.

- الأشرف، مصطفى : **الجزائر الأمة والمجتمع**، الترجمة من الفرنسية حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 299.

- الأنطاكي، داود : **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1282هـ.

- البختري، أحمد : **الجديد في أدب الجريد**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1973.

- التليلي، محمد الطاهر : **منظومات في مسائل قرآنية**، تقديم أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- التميمي، عبد الجليل : **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر – تونس – المغرب - ليبيا) 1816 – 1871**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

- الجابري، محمد الصالح : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

- الجابري، محمد صالح : **رحلات جزائرية**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001.

- الجابريذ، محمد صالح : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

- الجندي، أنور : **عبد العزيز الثعالبي رائد النهضة الإسلامية (1879 – 1944)**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ / 1984م.

- الجوزي، ابن القيم : **الطب النبوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1957.

- الجيلالي، عبد الرحمان : **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1994.

- الحسيني، علي الرضا : **محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره**، الدار الحسينية، تونس، 1997.

- الخرفي، صالح : **في رحاب المغرب العربي**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.

- الزبيري، محمد العربي : **التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792 - 1830)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- السائحي، محمد الأخضر عبد القادر : **محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

- السائحي، محمد الأخضر عبد القادر وآخرون : **الأدباء الشهداء**، وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د – ت).

- الساحلي، حمادي : **فصول في التاريخ والحضارة**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.

- السويدي، محمد : **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.

- السيوطي، جلال الدين : **كتاب الرحمة في الطب والحكمة**، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1323هـ.

- العشعاشي، الحاج مصطفى : **السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية**، تحقيق وتحرير مصطفى يلس شاوش ابن الحاج محمد، مطبعة سقال، تلمسان، الجزائر، (د – ت).

- العقبي، صلاح مؤيد : **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق،لبنان، 2002.

- العقون، عبد الرحمن بن إبراهيم : **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الثانية 1936 – 1946**، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- العمامرة، سعد والعوامر، الجيلاني : **شهداء حرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، بوزريعة، الجزائر، (د–ت).

- الفاسي، حرازم : **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، ج 1، دار الجيل، بيروت، 1988.

- القيرواني، ابن أبي زيد : **متن الرسالة لأبي زيد القيرواني**، مكتبة رحاب، الجزائر.

- المدني، أحمد توفيق : **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766 - 1791)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- المناوي : **التيسير بشرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، ج 2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، المطبعة المصرية بولاق، مصر، (د – ت).

- النيال، محمد البهلي : **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، مكتبة النجاح للنشر والتوزيع، تونس، 1965.

- الوسياني، أبو الربيع : **سير مشائخ المغرب**، تحقيق إسماعيل العربي، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

- أمين، أحمد : **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، موفم للنشر، الجزائر، 1990.

- بغدادي، مولاي ملياني : الحمامات في الجزائر، ج 1، المطبعة الجزائرية دحلب، الجزائر، 1993.

- بن نبي، مالك : **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، ط 3، دار الفكر، الجزائر، 1408هـ - 1988م.

- بن نبي، مالك : **شروط النهضة و مشكلات الحضارة**، ترجمة عبد الصبور شهين وعمر مسقاوي، مطبعة دار الجهاد، القاهرة، مصر، 1967.

- بو الصفصاف، عبد الكريم : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية**، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1401هـ / 1981م.

- بو عزيز، يحي : **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- بوعزيز، يحي : **ثورات الجزائر في القرنين 19 – 20 م**، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1980.

- بوعزيز، يحي : **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

- تشايجي، عبد الرحمان : **المسألة التونسية والسياسة العثمانية (1981 - 1913)**، نقله عن الفرنسية وعلق عليه عبد الجليل التميمي، ط 1، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973.

- جغلول، عبد القادر : **تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سسيولوجية)**، ترجمة فيصل عباس، مراجعة خليل أحمد خليل، ط 2، دار الحداثة للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، 1982.

- جوليان، شارل أندري : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978.

- حسنين، محمد : **الاستعمار الفرنسي**، ط 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- حسين، عبد الفتاح أبو عليه وإسماعيل ياغي : **تاريخ أوربا الحديث والمعاصر**، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1399هـ / 1979م.

- حمادي، عبد الله : **الإيديولوجيا الفركفونية في الجزائر (من خلفيات الصراع)**، المؤسسة الوطنية للنشر والاستثمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

- دبوز، محمد علي : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج 3، المطبعة العربية، الجزائر، 1969.

- رابح، تركي : **التعليم القومي و الشخصية الجزائرية (1931 – 1956)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائئ، 1981.

- رابح، تركي : **الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900 – 1940)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د – ت).

- زبدي، صالح : **رسم القرآن في متشابه من كتاب البيان**، نشر شركة آمال للإعلام الآلي والأعمال المكتبية، الوادي، الجزائر، 1998.

- زكرياء، مفدي : **الإليـاذة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- زوزو، عبد الحميد : **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 –1939)**، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- زوزو، عبد الحميد : **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997.

- زيدان، جرجي : **بناة النهضة العربية**، دار الهلال، القاهرة، (د – ت).

- ستودارد، لوثروب : **حاضرة العالم الإسلامي**، نقله إلى العربية عجاج نويهض، ج 1، مج 1، ط 4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1973.

- سعد الله، أبو القاسم : **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- سعد الله، أبو القاسم : **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

.1983

- سعد الله، أبو القاسم : **تجارب قي الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- سعد الله، أبو القاسم : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1986.

- سعد الله، أبو القاسم : **الحركة الوطنية الجزائرية (1930 – 1945)**، ج 3، ط 3، المؤسسة الوطنيـــة للكتاب، الجزائر، 1986.

- سعد الله، أبو القاسم : **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

- سعد الله، أبو القاسم : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائـــر**، ج 2، ط 2، دار الغـــرب الإســـلامي، بـــيروت، 1990.

- سعد الله، أبو القاسم : **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

- سعد الله، أبو القاسم : **تاريخ الجزائر الثقافي**، الأجزاء 1 3 4 5، ط 1، دار الغرب الإســـلامي، بـــيروت،

.1998

- سعد، أحمد صادق : **تاريخ العرب الاجتماعي (تحول التكوين المصري من الـــنمط الآســـيوي إلى الـــنمط الرأسمالي)**، ط 1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 1981.

- سعيدوني، ناصر الدين وبو عبدلي، المهدي : **الجزائر في التاريخ (العهد العثمـــاني)**، ج 4، وزارة الثقافـــة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- سيف الإسلام، الزبير : **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- سيشي، محمد المولدي : **مقتطفات من تاريخ بني عدوان وعمارت سوف**، (مخ)، الوادي.

- صاري، أحمد : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، المطبعة العربية، غرداية، 2004.

- عميراوي، احميدة : **أبحاث في الفكر والتاريخ (الجزائر وفلسطين)**، دار الهـــدى، عـــين مليلـــة، الجزائـــر، .2003

- عميراوي، احميدة : **بحوث تاريخية**، دار البعث، قسنطينة، 2001.

- عميراوي، احميدة : **من الملتقيات التاريخية الجزائر**، مطبعة البعث، قسنطينة، 2000.

- غليسبي، جوان : **الجزائر الثائرة**، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1961.

- غنابزية، علي وآخرون : **مفكرة نهاية القرن العشرين**، المطبعة العصرية بالوادي، الوادي 1999 – 2000.

- غيرستر، جورج : **الصحراء الكبرى**، تعريب خيري حمادي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961.

- فضلاء، محمد الحسن : **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، الأجزاء 1 2، دار هومه، الجزائر، 2000.

- فيرون، ريمون : **الصحراء الكبرى**، ترجمة جمال الدناصوري، مراجعة شكري نصر، مؤسسة سجل العـــرب، القاهرة، 1967.

- فيلالي، مختار : **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، (د. ت).

- قادي، عبد الحميد إبراهيم : **التعريف بوادي ريغ**،منشورات جميعة الوفاء للشهيد بتوقرت، الآمال للطباعـــة،

الوادي، 1999.

- قنانش، محمد : **المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة الحديثة)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، (د – ت).

- كولونا، فاني : " مثقفون في الأطراف "، **من كتاب الأنتلجانسيا في المغرب العربي**، إشراف عبد القادر جغلول، ط 1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

- مصمودي، فوزي : "العلامة الصادق بلهادي البسكري (شيخ العلامة العوامر وعبد المجيد بن حبة في طي النسيان) "، **من كتاب الأستاذ الصادق بلهادي عالم سيدي عقبة ومدرسها الفذ (1875 1939)**، جمع وإعداد سليم راشد وعبد الحليم صيد، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، ط 2، طبع مكتبة الطالب، بسكرة 1419هـ- 1998م.

- مفتاح، عبد الباقي : **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، (مخ)، لدى صاحبه.

- مياسي، إبراهيم : **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 - 1911)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.

- مياسي، إبراهيم : **قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**،ديوان الطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

- ناصر، محمد : **الصحف العربية الجزائرية من 1847 – 1993**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

- نسيب، محمد : **زوايا العلم و القرآن بالجزائر**، دار الفكر دمشق، سوريا، (د – ت).

- هلال، عمار : **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 –1962**)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

- هلال، عمار : **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غربي إفريقيا السمراء**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984.

- واعدة، محمد : **محمد الخضر حسين حياته وأثاره**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.

2- الرسائل الجامعية :

- الواعر، صبرينة : **محمد برحال دوره السياسي والثقافي (1857 – 1928**)، رسالة ماجستير، تحت

إشراف أحمد صاري، شعبة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، 1424هـ - 2003م.

- عمراني، معاذ : **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 – 20م**، رسالة ماجستير، (مخ)، تحت إشراف فاطمة الزهراء قشي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1423هـ / 2003م.

- غنابزية، علي : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ / 19 م**، رسالة ماجستير، مخ، تحت إشراف عمر بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001 - 2002.

3 - الجرائد والصحف المجلات والدوريات :

- التليلي، محمد الطاهر : " فذلكة تاريخية عن منطقة " سوف " بالجزائر "، تحقيق أبو القاسم سعد الله، **مجلة العرب**، ج 11 – 12، المملكة العربية السعودية، السنة 37، جويلية وأوت، 2002.

- الشابي، علي : " مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية "، **المجلة التاريخية المغربية**، العددان 13 - 14، تونس، يناير 1979.

- الصديق، محمد الصالح : " الشيخ حمزة بوكوشة "، **جريدة البصائر**، العدد 177، السلسلة الرابعة، الجزائر، فيفري 2004.

- بوعزيز، يحي : " معارك للحاج أحمد باي في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية "، **مجلة الثقافة**، العدد 90، الجزائر، نوفمبر – ديسمبر، 1985.

- خان، محمد : " الأدب الإصلاحي في الجزائر (دراسة تحليلية لأدب حوحو) "، ج 2، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة محمد خيضر، العدد 02، بسكرة، جوان 2002.

- دفتردار، محمد سعيد : " من أعلام المدينة المنورة (صاحب الفضيلة العلامة المحدث السلفي الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر ابن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف عليه رحمة الله) "، **مجلة المنهل**، ج 8، السنة 35، مكة المكرمة، العربية السعودية، شعبان 1389هـ / أكتوبر 1966م.

- رابح، تركي : " الصراع بين جمعية العلماء المسلمين وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة الممتدة ما بين (1933 – 1939م) "، **مجلة الثقافة**، العدد 85، الجزائر، ينار – فبراير 1985.

- زغب، أحمد : صدى الحركة الإصلاحية بوادي سوف، **مجلة القباب**، العدد الأول، تصدر عن دار الثقافة بالوادي، الوادي، جوان 2004.

- سعد الله، أبو القاسم : " مراسلات غريبة بين ابن باديس وأحد علماء سوف "، **المجلة التاريخية المغربية**، العددان 19 – 20، تونس، جويلية 1980.

- سعد الله، أبو القاسم : " مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي (1830 –1954م) (دراسة مركزة على الجزائر) "، **مجلة الثقافة**، العدد 79، الجزائر، يناير – فبراير 1984.

- سعد الله، أبو القاسم : " مهمة موتيلانسكي في سوف لدراسة اللهجة الغدامسية سنة 1903"، **مجلة الثقافة**، العدد 107 – 108، الجزائر، مارس – أفريل 1995.

- سعد الله، أبو القاسم : " سليمان الباروني أضواء وملاحظات "، **مجلة الثقافة**، العددان 110 – 111، الجزائر، سبتمبر – ديسمبر، 1995.

- سعد الله، أبو القاسم : " مجاهد من نوع آخر "، **مجلة الثقافة**، العددان 105 – 106، الجزائر، نوفمبر - فيفري، 1994 / 1995.

- سعد الله، أبو القاسم : "المترجمون الجزائريون وإفريقية"، **مجلة الثقافة**، عدد 113، الجزائر، مارس– أفريل، 1996.

- سعد الله، أبو القاسم : " فقيد العلم والجزائر الشيخ محمد الطاهر تليلي (1910 – 2003)"، **جريدة الشروق اليومي**، عدد 950، الجزائر، 16 ديسمبر 2003.

- صاري، أحمد : " الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة "، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد 2، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، محرم 1424هـ - مارس 2003م.

- صيد، عبد الحليم : " محمد بن عزوز شيخ العلماء والمجاهدين"، **مجلة الثقافة**، العدد 115، الجزائر، 1997.

- غنابزية، علي : " العلامة الفقيه الحجة الشيخ الطاهر العبيدي (1887 – 1968) "، **جريدة النبأ**، العدد 142، الجزائر، 11 – 17 رمضان 1424هـ - 21 – 27 فيفري 1994.

- غنابزية، علي : "العلامة والأديب الصحفي الشيخ حمزة بوكوشة مسيرة إصلاح "، **جريدة النبأ**، العدد

184، الجزائر، 26 ديسمبر 1994 – 01 – جانفي 1995.

- غنابزية، علي : " النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف "، **مجلة القبـــاب**، العدد الأول، تصدر عن دار الثقافة بالوادي، الوادي، جوان 2004.

- غنابزية، علي : " مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بـــين 1920 – 1938 "، **مجلة البحوث والدراسات**، المركز الجامعي بالوادي ، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الأول 1425هـــــ / أفريل 2004م.

- قاصري، محمد السعيد : " السياسة الإدارية الاستعمارية في الصحراء الجزائرية "، **مجلة دراسات أدبيــة وإنسانية**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 01، قسنطينة، صـــفر1425هـــــ - أفريـــل 2004م.

- محساس، أحمد : " التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية "، **مجلة الثقافـــة**، العـــدد 85، الجزائر، يناير – فبراير 1985.

- موسى، سليمان : " المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال إفريقيا "، **المجلـــة التاريخيـــة المغربية**، العددان 7 – 8، تونس، جانفي 1977.

- مياسي، إبراهيم : " الاحتلال الفرنسي لوادي سوف "، **جريدة الشعب**، الجزائر، الخميس 15 جانفي 1998.

- مياسي، إبراهيم : " الدور التعليمي لزاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف "، **حولية المؤرخ**، العدد الأول، الجزائر، 2002.

– مياسي، إبراهيم: " ذكريات عن العلامة الطاهر التليلي "، **جريدة البصائر**، السلسلة الرابعـــة، العـــدد 180، الجزائر، فيفري - مارس 2004.

- هلال، عمار : " الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916 "، **مجلة الثقافة**، عدد 79، الجزائر، بناير – فبراير، 1984.

- هلال، عمار : "الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العـــربي (1898 – 1915)"، **مجلة الثقافة**، العدد 84، الجزائر، نوفمبر – ديسمبر 1984.

- هلال، عمار : " أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية"، **مجلة الثقافة**، العدد 88، الجزائر، يوليو – أغسطس 1985.

- هلال، عمار : " الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي "، **مجلة الثقافة**، العدد 95، الجزائر، 1986.

- هيشور، بوجمعة : " انثربولوجيا وادي سوف (ملامح تاريخية لعرشي عدوان وطرود) "، **جريدة النصر**، العدد 6349، الخميس 28 أفريل 1994.

- وثائق الحركة الوطنية : **نصوص أساسية ووثائق من** 1350 **إلى** 1363**هـ** (1931 – 1944)، مطبوعات مديرية الوثائق لولاية قسنطينة، ط 2، رقم : 07 – 08 – 09، 1982.

4 - المدونات والندوات والملتقيات :

- الجيلالي، حسان : " الشيخ إبراهيم بن عامر حياته و آثاره "، **الندوة الفكرية الرابعة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 30 أفريل – 01 – 02 – 03 ماي 1991.

- الجيلالي، حسان : " الشيخ الطاهر العبيدي حياته و أعماله ، **الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 29 – 30 أفريل – 01 – 02 ماي 1992.

- السايح، أحمد : "منسيون تحت المجهر من علماء سوف (العلامة الطاهر العبيدي 1304 – 1388هـ / 1886 – 1968م)"، **الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 29 – 30 أفريل–01 – 02 ماي 1992.

- العوامر، الجيلاني : " أعمال العلامة إبراهيم بن محمد الساسي العوامر "، **الندوة الفكرية الرابعة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 30 أفريل – 01 – 02 – 03 ماي 1991.

- بكوش، محمد الصالح : " الشيخ علي بن سعد خيران القماري "، **الندوة الفكرية الثالثة للشيخ عبد القادر الياجوري**، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي بقمار، الوادي، أيام 04 -05 – 06 جوان 2002.

- بن نعيمة، عبد المجيد : " مواقف شيوخ بني جلاب في توقرت من الاحتلال الفرنسي 1830 – 1854 "، **مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ**، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتفرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999.

- بوعزيز، يحي : " ثورات بن ناصر بن شهرة (1850 – 1875) من أبطال المقاومة - الشعبية

بالجنوب "، **مدونة الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب**، الأغـــواط 23 – 25 ماي 1998.

- بوعزيز، يحي : " تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمخابر جيش الاحـــتلال "، حاضـــرة، (مخ)، **الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة أول نوفمبر 1954**، الوادي 19 – 20 مـــارس 1999.

- دبابي، محمد الصغير : " حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ "، **مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ**، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتفرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999.

- سليماني، عبد السلام : " من أعلام الجنوب الشيخ الطاهر العبيدي " **الندوة الفكرية الخامســـة محمـــد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 29 – 30 أفريل – 01 – 02 ماي 1992.

- عبد الجواد، محمد الطاهر : " عاصمة وادي ريغ (تفرت) أيام بني جلاب "، **مدونة الملتقـــى التـــاريخي الثالث لفترة حكم بني جلال في منطقة وادي ريغ، 1998**، الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتوقرت، الآمال للطباعة، الوادي، 1999.

- عميراوي، احميدة : " مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب من خلال وثائق نادرة "، **مدونـــة ملتقى مقاومة الشريف بن عبد الله بورقلة**، جمعية الانتفاضة الشعبية التاريخية، ورقلة، فبراير 1998.

- غنابزية، علي : " وجوه من الذاكرة الشيخ الميداني موساوي الفقيه المتعفف "، **جريدة النبأ**، السبت 27 رجب 1420هــ/06 نوفمبر 1999م.

- مفتاح، عبد الباقي : " الزاوية التجانية بقمار "، **الندوة الفكرية الثانية للشيخ عبد القادر الياجوري**، قمار، 09 –11 أكتوبر 2001.

- مياسي، إبراهيم : " أضواء على الشيخ العلامة إبراهيم العوامر السوفي "، **الندوة الفكرية الرابعة محمـــد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 30 أفريل – 01 – 02 – 03 ماي 1991.

- مياسي، إبراهيم : " أضواء على الشيخ عبد العزيز الشريف المصلح الديني "، **الندوة الفكرية السادســـة محمد الأمين العمودي**، دار الثقافة، الوادي، أيام 29 – 30 أفريل – 01 ماي 1993.

- فكاير، عبد القادر: "الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوادي بعد الحرب العالمية الثانية من خلال

نشرة " وثائق جزائرية" لعام 1948 "، **ندوة العدواني**، الزقم، الوادي، مارس 2002.

5 - المحاضرات والمقالات :

- بوكوشة، حمزة : " الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف 1918م "، **محاضرة مرقونة**، ألقيت بثانوية علي ملاح بورقلة، بمناسبة الموسم الثقافي، أفريل 1987.

- سعد الله، أبو القاسم : " خصوصيات الحركة الوطنية الجزائرية "، **محاضرة**، مخبر العلوم التاريخية والفلسفية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الأحد 25 صفر 1424هـ / 27 أفريل 2003م.

- سعد الله، أبو القاسم : " منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية المغاربية "، **محاضرة**، الأيام الدراسية لطلبة سنة أولى ماجستير(حركات تحرر المغرب العربي)، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، يوم الاثنين 26 صفر 1424هـ / 28 أفريل 2003م.

- غنابزية، علي : " العلامة الشيخ إبراهيم العوامر (سيرته و مآثره) "، **مقال**، (مخ)، الوادي، أكتوبر 1996.

- غنابزية، علي : " المعالم الثقافية والمظاهر الفكرية لوادي سوف خلال القرنين التاسع عشر والعشرين للميلادي "، **مقال**، (مخ)، الوادي، جوان 1999.

المعاجم والأطالس :

- **الأطلس العالمي**، المعهد التربوي الوطني الجزائري، الجزائر، 1983.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، ج 11، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، مصر، (د ت).

- إيفر، ج : **دائرة المعارف الإسلامية**، مج 3، دار الشرق القاهرة، 1933.

- بيل، ا: **دائرة المعارف الإسلامية**، مج 1، دار الشرق،القاهرة، 1933.

- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، مج 5، دار صادر، بيروت، 1977.

- مرتاض، عبد الملك : **المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954 – 1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- نويهض، عادل: **معجم أعلام الجزائر**، ط 1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971.

- نويهض، عادل : **معجم أعلام الجزائر**، ط 2، مؤسسة نويهضة الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1400هـ - 1980.

اللقاءات والمراسلات :

لقاء مع السيد رشيد حسني، الابن الأكبر للشيخ الهاشمي حسني يوم 12 رجب 1424هـ / 08 سبتمبر 2003 ببيته مساء.

لقاء مع السيد العربي مصباحي كاتب ضبط بمحكمة الوادي متقاعد يوم 21 شوال 1424 هـ / 15ديسمبر 2003م.

لقاء مع الشيخ باي محمد يوم 14 رجب 1424هـ / 10 سبتمبر 2003 بمترله صباحا.

لقاء مع الشيخ محمود القروي بن محمد القروي بن علي ، بمترله مساء يوم 04 جمادى الثانية 1424 / 02 أوت 2003.

لقاء بالباحث محمد المولدي سيشي يوم 24 جمادي الثانية 1424هـ - 22 أوت 2003م صباحا ببيته.

لقاء مع الشيخ العيد غوري يوم 26 جمادي الثانية 1424هـ - 24 أوت 2003م بمسجد الطلبة صباحا.

لقاء بالشيخ البشير جبالي هذا يوم الأحد 19 ربيع الأولى 1425هـ / 09 ماي 2004م بمسجد الأمين العمودي.

لقاء بين علي غنابزية و السيد العيد ستو أخا الشيخ محمد العربي ستو - الساكن بالمدينة المنورة – بالوادي، سبتمبر 1998 ، مسجل كتابة.

لقاء مع الشيخ المؤدب سيدي علي بوخزة يوم 29 جمـادي الأولى 1425هـ / 17 جويلية 2004م، بزاوية سيدي سالم الوادي.

مراسلة لسيد سعدية العبيدي ابنة الشيخ احمد العبيدي 20 ربيع الأول 1425هـ / 10 ماي 2004م.

لقاء مع الشيخ عبد الله النجعي ابن أخ عبد الكامل و هو من مواليد 1912م يوم 05 جمادي الثانية 1424هـ - 03 أوت 2003م مساء.

لقاء بالسيد عبد الواحد صالحي الابن الأصغر لشيخ عبد الحفيظ يوم 17 جمادي الثانية 1424هـ - 15 أوت 2003م مساء.

لقاء مع السيد الطيب رضواني بن الشيخ أحمد يوم 19 جمادي الثانية 1424هـ - 17 أوت 2003م مساء.

لقاء مع السيدة عائشة عوين بنت الطيب و قد ناهزت عن سن الثمانين يوم 19 ربيع الثاني 1425هـ - 09 جوان 2004م.

لقاء بالشيخ عز الدين عباسي يوم 24 محرم 1424هـ - 27 مارس 2003م

المصادر والمراجع الأجنبية :

المصادر :

1 - الكتب :

- Bataillon C . I : **Le souf étude de géographie humaine**, Institut des recherches sahariennes, Université d'Alger, Alger, 1955.
- Eberhardt Isabelle : **Mes journaliers**, Par René Luis Doyen, Edition d'Aujour d'hui, Paris, 1985.
- Eberhardt Isabelle et Barrucand victor : **Dans l'ombre chaude de l'islam**, Imprimerie Diary, Paris, 1926.
- Godefroy L.C.P : **Programme des chemins de fer dans les territoires du sud**, Imprimerie Libraire de terre, Alger, 1911.
- Gouvernement Général de L'ALGÉRIE : **LES TERRITOIRES DU SUD DE**

L’ALGÉRIE (L’ORGANISATION JUDICIAIRE), Imprimerie Algérienne, Alger, 1930.

- Gouvernement générale de l'Algérie : **Les territoires du sud de l'Algérie**, Imprimerie Algérienne, Alger, 1929.

- Gouvion (Marthe et Edmond) : **Kitab Aayane El Maghariba**, Imprimerie Orientale Fontana Frères, Alger, 1920.

- L . Feraud : **Le Sahara de Constantine et de Tunisie**, Paris, 1868.

- Le colonel Nollat : **L'Algérie en 1882**, Librairie Militaire, Paris, 1882.

- Lutaud M . CH : **Exposé de la situation générale des Territoires du sud**, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1908.

- Lutaud M . CH : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant les années 1907 et 1908**, Imprimerie – libraire - Éditeur, Alger, 1909.
- Lutaud M . CH : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant l'année 1913**, Imprimerie – libraire - Éditeur, Alger, 1914.
- Lutaud M . CH : **Situation générale des territoires du sud de l'Algérie pendant les années 1914 et 1915** , Imprimerie – libraire -Éditeur, Alger, 1916.
- Pierre Munier : **Le palmier Dattier**, Maison neuvre, Paris, 1973.
- Rinn Louis : **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie**, Alger, 1891.
- Scelles millie J : **Contes Sahariens du Souf**, Maisonneuve et La Rose, Paris, 1964.

-Thomas (Germaine et Jean et Pierre) : **Souvenirs de Notre Randonnée d’Alger a Touggourt par Bou- Saada et Biskra, a Travers Le Grand ERG Oriental jusqu’à El-Oued, dans L’Aures et La Côte de Djijelli a Bougie .(1925 -1926),** Des Régions Civilisées Aux Régions Naturelles de L’Algérie, (manuscrit).

2 - التقارير :

- C . Cauvet : **Note sur le souf et les souafas**, bulletin de la société de géographie d'Algérie , Alger, 1934.

- D. Escard : **Etude médicale et climatologique sur le pays d'El-oued souf**, publiée dans les archives de médecine militaire en 1886.
- Gaid Zobidi Si Hocine : **Histoire succinct de l'administration du souf dans les deux dernières siècle avant l'arrivée des français**, 1952, Archives de direction des Modjahidines, El - Oued.
- Le capitaine Ferry : **Rapport sommaire sur L'évolution de La Situation Economique ou point de vue agriculture et élevage dans l'annexe d'El-**

Oued pour le période de 1930 à 1947, Mars 1946, Archive de la direction de
- Les Archives Nationales de l' Algerie : **Personnelle de la justice musulmane des Territoires du Sud (1930 – 1934)**, Boite N° : 116.
- Le Souf : **Rapport Sommaire sur L'évolution du la situation économique commerciale et touristique d'El-Oued Souf**, Archive de la direction des Moudjahidines d'El-Oued.
- Les Archives National de Tunis : **Les Souafas**, N°07, Boite N°278.
- Pigoreau Jean : **L émigration dan l'Annexe d'El – Oued**, (manuscrit), 1955.
- **Rapport d'Ethnographique Situation Economique Moyens en El – Oued Souf en 1926**, Archives du direction des Moudjahidines d'El-Oued, El-Oued.
- **Rapport sur la population du souf d'après l'annexe d'El-Oued**, DOC, dans les archives de la direction des moudjahidines d'El-Oued.
- **Rapport sur les républiques habitant d'après l'annexe d'El-Oued**, DOC, dans les archives de la direction des Moudjahidines, d'El-Oued.
- Territoir Militaire de Tougourt annexe d'El-Oued : **Industrie des tapies au souf**.

3 - السجلات المدرسية :

- Ecole d'indigènes d'El-Oued, **Registre des élèves admis à l'école de 1886 á 1904**, Archives de l'école du chahid Mihi Mouhamed Bel hadg , El –Oued.
- Ecole primaire préparatoire de garçon de kouinine, **Registre Matriculaire des élèves de l'école du 1ere Octobre 1921**, Archives de l'école de Chahid Ahmed Moulati de Kouinine, El – Oued.

4 - الصحف والدوريات الأكاديمية :

- Académie d'Alger : **Bulletin Scolaire du Département de Constantine (Enseignement primaire)** , Année 1912, N° 3, Mars, 1912
- Académie d'Alger : **Bulletin Scolaire du Département de Constantine (Enseignement primaire)**, Année 1912, N° 7 –8 – 9 Juillet – Août – Septembre, 1912.
- Augustin Berque : Les capteurs de divin : Marabouts, Ulémas, **Revue de la Méditerranée**, N°43 -44, 1946.
- Bulletin de L'Enseignement des indigènes de L'Académie d'Alger, N°268–269–270–271, Janvier–Décembre 1926, Ancienne Maison Bastide - Jourdan, Alger,1927.
- Bulletin de liaison saharienne : **Dix ans de réalisation communale dans l'annexe d'El-Oued**, Immeuble Mouritania, Alger, 1958.
- La Voix Indigène : N°475, Jeudi 13 Avril 1939.
- Le capitaine Kariaud : **Tableau des élevages en 1921 à 1930 de l'annexe**

d'El-Oued, le 19 Mars 1931, Archive de la direction des Moudjahidines d'El-Oued.

المراجع :

1 – الكتب :

- Guedj Eliaou Gastan : **L´ Enseignement indigène en Algérie au cours de la colonisation (1832 – 1962)**, Editions des ecrhvans, Paris, 2000.
- Nadjah Ahmed : **Le souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971.
- Salami Souad : **Tougourt Espuise Historique**, Les imprimeries du sud,Ouaregla,1998.
- Voisin André : **Le souf monographie d'une région saharienne**, (manuscrit), 1985.
- Voisin André Roge : **Le Souf Monographie**, Lu et révisé par Ali Abid, El-Walid Editions,El - Oued, 2004.

2 – الرسائل الجامعية :

- C . Bataillon I . : **Le souf étude de géographie humaine**, Institut des recherches sahariennes, Université d'Alger, Alger, 1955.
- Nadjah Ahmed : **Le souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971.
- Sarri Ahmed : **L'Association des Ulama musulmans Algériens et l'administration française en Algérie de 1931 à 1956**, Doctorat de l'Université de Provence, Aix - Marseille I, 1990.
- Thomas Marc Robert : **Sahara et Communauté**, presses universitaire de France, Paris.

3 - المجلات والدوريات :

- Vuillemin G . Desire : " Les premiers projets du transsaharien et l'Afrique du nord 1878 –1881 ", **Revue d'Histoire Maghrébine**, N° 7 – 8, Tunis, Janvier 1977.
- Valette Jacques : " Les projet de " Mer Intérieur " du colonel ROUDERE et la politique coloniale de la III^{e} république ", **Revue d'Histoire Maghrébine**, N° 7 – 8, Tunis, Janvier 1977.

المعاجم واللوحات :

- **Carte de Touzeur**, publiée par le service géographique de l'armée Française en 1929.
- Le capitaine Kariaud : **Tableau du les élevage en 1921 à 1930 de l'annexe d'El-Oued**, le 19 Mars 1931, Archive de la direction de

Moudjahidine d'El-Oued.

- Trousset Julles : **Nouveau Dictionnaire encyclopédique**, V 4, Librairie illustre, Paris, 1980.

الفـــهـــارس :

فهـــرس الأمـــاكن والبلـــدان :

إن هناك بعض الأماكن أدمجتها مع بعضها لكونها تمثل مكانا واحد مثل وادي سوف مع سوف و الجريد مع الجريد التونسي.

(أ)

اعتمدنا في فهرس الأسماء والأعلام تقديم الكنية أو اللقب على الاسم دون ما أن نهمل " الـــ " التعريف من تصنيفها ضمن الأسماء المرصودة في الفهرس.

فهـــرس الخــــرائط والجـــداول :

فهـــرس المـــلاحـــق :

فهرس المحتويات :

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جــامعـــــة منتـــــوري قسنطينـــــة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والآثار.

ملخص باللغة الفرنسية لمذكرة تخرج لنيل

شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

بعنوان :

الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأها وتطورها

(1900 – 1939).

تخصــــص : حركات تحرر في المغرب العربي.

إعداد الطالب : موسى بن موسى.

تحت إشراف : أ. د. أحمد صاري.

Résumé de mémoire de magister pour avoir le certificat de magistère en histoire moderne et contemporain spécialité mouvement de libération en Maghreb Arabe

Titre :

le mouvement de réforme à Oued souf naissance et développement(1900-1939).

Le début du vingtième siècle à été plein de grandes variations dans le parcours du combat algérien pour la reconquête de son indépendance et de sa liberté. Et de ces transformations l'apparition du mouvement de réforme qui à été très entendu dans tous les régions de l'Algérie.

Parmis les zones de l'Algérie, on trouve la zone du Oued souf qui n'a été pas loin de ses variations là ou la période limité entre 1900 et 1939 est la plus importante, pendant la quelle le mouvement de réforme à Oued souf a survécu le sommet de l'ardeur du aux événement succédés d'où la recherche est intitulée.

Le mouvement de réforme à Oued souf naissance et développement (1900-1939).

Problématique du recherche :

- Quelle est la nature du mouvement de réforme à Oued souf et sa relation avec les voies Soufis et l'administration coloniale pendant son développement entre 1900 et 1939?

A partir de ce problématique on trouve que la recherche se subdivise en une introduction et une entrée intitulée : le cadre géographique et historique de la zone du Oued souf. Le premier chapitre présente l'état politique , économique et social du Oued souf du 1854 au 1939.

Le deuxième chapitre présente l'état culturel et les facteurs de naissance du mouvement de réforme à Souf .

Le troisième chapitre parle du développement du mouvement de réforme du 1900 au 1939 à Oued souf. En ajoutant une conclusion, des annexes, une sommaire des lieux et des villes, une sommaire des noms et des drapeaux, une sommaire des cartes et des tableaux, une sommaire pour les annexes et une sommaire pour les contenus.

Cette cherche est une contribution modeste pour lever la confusion à une période qui a été pleine de succession d’événements. Malgré elle présente l'histoire d'une zone limitée . mais elle affectait aux transformations intérieurs à travers le pays et de l'extérieur à travers Tunis et les pays d'orient.

ملخـــص باللغة العـــربية لمذكرة تخرج

لنيـــل شهـــادة الماجســـتير في التاريخ

الحـــديث والمعـــاصر تخـــصـــص :

حركات تحرر في المغرب العربي.

بعنوان : الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900 – 1939).

إعداد الطالب : موسى بن موسى. تحت إشراف : أ. د. أحمد صاري.

إن مطلع القرن 20م كان حافلا بالتغيرات العديدة لمسار الكفاح والنضـــال الجزائـــري، لمقاومـــة الاستعمار الفرنسي. ومن هذه التحولات ظهور الحركة الإصلاحية التي كان لها صدى واسعا في كافـــة ربوع القطر الجزائري.

ومن أرجاء الجزائر نجد منطقة وادي سوف التي لم تكن بعيدة عن هذه التحولات، حيـــث كانـــت الفترة الزمنية المحصورة ما بين 1900 و1939 أهم الفترات التي شهدت خلالها الحركة الإصـــلاحية بوادي سوف ذروة التأجج نتيجة الأحداث المتعاقبة، وعليه جاء عنوان البحث :

الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900 – 1939).

أما الإشكالية التي دار حولها البحث هي :

- ما طبيعة الحركة الإصلاحية بوادي سوف وعلاقتها بالطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية خلال تطورها ما بين 1900 و1939؟

ومن خلال هذه الإشكالية نجد البحث انقسم إلى مقدمة ومدخل بعنوان الإطار الجغرافي والتـــاريخي لمنطقة وادي سوف. أما الفصل الأول فتناول الوضع السياسي والاقتصادي، والاجتماعي لوادي سوف منذ الاحتلال إلى 1939. وتناول الفصل الثاني الوضع الثقافي، وعوامل نشـــأة الحركـــة الإصـــلاحية بسوف. أما الفصل الثالث فيتحدث عن تطورات الحركة الإصلاحية منذ 1900 إلى 1939 بـــوادي سوف. يضاف إليهم خاتمة وملاحق، وفهرس للأماكن والبلدان، وفهرس للأسماء والأعـــلام، وفهـــرس للخرائط والجداول، وفهرس للملاحق وفهرس للمحتويات.

والبحث يعد مساهمة متواضعة في رفع اللبس على فترة زمنية كانت حافلة بأحداث متعاقبة رغم أنهـــا تمثل تاريخ منطقة محدودة، لكنها كانت تتأثر بالتغيرات الداخلية عبر البلاد والخارجية من خلال تـــونس وبلاد المشرق.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعـــــة منتــــوري قسنطينــــة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والآثار.

ملخص باللغة الإنجليزية لمذكرة تخرج لنيل
شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

بعنوان :

الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها
(1900 – 1939).

تخصـــص : حركات تحرر في المغرب العربي.

إعداد الطالب : موسى بن موسى.

تحت إشراف : أ. د. أحمد صاري.

Master of Arts in contemporary history.

Summary of entitled a research paper " Reform movement in Oued Souf its establishment and progress (1900 – 1939)."

The twentieth century has witnessed a remarkable practically demonstrated in the reform movement and the echoes it left across Algona.

Oued souf repieseuts a crystal cleai example of a city that overwhelm ingly adopted a change in its lard meanings that was reflected in a wave of creation that engulfed the city and totally sealed its way of life therefore we entitled our Essay as follow : Research paper reform movement in research papal Oued souf 1900-1939 we tried in the cause of our to raise the curtain on the reform movement in Oued souf its stwang relation to religious " souf " treuds and colonifei administrations. It consists of : " Jurisdiction that echoes geographical and historical aspect of the region ".

- Chapter one covers the Economic political and social situations 1854 -1939.

- Chapter two cores the development of the reform movement 1900-1939 in Oued souf .

In addition to a conclusion, content, index of regions, countries, names and flags, maps and chart and contents talpe of :

The present research paper is a modest contribution which is meant to reveal and enlighten a particular epoch of Oued souf. It focuses mainly on the striking successive historical events of region

that were affected by the internal changes throughout the country and the external changes through Tunisia and the Middle East .

Some of the regions were integrated together because they represent one place : for instance Oued souf with souf and Eldjerid with Eldjerd of Tunisia.